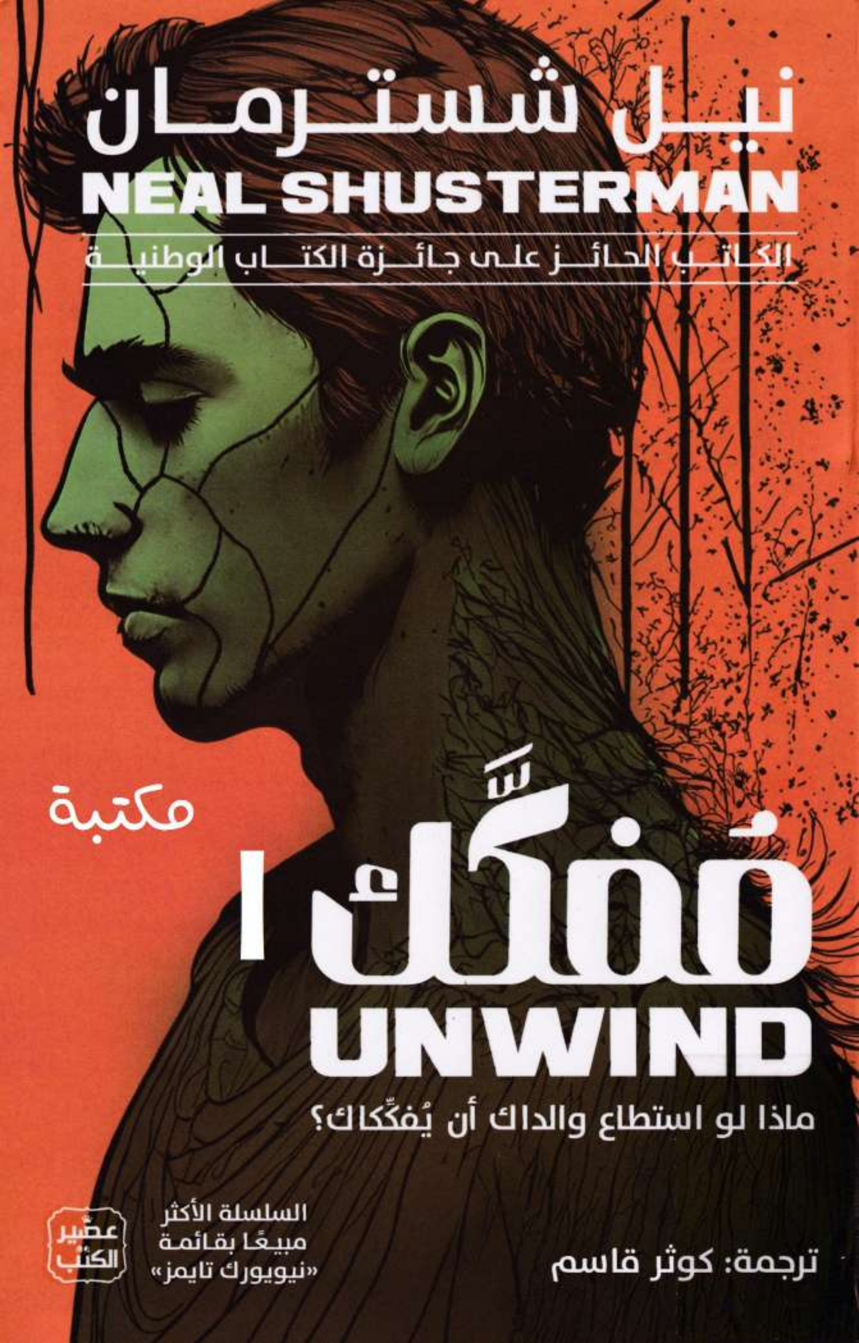


نيل شسترمان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة

مُفكَّك ١
UNWIND

ماذا لو استطاع والداك أن يُفكِّكاك؟

السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»

ترجمة: كوثر قاسم

عصير الكتب



مُفكَّك
UNWIND

ماذا لو استطاع والداك أن يُفكّكاك؟

عصير الكتب
للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: Unwind
- العنوان العربي: مُفكَّك
- طُبع بواسطة: Simon & Schuster
- حُقوق النشر:
Copyright © 2007 by Neal Shusterman
- الطبعة الأولى: يناير / 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: كوثر قاسم
- تحرير: مصطفى رزق
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 11828/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-266-9

نيـــل شـســتـــرمـــان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتـب الحـائـز علـى جائـزة الكتـاب الوطنيـة

مُفكَّك
UNWIND

ماذا لو استطاع والداك أن يُفكِّكاك؟

السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»

عصير الكتب

ترجمة: كوثر قاسم

هذا الكتاب مُهدى إلى روح باربرا سيرانيلا.

«لو تبرع المزيد من البشر بأعضائهم لما فُكّك أبناؤنا».

الأدميرال


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب

وثيقة الحياة

كانت الحرب الأهلية الثانية، التي تُعرف باسم «حرب الجوهر»، صراعًا طويلًا عنيفًا دار حول قضية واحدة.

لإنهاء الحرب، أُقرَّت مجموعة من التعديلات الدستورية تُعرف باسم «وثيقة الحياة». نالت رضا كل من الجيش المناهض للإجهاض والجيش المؤيد له.

تنص وثيقة الحياة على أنه يُحظر المساس بحياة الإنسان منذ لحظة الحمل وحتى يبلغ الثالثة عشرة من العمر.

إلا أنه بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة يحق للآباء إجهاض أبنائهم بأثر رجعي..

.. بشرط ألا تنتهي حياة الأبناء «نظريًّا».

يُدعى الإجراء الذي بواسطته يُجهَض الأبناء ويظلون أحياء في الوقت نفسه «التفكيك».

أصبح التفكيك الآن من الممارسات الشائعة والمقبولة في المجتمع.


تليجرام
سور الأزبكية

الجزء الأول

ثلاث نسخ

«لم أكن لأحقق الكثير على أي حال. لكن الآن، وفقًا للإحصائيات، ثمة فرصة أكبر لأن يشارك جزء مني في خلق المجد في مكان ما بالعالم. أفضّل أن يحيا جزء مني عظيمًا على أن أحيا تامًا دون جدوى».

- سامسون وورد

1. كونر

تخبره أريانا: «ثمة أماكن يمكنك الذهاب إليها. لشاب بمثل ذكائك فرصة كبيرة في النجاة حتى الثامنة عشرة».

يشك كونر في ذلك، لكنه عندما ينظر إلى عينَي أريانا تتبدد شكوكه، للحظات فقط. عيناها بلون زهر البنفسج العطري تقطعهما خطوط رمادية. إنها مهووسة بالموضة؛ تخضع لحقن أحدث الصبغات حال أن تصبح رائجة. لم يكترث كونر بذلك قط. لقد أبقى لون عينيه البني كما كان دائمًا. لم يحصل على وشوم قط، على النقيض مما يفعل الكثير من المراهقين هذه الأيام في صغرهم. لا يصبغ بشرته سوى السُّمرة التي يكتسبها في أثناء الصيف، لكن تلك السُّمرة الآن، في نوفمبر، قد اختفت منذ وقت طويل. يحاول ألا يفكر في أنه لن يشهد الصيف مرة أخرى. على الأقل ليس ككونر لاسيتر. ما زال لا يستطيع تصديق أن حياته تُسلَب منه في السادسة عشرة.

تلمع عينا أريانا البنفسجيتان ويملؤهما دمع، ينساب على وجنتيها عندما تطرف.

- كونر، أنا حقًّا آسفة.

تضمه، وللحظة يبدو كما لو أن كل شيء على ما يُرام، كما لو أنه لا يوجد على الأرض سواهما. في هذه اللحظة، يشعر كونر أنه قوي لا يُقهَر. لكنها تفلته، تنقضي اللحظة، ويعود شعوره بالعالم حوله. يستطيع مجددًا سماع دوي الطريق السريع أسفلهما، حيث تمر السيارات لا تدري أو تعبأ بوجوده هنا. مجددًا هو محض فتى مُعاقَب، تبقَّى أسبوع على تفكيكه.

لا جدوى الآن من الكلمات الرقيقة الموحية بالأمل التي تحدِّثه بها أريانا. يكاد كونر لا يسمعها وسط ضجيج المرور. هذا المكان الذي يختبئان فيه من

العالم هو واحد من تلك الأماكن الخطرة، التي تجعل البالغين يهزون رؤوسهم في غير رضا، ممتنين لأن أبناءهم ليسوا حمقى بما يكفي ليتسكعوا على حافة الجسر الذي يعلو الطريق السريع. لا يرى كونر أن للأمر علاقة بالحماقة، أو بالتمرد حتى، بل بالشعور بالحياة. عند جلوسه على هذه الحافة، مختبئًا خلف لافتة الخروج، يبلغ شعوره بالراحة أقصاه. خطوة واحدة خطأ ستودي بحياته بلا شك، لكن الحياة المحفوفة بالخطر هي ما اعتاده كونر.

لم يحضر أي فتيات أخريات إلى هنا من قبل، لكنه لم يخبر أريانا بذلك. يغمض عينيه، يشعر بذبذبات السيارات كما لو أنها تنبض داخل أوردته كجزء منه. لطالما وجد في هذا المكان ملجأ للابتعاد عن جدالاته مع والديه، أو عندما يشعر بالغضب. لكن الأمر الآن يتجاوز شعوره بالغضب، يتجاوز جداله مع أمه وأبيه. لم يعد هناك شيء للجدال حوله. لقد وقّع والداه الأمر. تمت الصفقة.

تقول أريانا: «يجب علينا أن نهرب. أنا أيضًا سئمت من كل شيء، عائلتي، والمدرسة، وكل شيء. سأصبح إوُول[1] وسأمضي قدمًا».

يتأمل كونر هذه الفكرة. يرهبه تصور أن يهرب من التفكيك وحده. قد يبدو قويًا، قد يتصرف كفتى متمرد في المدرسة، لكن هروبه وحده؟ لا يدري إن كانت لديه الجسارة اللازمة لفعل ذلك. يختلف الأمر إن أتت أريانا، لن يكون بمفرده.

- هل تعنين ذلك؟

تنظر إليه أريانا بعينيها الساحرتين قائلة: «بالطبع. بالطبع أعنيه، سأغادر هذا المكان إن سألتني هذا».

يدرك كونر أن هذا أمر جليل. يعني الهروب مع مُفكَّك التزامًا. حقيقة أنها قد تفعل ذلك تثير عواطفه بطريقة يتعذر وصفها. يُقبّلها، ورغم كل ما يجري في حياته، يشعر كونر فجأة بأنه الشاب الأكثر حظًا في العالم. يضمها، ربما ببعض القوة، لأنها تتململ. يجعله ذلك يرغب في أن يضمها بقوة أكبر، لكنه يقاوم تلك الرغبة، ويفلتها. تبتسم له.

تقول: «إوُول.. ما الذي يعنيه ذلك على أي حال؟».

(1) إوُول =AWOL: اللقب الذي يُطلَق على المراهقين الهاربين من التفكيك. م

يجيب كونر قائلًا: «إنه مصطلح عسكري قديم أو ما شابه، يعني «المتغيب دون إذن»».

تفكر أريانا في الأمر، وتبتسم قائلة: «إنه أقرب إلى «العائش دون توبيخ»».

يمسك كونر بيدها، يحاول جاهدًا ألا يشد عليها. لقد قالت إنها ستذهب إن سألها ذلك. الآن ينتبه إلى أنه لم يسألها بعد.

- أريانا، هل تقبلين بالهروب معي؟

تبتسم أريانا وتومئ قائلة: «بالطبع. بالطبع أقبل».

لا يستلطف والدا أريانا كونر. يمكنه تصورهما يقولان: «كنا نعلم أنه سيصبح مُفكَّكًا. كان يجب عليكِ الابتعاد عن فتى عائلة لاسيتر هذا». لم يرياه يومًا كونر. كان دائمًا فتى عائلة لاسيتر. إنهما يظنان أن إحالته المتكررة إلى المدرسة التأديبية تمنحهما الحق في الحكم عليه.

لهذا، عندما يوصلها إلى بيتها في ذلك المساء، يتوقف بعيدًا عن باب منزلها، مختبئًا خلف شجرة حينما تدخل. قبل أن يتوجه إلى منزله يفكر كيف سيصبح الاختباء نمط حياة كليهما.

المنزل.

يتساءل كونر كيف يمكنه أن يدعو المكان الذي يعيش فيه منزلًا، في حين أنه على وشك أن يُطرد، ليس فقط من المكان الذي يرقد فيه، بل ومن قلوب الذين يُفترض أنهم يحبونه.

عندما يدخل كونر المنزل، يجد والده جالسًا على مقعد يتابع نشرة الأخبار.

- مرحبًا يا أبي.

يشير والده إلى أشلاء متفرقة تعرضها الأخبار قائلًا: «المُصفِّقون مجددًا».

- ما الذي دمَّروه هذه المرة؟

- فجَّروا أحد المتاجر في مجمع شمال آكرون.

يقول كونر: «يجعلك هذا ترتاب في ذوقهم الرفيع».

- لا أجد هذا مضحكًا.

لا يدري والدا كونر أن كونر يعلم أنه قيد التفكيك. لم يكن من المفترَض أن يكتشف الأمر، لكن كونر طالما أبدى براعة في كشف الأسرار. قبل ثلاثة أسابيع، عندما كان يبحث عن كبَّاسة في مكتب والده المنزلي، عثر على تذاكر طيران إلى جزر الباهاما. كانوا ذاهبين لقضاء إجازة عائلية في عيد الشكر. ما استرعى انتباهه هو أنه وجد ثلاث تذاكر فقط، واحدة لأمه، وواحدة لأبيه، وواحدة لأخيه الصغير. لا تذكرة له. في البداية ظن أن التذكرة في مكان آخر، لكنه كلما فكر في الأمر بدا أن هناك خطئًا ما. لهذا أخذ كونر يتعمق في البحث عندما يغادر والداه المنزل، وعثر على أمر التفكيك. كان قد وُقِّع في ثلاث نسخ كالمعهود. النسخة البيضاء ليست موجودة، تحتفظ بها السلطات. النسخة الصفراء ستصحب كونر إلى نهايته، وستبقى النسخة الوردية مع والديه كشاهد على ما اقترفاه. قد يضعان لها إطارًا ويعلقانها بجوار صورته في الصف الأول.

يسبق التاريخ المُدوَّن بأمر التفكيك تاريخ رحلة جزر الباهاما بيوم واحد، كان كونر سيذهب ليبدأ تفكيكه، وسيذهبون في عطلة للتخفيف من وطأة الأمر على أنفسهم. جعل هذا الظلم كونر يرغب في تحطيم شيء. جعله يرغب في تحطيم الكثير من الأشياء، لكنه لم يفعل. كبح غضبه لأول مرة، وبخلاف بعض المشاجرات التي خاضها في المدرسة ولم تكن خطأه، أخفى مشاعره ولم يفصح عما يعرف. يعلم الجميع أن أمر التفكيك نهائي، لهذا لا طائل من الصراخ أو الشجار. بالإضافة إلى ذلك، منحته معرفته بسرٍّ والديه بعض السلطة. أصبح أثر الصفعات التي يوجهها إليهما أكثر قوة، مثل اليوم الذي أحضر فيه زهورًا إلى المنزل من أجل أمه وظلت تبكي ساعات. مثل تقدير جيد جدًّا الذي حصل عليه في اختبار العلوم للمرة الأولى وأحضره إلى المنزل. سلَّم الاختبار إلى والده، الذي نظر إليه وأخذ وجهه في الشحوب، ثم قال: «انظر يا أبي، تقديراتي في تحسن. يمكنني أن أرفع تقديري في مادة العلوم إلى ممتاز بحلول نهاية الفصل الدراسي».

بعد ساعة من ذلك، رأى والده يجلس على مقعد، لا يزال الاختبار في يده، ويحدق بوجه جامد إلى الحائط.

كان دافع كونر بسيطًا: اجعلهما يعانيان، دعهما يقران طوال حياتيهما بفداحة الخطأ الذي ارتكباه.

لكنه لم يجد أي حلاوة في هذا الانتقام. والآن، بعد ثلاثة أسابيع من اتباع هذا النهج لا يشعر بأي تحسن. رغمًا عنه بدأ يشعر بالشفقة تجاه والديه، وهو يكره هذا الشعور.

– هل فوّت العشاء؟

لا يبعد والده نظره عن التلفاز، يقول: «تركت والدتك طبقًا من أجلك».

يتجه كونر إلى المطبخ، لكنه في منتصف الطريق يسمع والده ينادي: «كونر».

عندما يلتفت يرى والده ينظر إليه. لا ينظر إليه فقط، بل يحدق إليه. *سيخبرني الآن*، يفكر كونر. *سيخبرني أنهم سيفكّكونني ثم سيشرع في البكاء، وسيظل يعبّر عن مدى حزنه وأساه وأسفه على كل شيء*. إن فعل ذلك قد يقبل كونر اعتذاره. قد يسامحه حتى، ثم سيخبره أنه لن يكون هنا عندما يأتي ضباط شرطة الأحداث لأخذه. لكن والده في النهاية يقول: «هل أقفلت الباب بعد دخولك؟».

– سأفعل الآن.

يقفل كونر الباب، ثم يتجه إلى غرفته، لم يعد جائعًا لما أبقته له والدته.

***

في الثانية صباحًا يرتدي كونر الأسود، ويملأ حقيبة ظهر بالأشياء التي تهمه حقًا. لا يزال هناك متسع لثلاثة أطقم من الملابس. يجد أنه من المذهل كم هي قليلة الأشياء الجديرة بالأخذ في وضع بهذه الأهمية. معظمها ذكريات، تذكيرات بزمن سبق تدهور العلاقة التي تجمع بينه وبين والديه. بينه وبين العالم بأسره.

يذهب كونر ليختلس النظر إلى أخيه. يفكر في إيقاظه ليودعه، ثم يعدل عن الفكرة، ويتسلل بهدوء في جوف الليل. لا يستطيع أخذ دراجته لأنه ثبّت بها جهاز تتبع ضد السرقة. لم يدُر بخلد كونر أنه قد يصبح الشخص الذي سيسرقها. تملك أريانا دراجتين لكليهما.

تستغرق المسافة التي تفصله عن منزل أريانا عشرين دقيقة سيرًا إن سلك الطريق التقليدي. إن شوارع الأحياء التي تقع في ضواحي أوهايو ليست مستقيمة، لهذا يتخذ الطريق المختصر عبر الغابة، ويصل في عشر دقائق.

المصابيح في منزل أريانا ليست مضاءة. لقد توقع هذا. كان من الممكن أن تثير الريبة إن ظلت مستيقظة طوال الليل. من الأفضل أن تتظاهر بأنها نائمة فلا تلفت الأنظار. يبقي مسافة بينه وبين المنزل، لأن باحة منزل أريانا وشرفته الأمامية مجهَّزتان بمصابيح استشعار الحركة، التي تضيء متى تحرك أي شيء في نطاق المنزل. الغرض من هذه المصابيح هو إخافة الحيوانات البرية والمجرمين. يرى والدا أريانا أن كونر ينتمي إلى الفئتين.

يخرِج هاتفه ويطلب الرقم المعتاد. يستطيع سماع رنين هاتفها في غرفتها بالأعلى، حيث يقف في الخفاء على حافة الباحة الخلفية. يقطع كونر الاتصال سريعًا ويتراجع إلى الظلام، خوفًا من أن يكون والدا أريانا ينظران عبر النوافذ إلى الخارج. ماذا دهاها؟ كان من المفترَض أن تترك هاتفها على وضع الاهتزاز.

يجتاز حافة الباحة الخلفية في خطوة واسعة بما يكفي لإبقاء المصابيح مطفأة. يضيء مصباحًا واحدًا عندما يطأ الشرفة الأمامية، لكن غرفة أريانا فقط هي التي تقابله. تصل إلى الباب بعد بضع لحظات، تفتحه بقدر لا يمكِّنها من الخروج أو يسمح له بالدخول.

يقول كونر: «مرحبًا. هل أنتِ جاهزة؟».

بالتأكيد ليست كذلك، إذ تلبس رداء فوق منامة حريرية.

- لم تنسي، أليس كذلك؟

- بلى، بلى، لم أنسَ.

- إذًا أسرعي! كلما عجَّلنا بالذهاب من هنا أمعنَّا في التقدم قبل أن يدري أحد باختفائنا.

تقول: «كونر، إليك الأمر....».

تبدو الحقيقة في صوتها، في صعوبة نطقها باسمه، في اختلاجة الاعتذار التي تتردد بينهما كالصدى. ليست في حاجة إلى قول أي شيء بعد ذلك لأنه فهمها، لكنه يدعها تقولها على أي حال، لأنه يرى كم يصعب الأمر عليها، وهو يريده أن يكون كذلك. يريده أن يكون أصعب ما اقترفته في حياتها.

- كونر، أريد حقًّا الذهاب، صدقًا، لكن الوقت ليس مناسبًا لي. تستعد أختي للزواج، وكما تعلم لقد اختارتني لأكون وصيفتها. وهناك المدرسة.

- أنتِ تمقتين المدرسة. قلتِ إنكِ ستتركين الدراسة عندما تبلغين السادسة عشرة.

تقول: «سأترك **الاختبارات**. هناك فرق».

- إذًا لستِ آتية؟

- أريد الذهاب، حقًّا أريد ذلك، لكنني لا أستطيع.

- إذًا كان كل ما تحدثنا عنه محض كذبة؟

تقول أريانا: «لا، كان حلمًا أيقظنا الواقع منه. هذا كل ما في الأمر. ولا يحل الهروب أي شيء».

يهمس كونر في غضب قائلًا: «السبيل الوحيد لإنقاذ حياتي هو الهروب. في حال أن نسيتِ، أنا على وشك أن أُفكَّك».

تلمس خده برفق، وتقول: «أعلم، أما أنا فلست كذلك».

يُشعَل ضوء أعلى الدرج، وتسرع أريانا في إغلاق الباب بضع بوصات.

يسمع كونر والدتها تقول: «آري؟ ماذا هناك؟ ما الذي تفعلينه عند الباب؟».

يتراجع كونر بعيدًا عن الأنظار، وتلتفت أريانا لتنظر إلى أعلى الدرج.

- لا شيء يا أمي. رأيت ذئبًا بريًّا عبر نافذتي وأردت التحقق أن القطط ليست بالخارج.

- عزيزتي، القطط بالطابق العلوي. أغلقي الباب وعودي إلى النوم.

يقول كونر: «إذًا، أنا ذئب بري».

تغلق أريانا الباب حتى تتبقى فرجة صغيرة، يستطيع من خلالها أن يرى جانب وجهها وعينًا بنفسجية واحدة، وتقول: «اصمت. ستهرب، أعلم أنك ستفعل. اتصل بي فور أن تصل إلى مكان آمن».

ثم توصد الباب.

ينتظر كونر هناك دهرًا حتى ينطفئ مصباح استشعار الحركة. لم يشكِّل البقاء وحده جزءًا من خطته. الآن يدرك خطأه. منذ اللحظة التي وقَّع فيها والدا كونر على تلك الأوراق أصبح كونر وحده.

لا يستطيع أن يستقل قطارًا أو حافلة. بالطبع لديه ما يكفي من المال، لكن لا شيء سيغادر حتى الصباح، وعندئذ سيكونون قد أخذوا في البحث عنه في الأماكن المتوقَّعة كافة. يشيع هروب المُفكَّكين كثيرًا هذه الأيام. هناك فِرق كاملة من ضباط شرطة الأحداث مكرَّسة للبحث عنهم. ضباط الشرطة بارعون في ذلك.

يمكنه أن يتوارى في المدينة لأنها تكتظ بالوجوه، ولا تصادف بها الوجه ذاته مرتين أبدًا. يمكنه أيضًا أن يتوارى في الريف، حيث يقل عدد سكانه وتتباعد المسافات التي تفصل بينهم. يمكنه أن يهيِّئ منزلًا في حظيرة قديمة ولن يكترث أحد به. لكن الشرطة على الأرجح قد فكرت في ذلك. ربما جهزت كل حظيرة قديمة كمصيدة فئران لتوقِع من مثله من المراهقين في الشرك. أو ربما هو فقط يبالغ في الارتياب. لا، يعلم كونر أن وضعه يستدعي الحذر، ليس الليلة فقط، بل ولمدة عامين. وحالما يبلغ الثامنة عشرة سيتحرر. بعد ذلك قد يزجون به في السجن، قد يخضِعونه للمحاكمة، لكنهم لن يستطيعوا تفكيكه. ما يلزمه هو النجاة حتى تنقضي هذه المدة.

توجد محطة استراحة على الطريق السريع، يتوقف بها سائقو الشاحنات ليلًا. يتجه كونر إلى هناك. يفكر في الاختباء داخل مؤخرة شاحنة، لكنه سرعان ما يجد أن سائقي الشاحنات يبقون على حمولتهم موصَدة. يسب عقله لأنه لم يأخذ هذا بعين الاعتبار. لم يكن التخطيط سلفًا إحدى نقاط قوة كونر قط. لو كان كذلك لما أُقحم في العديد من المواقف التي أزعجته في خلال السنوات القليلة الماضية، وتسببت في أن ينال بعض الألقاب، مثل: مضطرب السلوك، وفي خطر، وأخيرًا هذا اللقب، مُفكَّك.

هناك قرابة عشرين شاحنة متوقفة، ومطعم صغير ذو إضاءة قوية، بداخله عدد من سائقي الشاحنات يتناولون الطعام. إنها الثالثة والنصف صباحًا. لسائقي الشاحنات، فيما يبدو، ساعات بيولوجية خاصة بهم. ينتظر كونر ويراقب المشهد. في الرابعة إلا الربع، تصل سيارة شرطة إلى موقف الشاحنات في هدوء، لا أضواء أو صفارة إنذار، وتُطوِّق المنطقة ببطء كقرش. يفكر كونر في الاختباء، لكنه يرى سيارة شرطة ثانية تقترب. لا تُمكِّن الأضواء التي تغمر المنطقة كونر من أن يتوارى في الظلام، ولا يستطيع الابتعاد دون أن يكشفه ضوء القمر الساطع. تصل سيارة دورية إلى الطرف الأقصى من

المنطقة. ستسلط كشافاتها الأمامية نحوه في لحظات، لهذا يتدحرج أسفل إحدى الشاحنات ويدعو ألا يكون ضباط الشرطة قد رأوه.

يراقب إطارات سيارة الدورية تمر ببطء. على الجانب الآخر من الشاحنة، تمر سيارة الدورية الثانية في الاتجاه المعاكس. يفكر كونر: *ربما هذا تفقُّد روتيني فقط، ربما لا يبحثون عني*. كلما فكر في الأمر ازداد اقتناعًا بصحته. ليس ممكنًا أن يكونوا على علم باختفائه الآن؛ ينام والده نومًا عميقًا، ولم تعد أمه تتفقده في أثناء الليل.

لا تزال سيارات الشرطة في طواف.

من موضعه أسفل الشاحنة، يستطيع كونر رؤية باب سائق شاحنة أخرى يُفتح. لا، ليس باب السائق، بل باب غرفة النوم الصغيرة خلف مقصورة السائق. يخرج سائق الشاحنة، يتمطى، ويتجه إلى دورة مياه موقف الشاحنات تاركًا الباب مفتوحًا.

يتخذ كونر قرارًا لحظيًّا، وينطلق من نقطة اختبائه قاطعًا الأرض إلى الشاحنة. بينما يركض يتدحرج الحصى الفرط أسفل قدميه. لم يعد يدري أين سيارات الشرطة، ولا يهمه ذلك. لقد ألزم نفسه بتنفيذ هذا القرار وعليه أن يتمه. عندما يقترب من الباب يلحظ كشافات أمامية، يوشك ضوؤها أن يُسلَّط نحوه. يفتح باب مقصورة النوم، يندفع إلى الداخل ويغلق الباب خلفه.

يجلس على سرير ضيق يلتقط أنفاسه. ما عساها تكون خطوته التالية؟ سيعود سائق الشاحنة. أمامه خمس دقائق إن حالفه الحظ، ودقيقة واحدة إن خاصمه. يتفقد أسفل السرير. توجد مساحة يمكنه الاختباء فيها، لكن حقيبتين قماشيتين مكدستين بالملابس تسدانها. يمكنه أن يخرجهما، وينحشر في الداخل، ثم يعيدهما أمامه. لن يدري سائق الشاحنة أنه هناك أبدًا. لكن الباب يُفتح قبل أن يتمكن من إخراج الحقيبة القماشية الأولى حتى. يتجمد كونر في مكانه غير قادر على التصرف، حينما يمد سائق الشاحنة يده ليأخذ سترته، ويراه.

- من أنت؟ ما الذي تفعله في شاحنتي بحق الجحيم؟

تمر سيارة شرطة خلفه في تمهل.

يقول كونر بصوت يخرج حادًا كما كان قبل أن يتغير: «رجاءً، رجاءً لا تخبر أحدًا. يجب أن أغادر هذا المكان».

يمد يده في حقيبته، يبعثرها، ويخرج رزمة من الأوراق النقدية من محفظته.

- هل تريد مالًا؟ أملك المال. سأعطيك كل ما أملك.

يقول سائق الشاحنة: «لا أريد مالك».

- حسنًا، إذًا ماذا تريد؟

لا بد أن سائق الشاحنة، رغم الضوء الخافت، يرى الذعر في عينَي كونر، لكنه لا يقول أي شيء.

- رجاءً، سأفعل أي شيء تريده.

ينظر إليه سائق الشاحنة في صمت قليلًا، ويقول أخيرًا: «أمتأكد من ذلك؟».

ثم يخطو إلى الداخل ويغلق الباب خلفه. يغمض كونر عينيه، لا يجرؤ على التفكير فيما قد أقحم نفسه فيه للتو.

يجلس سائق الشاحنة بجواره، ويقول: «ما اسمك؟».

- كونر.

يدرك متأخرًا أنه كان يجب أن يخبره اسمًا مستعارًا.

يحك سائق الشاحنة لحيته الخفيفة ويفكر قليلًا، ثم يقول: «دعني أريك شيئًا يا كونر».

يمد يده خلف كونر ويخرِج، من بين جميع الأشياء، مجموعة ورق لعب من حقيبة صغيرة معلَّقة بجوار السرير.

يسأله: «هل رأيت هذا من قبل؟».

ثم يمسك سائق الشاحنة أوراق اللعب بيد واحدة ويخلطها ببراعة.

- رائع، أليس كذلك؟

لا يدري كونر ماذا يقول، يومئ فقط.

يقول سائق الشاحنة: «ما رأيك في هذا؟».

يأخذ ورقة لعب واحدة، وبخفة يد يجعل الورقة تختفي تمامًا. ثم يمد يده ويخرِج الورقة من جيب قميص كونر.

- هل يعجبك هذا؟

يضحك كونر ضحكة عصبية.

يقول سائق الشاحنة: «حسنًا، هذه الخدع التي رأيتها للتو، أنا لم أفعلها».

- أنا... لا أفهم ماذا تعني.

يشمر سائق الشاحنة عن ساعده ليكشف عن أن الذراع، التي فعلت الخُدع، قد زُرعت عند المرفق.

يخبره سائق الشاحنة: «قبل عشر سنوات غفوت في أثناء القيادة. كانت حادثة مريعة. فقدت ذراعًا وكلية وبضعة أشياء أخرى. لكنني حصلت على غيرها، ونجوت».

وينظر إلى يديه. الآن يرى كونر أن اليد التي أدت الخدع تختلف قليلًا عن اليد الأخرى. أصابع اليد الأخرى أكثر غلظة، ولون بشرتها أغمق قليلًا.

يقول كونر: «إذًا لقد وُضِعتَ في يد جديدة».

يضحك سائق الشاحنة، ثم يهدأ قليلًا، وينظر إلى يده البديلة.

- عرفت هذه الأصابع أشياء لم يعرفها باقي جسدي. هذا ما يدعونه الذاكرة العضلية. ولا يمر يوم دون أن أتساءل ما الأشياء المذهلة الأخرى التي عرفها الفتى الذي امتلك هذه الذراع قبل تفكيكه. أيًا كانت هويته.

ثم يقف سائق الشاحنة، ويقول: «من حسن حظك أنك جئت إليَّ. هناك سائقو شاحنات بالخارج سيأخذون أي شيء تعرضه، ثم سيسلمونك إلى الشرطة على أي حال».

- وأنت لست كذلك؟

- بلى، لست كذلك.

يمد يده- يده *الأخرى*- ويصافحه كونر. يقول: «اسمي جوسايا ألدرج. أنا متجه من هنا إلى الشمال. يمكنك الركوب معي حتى الصباح».

يندهش كونر، ويغمره شعور بالارتياح، يعجز حتى عن شكره.

يقول ألدرج: «هذا السرير ليس الأكثر راحة في العالم، لكنه يفي بالغرض. خذ قسطًا من الراحة. سأذهب لقضاء حاجتي، ثم سننطلق».

ثم يغلق الباب، ويسمع كونر وقع خطواته في طريقه إلى دورة المياه. يدع كونر حذره أخيرًا ويشعر كم هو متعَب. لم يمنحه سائق الشاحنة وجهة، بل اتجاهًا، ولا بأس بذلك. لا يهمه إن اتجهوا شمالًا، أو جنوبًا، أو شرقًا، أو

غربًا، ما دام سيغادر هذا المكان. أما عن خطوته التالية، حسنًا، عليه اجتياز هذه الخطوة قبل أن يفكر فيما سيأتي بعد ذلك.

بعد ذلك بدقيقة، عندما يبدأ كونر يغفو يسمع صياحًا بالخارج.

- نعلم أنك بالداخل! اخرج في الحال ولن نؤذيك!

يخيب أمل كونر، إذ يبدو أن جوسايا ألدرج قد أدَّى خدعة أخرى. لقد استدعى كونر أمام الشرطة. ألقى تعويذة. يفتح كونر، الذي تنتهي رحلته قبل أن تبدأ حتى، الباب ويرى ثلاثة من ضباط شرطة الأحداث يصوبون أسلحتهم.

لكنهم لا يصوبونها نحوه.

في الواقع، تقابله ظهورهم.

في الجهة المقابلة، ينفتح باب سائق الشاحنة التي اختبأ أسفلها قبل بضع دقائق فقط، ويخرج فتى من وراء مقعد السائق الشاغر يرفع يديه عاليًا. يتعرف عليه كونر على الفور. إنه فتى يعرفه من المدرسة، آندي جيمسون.

يا إلهي! هل آندي قيد التفكيك أيضًا؟

يبدو الخوف على وجه آندي، لكن ما يكمن خلفه أكثر سوءًا، إنها هزيمة تامة. عندئذ ينتبه كونر إلى حماقته. لقد فاجأه تطور الأحداث، ولا يزال واقفًا حيث يستطيع الجميع رؤيته. حسنًا، لا يراه ضباط الشرطة، لكن آندي يراه. يحدق بعضهما إلى بعض، للحظة فقط، وفي هذه اللحظة يحدث شيء مذهل.

فجأة يستحيل اليأس في وجه آندي إرادةً صلبةً على مشارف النصر. يبعِد نظره عن كونر سريعًا، ويأخذ بضع خطوات قبل أن تمسك الشرطة به، بضع خطوات بعيدًا عن كونر، لتظل ظهور ضباط الشرطة تواجهه.

لقد رآه آندي ولم يشِ به! إن فقد آندي كل شيء بعد هذا اليوم فسيظل ذلك الانتصار الصغير ملكه.

يتراجع كونر إلى الخلف في ظلام الشاحنة، ويغلق الباب ببطء. بينما يبتعد ضباط الشرطة آخذين آندي في الخارج، يستلقي كونر، وتسيل دموعه بغتة كهطول المطر صيفًا. لا يدري من أجل من يبكي، من أجل آندي؟ أم من أجل نفسه؟ أم من أجل أريانا؟ وحيرته تلك تزيد دموعه انهمارًا. بدلًا من أن يمسح دموعه يدعها تجف على وجهه مثلما اعتاد أن يفعل عندما كان طفلًا صغيرًا، عندما كانت الأشياء التي يبكي بسببها هينة ينساها بحلول الصباح.

لا يأتي سائق الشاحنة ليتفقده. يسمع كونر صوت المحرك ويشعر بالشاحنة تغادر. تهزه حركتها على الطريق برفق إلى أن ينام.

رنين هاتف كونر المحمول يوقظه من نوم عميق، لكنه يصارع اليقظة. يريد أن يعود إلى حلمه. يدور حلمه في مكان يعلم أنه قد ذهب إليه، لكنه لا يستطيع تذكر متى تحديدًا. كان في كوخ على الشاطئ مع والديه قبل أن يولَد أخوه. داست ساق كونر لوحة خشبية متعفنة بالشرفة، وسقطت في شباك عناكب سميكة ملمسها كالقطن. ظل كونر يصرخ من الألم، والخوف من العناكب العملاقة، لأنه كان يظن أنها ستلتهم ساقه. رغم ذلك كان حلمًا جميلًا -ذكرى جميلة- لأن والده كان هناك. أخرجه وحمله إلى الداخل، حيث ضمد ساقه، وأجلسه بجوار المدفأة ليشرب مشروب القرفة، الذي كان من الطِّيب بما يجعله يستشعر مذاقه عند التفكير في الأمر. روى له والده حكاية لم يعد يتذكرها، لكن لا بأس بذلك. لم تكن الحكاية ما يهمه، بل نبرة صوت والده، تمتمة رقيقة، ليست بالحادة أو الجشَّاء، تهدئ كزبد البحر على الشاطئ. شرب الصبي الصغير كونر مشروب القرفة، واتكأ على أمه متظاهرًا بالنوم، لكنه في الحقيقة كان يحاول أن يستغرق في تلك اللحظة ليجعلها تستمر إلى الأبد. في حلمه نجح في ذلك. انصب وجوده بأكمله في كوب القرفة، ووضعاه والداه برفق على الطاولة، على مسافة قريبة من المدفأة تكفي ليظل دافئًا دائمًا.

أحلام سخيفة. جميلها سيئ، لأنها تذكِّرك كم أن الواقع قاسٍ بالمقارنة معها.

يدق هاتفه المحمول ثانية طاردًا ختام حلمه. يكاد كونر يجيب الاتصال. إن الظلام في مقصورة النوم شديد، فلا يدرك كونر في بادئ الأمر أنه ليس في سريره. ما ينقذه هو أنه لا يستطيع أن يجد هاتفه وعليه أن يشعل الضوء. عندما يجد جدارًا في موضع المنضدة، يدرك أنها ليست غرفته. يدق هاتفه مجددًا. عندئذ يتذكر كل شيء ويعي أين يكون. يجد كونر هاتفه في حقيبته. يظهر الهاتف أن والده هو المتصل.

إذًا الآن يعلم والداه أنه قد رحل. هل يظنان حقًّا أنه سيجيب الهاتف؟ ينتظر حتى يتحول الاتصال إلى البريد الصوتي، ثم يغلق الهاتف. تشير ساعته إلى السابعة والنصف صباحًا. يفرك عينيه طاردًا النوم، ويحاول أن

يقدِّر كم قد ابتعدا. توقفت الشاحنة عن الحركة الآن. لا بد أنهما قد قطعا ما لا يقل عن مائتي ميل في أثناء نومه. إنها بداية جيدة.

يُطرق الباب.

- اخرج أيها الفتى. لقد انتهت رحلتك.

لا يتذمر كونر من ذلك. إن ما فعله سائق الشاحنة يُعَد كرمًا بالغًا. لن يسأله كونر المزيد. يفتح الباب ويخطو إلى الخارج حتى يشكر الرجل، لكن الطارق ليس جوسايا ألدرج. يقف ألدرج على بعد بضع ياردات مكبَّلًا بالأصفاد، وأمام كونر أحد ضباط شرطة الأحداث يبتسم ابتسامة واسعة. يقف والد كونر على بعد عشر ياردات، لا يزال يمسك بالهاتف المحمول الذي اتصل منه للتو.

يقول والده: «قُضي الأمر يا بني».

يحتدم كونر غضبًا. *أنا لست ابنك!* يريد أن يصرخ بالقول. *لم أعد ابنك منذ أن وقَّعت على أمر التفكيك*. لكن صدمته تعقد لسانه.

ارتكب كونر حماقة كبيرة عندما ترك هاتفه المحمول مفتوحًا، لأنهم تعقبوه عن طريقه. يتساءل كم من مراهق تسببت ثقته العمياء في التكنولوجيا في الإيقاع به. لا، لن يماثل مصير كونر مصير آندي جيمسون. يقيِّم الوضع تقييمًا سريعًا. أوقفت سيارتا دورية الطريق السريع ووحدة شرطة الأحداث الشاحنة على جانب الطريق. تندفع السيارات بسرعة سبعين ميلًا في الساعة، غافلة عن الدراما التافهة التي تحدث على الهامش. يتخذ كونر قرارًا لحظيًا. ينطلق دافعًا الشرطي تجاه الشاحنة، ويركض قاطعًا الطريق السريع المزدحم. يتساءل: هل سيطلقون النار على فتى أعزل من خلفه، أم سيصوبون على ساقه ويبقون على أعضائه الحيوية؟ بينما يقطع الطريق السريع ركضًا، تنحرف السيارات من حوله، لكنه يواصل الركض.

يسمع والده يصرخ قائلًا: «كونر، توقف!».

ثم يسمع صوت طلقة نارية، يشعر بأثرها، لكن ليس في جسده. تنغرس الرصاصة في حقيبة الظهر التي يحملها، لكنه لا ينظر خلفه. عندما يصل إلى منتصف الطريق السريع، يسمع صوت طلقة نارية أخرى، وتظهر بقعة زرقاء صغيرة في الحاجز الأوسط الذي يفصل الاتجاهين. إنهم يطلقون الرصاص

المخدِّر. لا يريدون قتله، بل إيقافه، لهذا سيطلقون الرصاص المخدِّر كيفما شاؤوا بدلًا من إطلاق الرصاص العادي.

بعدما يقطع كونر الحاجز الأوسط، يجد سيارة كاديلاك تتجه نحوه يتعذر إيقافها. تنحرف السيارة لتتفاداه، ويسعفه الحظ فيأخذه زخم حركته بعيدًا عن طريق السيارة بضع بوصات. تصطدم مرآة السيارة الجانبية بأضلعه بقوة قبل أن تتوقف محدِثة صريرًا عاليًا، وتصل رائحة المطاط المحترق اللاذعة إلى أنفه. يمسك كونر بجانبه المتألم، ويرى شخصًا ينظر إليه من نافذة المقعد الخلفي المفتوحة. إنه فتى آخر يرتدي الأبيض. يبدو الفتى مذعورًا.

بينما يقترب ضباط الشرطة من الحاجز الأوسط ينظر كونر إلى عينَي هذا الفتى المرتعب، ويدرك ما يتوجب عليه فعله. لقد حان وقت اتخاذ قرار سريع آخر. يمد يده عبر النافذة، يرفع القفل، ويفتح الباب.

***

2. ريسا

تذرع ريسا كواليس المسرح ذهابًا وإيابًا، تنتظر دورها في عزف البيانو.

تعلم أنها تتقن عزف السوناتا حتى إنها تستطيع عزفها في أثناء نومها. في الواقع لطالما فعلت ذلك. كثيرًا ما تستيقظ ليلًا، تجد أصابعها تعزف على ملاءات السرير، وتسمع اللحن يدور في عقلها، يظل هكذا بضع لحظات بعد استيقاظها، ثم يختفي في ظلمة الليل، تاركًا أصابعها تضرب الأغطية.

يجب أن تتقن عزف السوناتا، يجب أن يماثل عزفها التنفس سلاسةً.

دائمًا ما يخبرها السيد دوركن: «إنها ليست منافسة. لا يوجد رابحون أو خاسرون في حفل موسيقي».

لكن ريسا تدرك الحقيقة.

يدعوها مدير المسرح قائلًا: «ريسا وورد[1]، حان دورك».

تقف منتصبة القامة، تضبط مشبك شعرها البني الطويل، ثم تتقدم إلى خشبة المسرح. يصفق الحضور في تهذيب، فقط. بعض هذا التصفيق صادق، إذ يتضمن الحضور بعض أصدقائها ومعلميها الذين يتمنون لها النجاح، لكنه في مجمله تصفيق إلزامي من حضور ينتظر أن تثير إعجابهم.

السيد دوركن بين الحضور. إنه معلم البيانو الخاص بريسا منذ خمسة أعوام، وأقرب من حظيت به ريسا إلى الأب. إنها محظوظة؛ لا يحظى كل طفل في ملجأ ولاية أوهايو رقم 23 بمعلم يمكن أن يقول عنه ذلك. يكره معظم أطفال ملاجئ الولايات معلميهم، لأنهم يرونهم سجَّانيهم.

(1) وورد = Ward: اللقب الذي يحمله جميع أطفال ملاجئ الولايات، ويعني تحت وصاية الولاية. م

تتجاهل الرسمية الخانقة لثوب الحفل الذي ترتديه، وتجلس أمام بيانو شتاينواي من الأبنوس الذي يماثل الليل سوادًا وطولًا.

انتبهي.

تثبِّت نظرها على البيانو، وتدفع بالحضور إلى الظلام. الحضور لا يهمون، ما يهم هو البيانو والألحان الرائعة التي توشك أن تسحره ليصدرها.

تبقي أصابعها فوق المفاتيح قليلًا، ثم تبدأ العزف بشغف خالص. سرعان ما تؤدي أصابعها رقصة فوق المفاتيح تجعل الكمال يبدو سهلًا. تجعل ريسا الآلة تصدح، ثم تتعثر بِنصَرها اليسرى بمفتاح سي-منخفض، فتخرج نغمة سي ناشزة.

خطأ.

يحدث الأمر سريعًا، ومن الممكن ألا يلحظه أحد، لكنه لا يفوت ريسا، ولا تستطيع تجاهله. بينما تتابع العزف، تتردد تلك النغمة داخل عقلها، وتزداد شدتها تدريجيًّا سارقة انتباهها، فتزلّ مجددًا، وتصدر نغمة خطأ ثانية. بعد دقيقتين، تخفق في توليفة موسيقية كاملة. تملأ الدموع عينيها ولا تستطيع الرؤية بوضوح.

تخبر نفسها: *لا تحتاجين إلى الرؤية، تحتاجين فقط إلى الإحساس بالموسيقى.*

لا يزال بإمكانها التغلب على هذا التعثر المفاجئ، أليس كذلك؟ إن أخطاءها -تجد هذه الكلمة مريعة- تصعب ملاحظتها.

سيقول السيد دوركن: «اهدئي، أنت لا تخضعين للتقييم».

ربما هذا ما يعتقده حقًّا. من الممكن له أن يظن ذلك، لأنه ليس في الخامسة عشرة، ولم يكن تحت وصاية الولاية قط.

خمسة أخطاء. جميعها طفيفة دقيقة، لكنها تظل أخطاء. كان من الممكن أن تتجاوز عن الأمر إن كان أداء أي من العازفين الآخرين أقل تميزًا، لكنهم جميعًا تألقوا.

رغم ذلك، يبدو السيد دوركن مبتهجًا عندما يُحيِّي ريسا في صالة الاستقبال.

يقول: «كنتِ رائعة! أنا فخور بكِ».

- لقد لوثتُ المسرح بأدائي.
- هراء. لقد اخترتِ واحدة من أصعب مقطوعات شوبان. لا يؤديها المحترفون دون ارتكاب خطأ أو اثنين. لقد أوفيتها حقها بإنصاف!
- ما يلزمني يتخطى الإنصاف.

يتنهد السيد دوركن، لكنه لا يتجاهل الأمر.

- إنكِ تتقدمين جيدًا. أتطلع إلى اليوم الذي سأرى فيه هاتين اليدين تعزفان في قاعة كارنيجي.

ابتسامته دافئة وصادقة، كالتهنئات التي تلقتها من الفتيات في مهجعها. يكفي هذا الدفء ليساعدها على النوم، وليجعلها تأمل أنها ربما تضخِّم الأمر، وعبثًا تقسو على نفسها. وبينما تفكر فيما قد تختاره للعزف تاليًا يغلبها النوم.

تُستدعى ريسا إلى مكتب المدير بعد أسبوع.

هناك ثلاثة أشخاص. تفكر ريسا: *إنها محاكمة*. ثلاثة أشخاص بالغون يصدرون الأحكام كالقرود الثلاثة: لا أرى شرًّا، لا أسمع شرًّا، لا أتكلم شرًّا.

يقول المدير: «تفضلي بالجلوس يا ريسا».

تحاول أن تجلس بخفة، لكن ركبتيها، اللتين تضطربان الآن، لا تسمحان لها بذلك، فترتمي على مقعد فخم لا يلائم استجوابًا.

لا تعرف ريسا الشخصين الجالسين بجانب المدير، لكنهما يبدوان موظفين رسميين مرتاحي البال، حضرا لإتمام عملهما المعتاد.

تقدم المرأة التي تجلس على يسار المدير نفسها كاختصاصية اجتماعية مكلَّفة بـ «حالة ريسا». لم تكن ريسا تدري، حتى هذه اللحظة، أنها تشكِّل حالة. تخبرها باسمها، السيدة «شيء ما». لا تحتفظ ذاكرة ريسا بالاسم بأي حال. تقلب الاختصاصية الاجتماعية صفحات أعوام ريسا الخمسة عشر بلا اهتمام، كما لو أنها تتصفح جريدة.

وتقول: «لنرَ. أصبحتِ تحت وصاية الولاية منذ ولادتك. يبدو أن سلوكك مثالي. تقديراتك جيدة، لكنها ليست ممتازة».

ثم تنظر إليها وتبتسم قائلة: «شاهدت أداءكِ في تلك الليلة. كنتِ جيدة للغاية».

تفكر ريسا: جيدة، *لستُ ممتازة*.

تتصفح السيدة «شيء ما» الملف بضع ثوانٍ أخرى، لكن ريسا واثقة من أنها لا تقرؤه حقًا. ما يحدث هنا قد حُدِّد قبل أن تجتاز ريسا عتبة الباب بوقت طويل.

- لماذا استُدعيتُ إلى هنا؟

تغلق السيدة «شيء ما» الملف الذي بحوزتها، وتتجه بنظرها إلى المدير والرجل الذي يرتدي بذلة باهظة الثمن بجانبه. يومئ صاحب البذلة، وتلتفت الاختصاصية الاجتماعية إلى ريسا مبتسمة ابتسامة دافئة.

تقول: «نرى أنكِ قد حققتِ أقصى ما يمكنك هنا. السيد المدير توماس والسيد بولسون يتفقان معي في ذلك».

تلقي ريسا نظرة سريعة على صاحب البذلة.

- من هو السيد بولسون؟

يتنحنح صاحب البذلة ويقول بما يشبه اعتذارًا: «أنا المستشار القانوني الخاص بالمدرسة».

- محامٍ؟ لم يوجد محامٍ هنا؟

يخبرها المدير توماس: «محض إجراءات».

يمد إصبعه إلى ياقته يشدها، كما لو أنها قد أصبحت عقدة فجأة.

- تتضمن سياسة المدرسة أن يشهد محامٍ هذا النوع من الإجراءات.

- أي نوع من الإجراءات هذا؟

ينظر بعضهم إلى بعض، لا يريد أي منهم أن يتولى الحديث.

في النهاية تقول السيدة «شيء ما»: «من المؤكد أنكِ تعلمين أن سعة ملاجئ الولايات غير كافية هذه الفترة، ومع تخفيض الميزانية، تتأثر جميع ملاجئ الولايات سلبًا، بما في ذلك ملجؤنا».

تبادلها ريسا النظر بعينين جامدتين، وتقول: «للقُصَّر تحت وصاية الولاية الحق في مكان بملاجئها».

- صحيح تمامًا، لكن هذا الحق يستمر حتى الثالثة عشرة فقط.

ثم فجأة يصبح لدى الجميع شيء ليقوله.

يقول المدير: «يغطي المال هذا الحد فقط».

يقول المحامي: «قد تتراجع المعايير التعليمية».

تقول الاختصاصية الاجتماعية: «كل ما نريده هو مصلحتك ومصلحة باقي الصِّبية هنا».

وتسير المحادثة جيئة وذهابًا كمباراة تنس طاولة ثلاثية الأطراف. لا تتفوه ريسا بشيء، تستمع فقط.

- أنتِ موسيقية جيدة، لكن...

- كما قلتُ، لقد حققتِ أقصى ما يمكنك.

- أبعد حد يمكنكِ الوصول إليه.

- ربما لو كنتِ قد اخترتِ مسار دراسة أقل تنافسية.

- حسنًا، لم يعد لذلك أهمية.

- نحن مكتوفو الأيدي.

- يولَد أطفال يتخلى عنهم آباؤهم كل يوم، ولا يُنقَلون جميعهم.

- نحن ملزَمون باستقبال من لا يُنقَلون.

- يجب أن نوفر مكانًا لكل طفل جديد يصبح تحت وصاية الولاية.

- يضطرنا هذا إلى أن نخفض أعداد المراهقين في الملجأ بنسبة خمسة في المائة.

- تفهمين، أليس كذلك؟

لم يعد بإمكان ريسا سماع المزيد. تخرِسهم قائلة ما لا يجسر أحد منهم على قوله: «هل أنا قيد التفكيك؟».

لا يجيبونها. صمتهم أبلغ من لو قد قالوا أجل. تمد الاختصاصية الاجتماعية يدها لتمسك بيد ريسا، لكن ريسا تبعِد يدها قبل أن تصل إليها.

- لا بأس في أن تشعري بالفزع. دائمًا ما يكون التغيير مخيفًا.

تصيح ريسا قائلة: «تغيير؟ ما الذي تعنينه بـ «التغيير»؟ يختلف الموت قليلًا عن التغيير».

تستحيل ربطة عنق المدير إلى عقدة مجددًا، تعيق الدم عن الوصول إلى وجهه.

يفتح المحامي حقيبة الملفات الخاصة به، ويقول: «من فضلك يا آنسة وورد. لا يُعَد الأمر موتًا، وأنا واثق من أن الجميع هنا سيشعرون بارتياح أكبر إن لم تلمِّحي إلى شيء تحريضي بهذا السفور. في حقيقة الأمر سيظل كل جزء منك حيًّا، لكن في حالة منقسمة».

يمد يده في حقيبته ويناولها كتيبًا إعلانيًّا ملونًا: «هذا كتيب عرض مخيم حصاد توين ليكس».

يقول المدير: «إنه مكان مميز. إنه المؤسسة التي نفضِّلها لجميع مُفكَّكي ملجئنا. فُكَّ ابن أخٍ لي هناك».

- هنيئًا له.

تكرر الاختصاصية الاجتماعية قولها: «إنه تغيير، ليس إلا. كما يصبح الثلج ماء، ويصبح الماء سحابًا. **ستعيشين** يا ريسا، لكن في هيئة أخرى».

لم تعد ريسا تسمع أي شيء. بدأ الهلع يتملكها: «قد لا أصبح موسيقية. يمكنني أن أمارس عملًا آخر».

يهز المدير توماس رأسه في أسى، ويقول: «آسف، لكن أوان ذلك قد فات».

- لا لم يفت، سأمارس التمارين الرياضية، سأصبح بوف[1]. دائمًا ما يحتاج الجيش إلى المزيد من البوف!

يتنهد المحامي متبرمًا وينظر إلى ساعته.

تميل الاختصاصية الاجتماعية إلى الأمام، وتقول: «ريسا، رجاءً. يلزم الفتاة نوع معين من الأجساد وسنوات عديدة من التدريب البدني، لكي تصبح من جنود الجيش».

- أليس لي خيار في الأمر؟

عندما تنظر خلفها يأتيها الجواب واضحًا. هناك حارسان ينتظران لتوقن ألا خيار لها في الأمر على الإطلاق. بينما يقودانها بعيدًا تفكر في السيد دوركن. تبتسم ريسا بمرارة عندما تدرك أن أمنيته قد تتحقق رغم كل شيء.

(1) بوف = Boeuf: اللفظ الدارج الذي يُطلَق على جنود الجيش، يعني ضخم العضلات. م

يومًا ما قد يرى يديها تعزفان في قاعة كارنيجي، لكن باقي جسد ريسا لن يكون هناك.

***

لا يُسمح لريسا بالعودة إلى مهجعها. لن تأخذ أي شيء معها لأنها لن تحتاج إلى شيء، هذا هو حال المُفكَّكين. تتسلل قلة من صديقاتها إلى مركز النقل الخاص بالمدرسة ليودِّعنها في أحضان خاطفة، ويذرفن بعض الدموع على عجل، يتلفتن طوال الوقت خشية أن يُمسك بهن.

لا يأتي السيد دوركن. هذا أكثر ما يؤلم ريسا. تقضي ليلتها في واحدة من غرف الضيوف بمركز استقبال الملجأ. عند الفجر، تُوضع على متن حافلة ملأى بصبية يُنقَلون من مجمع ملجأ الولاية الكبير إلى أماكن متفرقة. ترى بعض الوجوه المألوفة، لكنها لا تعرف أيًّا من مرافقي رحلتها حقًّا.

عبر الممر يبتسم لها فتى وسيم. يمكن القول، بالنظر إلى مظهره، إنه بوف. يغازلها بطريقة وحدهم البوف يستطيعونها قائلًا: «مرحبًا».

تجيبه ريسا قائلة: «مرحبًا».

يقول: «أنا أُنقل إلى الأكاديمية البحرية الأمريكية. ماذا عنكِ؟».

- أنا؟

تبحث سريعًا عن رد مثير للإعجاب، تقول: «أكاديمية الآنسة ماربل للموهوبين».

يقول فتى نحيل شاحب يجلس بجوار ريسا: «إنها تكذب. إنها مُفكَّكة».

يبتعد البوف فجأة كما لو أن التفكيك مُعدٍ، ويقول: «آه، حسنًا، إمم... هذا مؤسف. إلى اللقاء!».

ويغادر ليجلس مع باقي البوف في مؤخرة الحافلة.

تقول ريسا للفتى النحيل في حدة: «شكرًا».

يهز الفتى كتفيه لا مباليًا، ويقول: «هذا لا يهم على أي حال».

ثم يمد يده ليصافحها قائلًا: «أنا سامسون[1]. أنا مُفكَّك أيضًا».

---

(1) سامسون = Samson: اسم مشتق من كلمة عبرية تعني الشمس؛ رجل ذو قوة بدنية كبيرة. م

تكاد ريسا تضحك. سامسون. يا له من اسم قوي لفتى بهذا الهزال! لا تصافحه، لأنها لا تزال غاضبة لأنه كشف حقيقتها أمام البوف الوسيم.

تسأله ريسا: «إذًا ما الذي فعلتَه لتُفكَّك؟».

- ليس ما فعلتُه، بل ما لم أفعله.

- ما الذي لم تفعله؟

- لم أفعل أي شيء.

ترى ريسا الأمر معقولًا. إن عدم فعل أي شيء من أيسر الطرق المؤدية إلى التفكيك.

يقول سامسون: «لم أكن لأحقق الكثير على أي حال. لكن الآن، وفقًا للإحصائيات، ثمة فرصة أكبر لأن يشارك جزء مني في خلق المجد في مكان ما بالعالم. أفضِّل أن يحيا جزء مني عظيمًا على أن أحيا تامًّا دون جدوى».

يكاد منطقه الملتوي يبدو معقولًا وهذا يزيدها غضبًا.

تقول: «أتمنى أن تستمتع بوقتك في مخيم الحصاد يا سامسون».

ثم تتركه لتبحث عن مقعد آخر.

تهتف المشرفة في مقدمة الحافلة قائلة: «من فضلكم اجلسوا».

لكن لا أحد يستمع إليها. تمتلئ الحافلة بصبية ينتقلون من مقعد إلى آخر، يحاول بعضهم العثور على من يشبهونهم، ويحاول البعض الآخر تجنبهم. تجد ريسا مقعدًا بجوار النافذة دون أحد بجانبها.

ستشكِّل رحلة الحافلة الخطوة الأولى فقط في سفرها. لقد أوضحوا لها -لكل الصِّبية بعد صعودهم إلى الحافلة- أنهم سيُنقلون أولًا إلى مركز نقل رئيس، حيث سينتظم صبية من عشرات ملاجئ الولايات في مجموعات، لتقلهم الحافلات إلى وجهاتهم المختلفة. ستمتلئ حافلة ريسا التالية بمراهقين مثل سامسون. رائع! لقد فكرت بالفعل في التسلل إلى حافلة أخرى، لكن الرموز الشريطية على الأحزمة التي يضعونها تجعل ذلك مستحيلًا. نُظِّم الأمر على أكمل وجه، ولا مجال للخطأ. رغم ذلك تفكر ريسا في مختلف الاحتمالات التي قد تمكِّنها من الهرب.

عندئذ ترى الفوضى عبر نافذتها. تقف سيارات الشرطة في الأمام على الجانب الآخر من الطريق السريع. بينما تبدِّل الحافلة مسارها ترى شخصين وسط الطريق، فتيين يركضان عبر السيارات. تحيط ذراع أحد الفتيين برقبة الآخر يجذبه، وقد أصبح كلاهما أمام الحافلة مباشرة.

يصطدم رأس ريسا بالنافذة عندما تنحرف الحافلة يمينًا فجأة لتتفادى الفتيين. يملأ الحافلة اللهاث والصراخ، وتسقط ريسا في الممر عندما تتوقف الحافلة توقفًا مباغتًا عنيفًا. يُصاب وركها، لكن إصابتها ليست بالغة، كدمة فقط. تنهض، وتقيِّم الوضع سريعًا. تميل الحافلة جانبًا. لقد حادت عن الطريق، وعلقت بخندق جانبي. الزجاج الأمامي مهشَّم تغطيه الدماء. الكثير منها.

يفحص جميع المراهقين حولها أنفسهم. لم يتأذَّ أحد بشدة مثلها، رغم أن بعضهم يثيرون ضجة أكثر من البعض الآخر. تحاول المشرفة تهدئة فتاة مذعورة.

وسط هذا الاضطراب تدرك ريسا أمرًا! ما يحدث ليس جزءًا من الخطة. وضع القائمون على النظام آلاف الخطط للسيطرة على القُصَّر تحت وصاية الولاية، الذين يحاولون الإخلال بالنظام، لكنهم لا يملكون خطة عمل للتصرف عند وقوع حادث. يصعب التكهن بما قد يحدث في خلال الثواني القليلة التالية.

تثبِّت ريسا نظرها على باب الحافلة الأمامي، تحبس أنفاسها، وتركض نحو الباب.

***

3. ليف

هذا الحفل ضخم، هذا الحفل باهظ التكاليف، هذا الحفل يُخطَّط له منذ سنوات.

يوجد ما لا يقل عن مائتي شخص في قاعة الرقص الكبرى بالنادي الريفي. سُمح لليف بأن يختار الفرقة الموسيقية، وأن يحدد أصناف الطعام. سُمح له أيضًا بأن ينتقي لون المفارش، فاختار الأحمر والأبيض، لونَي فريق سينسيناتي ردز لكرة القاعدة. ونُقش اسمه، ليفي جيدادايا كالدر، بالذهب على المحارم الحريرية، ليأخذها الضيوف معهم عندما يغادرون كتذكار.

هذا الحفل كله من أجله. هو موضوع الحفل، وهو عازم على أن يحظى بأفضل وقت في حياته.

البالغون في الحفل هم أقاربه، وأصدقاء عائلته، وزملاء والديه في العمل، لكن ما لا يقل عن ثمانين شخصًا من الحضور هم أصدقاء ليف من المدرسة، ومن الكنيسة، ومن الفِرق الرياضية المختلفة التي انضم إليها. بالطبع وجد بعض أصدقائه أن من الغريب أن يحضروا الحفل.

منهم من قال: «لا أدري يا ليف. هذا محير قليلًا. أعني... أي نوع من الهدايا قد أحضر؟».

أجاب ليف قائلًا: «ليس عليك إحضار أي شيء. لا تُقدَّم الهدايا في حفل نذر العُشر[1]. فقط تعال واستمتع بوقتك كما **سأستمتع** بوقتي».

وهذا ما يحدث بالفعل.

---

(1) عُشر = Tithe: الابن الذي تنذره العائلات الدينية للتفكيك، كعُشر ما تملك من الأبناء، عند بلوغه الثالثة عشرة. م

يسأل كل فتاة دعاها إلى الحفل الرقص معه، ولا ترده أي منهن. يجعل بعض الأشخاص يرفعونه في كرسي ويرقصون معه حول القاعة، لأنه رآهم يفعلون ذلك في حفل بلوغ صديق يهودي له. هذا الحفل حقًّا من نوع مختلف للغاية، لكنه أيضًا احتفال ببلوغه الثالثة عشرة، لهذا يحق له أن يُرفع عاليًا في كرسي، أليس كذلك؟

يرى ليف العشاء يُقدَّم في وقت مبكر جدًّا. ينظر إلى ساعته ليجد أن ساعتين قد مرتا بالفعل. كيف مر الوقت بهذه السرعة؟

لاحقًا يأخذ البعض مكبر الصوت، حاملين كؤوس الشامبانيا، ويشرعون في شرب نخب ليف. يشرب والداه نخبه. تشرب جدته نخبه. يشرب عم لا يعرفه ليف نخبه.

- إلى ليف. لقد كان من دواعي سروري أن أشاهدك تكبر لتصبح الشاب الرائع الذي أنت عليه. أؤمن في صميم قلبي أنك ستقوم بأشياء عظيمة لكل من ستلمسهم في هذا العالم.

إنه شعور رائع أن يقول الكثير من الناس أشياء لطيفة عنه. هذا كثير، لكنه، على نحو غريب، غير كافٍ. يجب أن يكون هناك المزيد، المزيد من الطعام، المزيد من الرقص. المزيد من الوقت. إنهم يُحضِرون كعكة عيد الميلاد بالفعل. يعلم الجميع أن الحفل ينتهي فور أن تُقدَّم كعكة عيد الميلاد.

لماذا يحضرون الكعكة؟ هل حقًّا مضت ثلاث ساعات منذ بداية الحفل؟ ثم يشرب أحدهم نخبًا آخر. إنه النخب الذي يكاد يفسد الأمسية.

من بين العديد من إخوة ليف وأخواته، ظل ماركوس الأكثر هدوءًا طوال الحفل، وهذا ليس من طبعه. كان يجب على ليف أن يدرك أن شيئًا سيحدث. إن ليف، الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، هو الأصغر من بين عشرة إخوة وأخوات، أما ماركوس، الذي يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، فهو أكبرهم. لقد سافر بالطائرة من أقصى البلاد إلى هنا ليحضر حفل نذر العُشر الخاص بليف، لكنه لم يرقص، لم يتحدث، لم يشارك في أي من الاحتفالات. إنه ثمل أيضًا. لم يرَ ليف ماركوس ثملًا قط.

يحدث الأمر بعد شرب الأنخاب، في أثناء تقطيع كعكة ليف وتوزيعها. لا يبدأ كنخب، بل كلحظة يتشاركها أخوان.

يقول ماركوس وهو يحتضن ليف بقوة: «تهانينا يا أخي الصغير».

يستطيع ليف شم رائحة الكحول تنبعث من أنفاس ماركوس.

يضيف: «أصبحت اليوم رجلًا بالغًا. تقريبًا».

يضحك والدهما، الذي يجلس إلى الطاولة الرئيسة على بعد بضعة أمتار، ضحكة خافتة مضطربة.

يجيبه ليف قائلًا: «شكرًا. تقريبًا».

ثم يلقي نظرة سريعة تجاه والديه. يترقب والده ما سيحدث تاليًا. انقباض وجه والدة ليف يجعله يشعر بالقلق.

يحدق ماركوس إلى ليف مبتسمًا، لكن ابتسامته لا تحمل أيًّا من العواطف التي عادة ما ينقلها الابتسام.

ثم يسأله: «ما رأيك في هذا كله؟».

- إنه رائع!

- بالطبع إنه كذلك! جميع هؤلاء الناس هنا من أجلك. إنها ليلة مذهلة. مذهلة!

يقول ليف: «أجل».

إنه لا يدري إلى أين يتجه هذا الحديث، لكنه واثق من أنه متجه إلى مكان ما.

- أنا أستمتع بوقتي للغاية.

- صحيح تمامًا! وقتك! علينا أن نحشد كل هذه المناسبات، كل هذه الحفلات في واحدة، أعياد الميلاد، وحفلات الزفاف، والجنازات.

ثم يلتفت إلى والدهما، ويقول: «عملي للغاية، أليس كذلك يا أبي؟».

يقول والدهما بصوت خافت: «هذا يكفي».

لكن جوابه يجعل ماركوس يحتد.

- ماذا؟ ألا يُسمح لي بالحديث عن الأمر؟ أجل، صحيح. إنه احتفال. كدت أنسى.

يريد ليف أن يتوقف ماركوس، لكنه في الوقت نفسه لا يريده أن يتوقف.

تقف أمهما، وتقول بصوت أكثر حزمًا من والدهما: «ماركوس، اجلس. أنت تحرج نفسك».

لقد توقف جميع الحضور في قاعة الولائم عما يفعلونه، ويتابعون الآن الدراما العائلية التي تتكشف. يلحظ ماركوس أنه يحظى بانتباه الجميع، فيلتقط كأس شامبانيا نصف فارغة، ويرفعها عاليًا.

يقول: «في صحة أخي الصغير ليف، وفي صحة والدينا! اللذين يفعلان الصواب دائمًا، يفعلان **اللائق** دائمًا. اللذين طالما تبرعا للأعمال الخيرية بسخاء، وطالما منحا كنيستنا عشرًا في المائة من كل ما يملكان. أمي، نحن محظوظون لأن لديك عشرة أبناء بدلًا من خمسة، وإلا كنا سنضطر إلى فصل ليف إلى جزءين عند خصره!».

تصدر عن الحضور شهقات، ويهزون رؤوسهم، مستهجنين سلوك الابن الأكبر المخيِّب للآمال.

ينهض الأب، يقبض على ذراع ماركوس، ويقول: «انتهى! اجلس».

يبعد ماركوس ذراع والده قائلًا: «انتظر، سأفعل ما هو أفضل من الجلوس».

ثم يلتفت إلى ليف وتدمع عيناه: «أحبك يا أخي الصغير، وأعلم أن اليوم مميز لك. لكنني لا أستطيع أن أشارك في ذلك».

يطوِّح بكأس الشامبانيا نحو الحائط، فتتهشم ناثرة قطع الزجاج على مائدة الطعام، ثم يندفع خارجًا في خطوات ثابتة واثقة، تجعل ليف يدرك أنه ليس ثملًا أبدًا.

يشير والد ليف إلى الفرقة الموسيقية، فتشرع في عزف لحن راقص، قبل حتى أن يغادر ماركوس القاعة الرحبة. يشغل الحضور فراغ ساحة الرقص، باذلين ما في وسعهم لصرف لحظة الإحراج بعيدًا.

يقول والد ليف: «أنا آسف بشأن هذا يا ليف. لم لا... لم لا تذهب للرقص؟».

لكن ليف لم يعد يريد الرقص. غادرته الرغبة في أن يصبح محور الاهتمام مع مغادرة أخيه.

- أود التحدث إلى القس دان إن أذنتَ لي.

- بالطبع.

القس دان صديق العائلة من قبل أن يولَد ليف، ولطالما كان الحديث معه حول أي موضوع يتطلب صبرًا وحكمة، أفضل من الحديث مع والديه.

يخرجان إلى الفناء الذي يطل على ملعب الجولف بالنادي الريفي، لأن قاعة الولائم صاخبة ومزدحمة للغاية.

يسأله القس دان: «هل يراودك شعور بالخوف؟».

دائمًا ما يتمكن القس دان من معرفة ما يدور في ذهن ليف.

يومئ ليف، ويقول: «ظننت أنني جاهز. ظننت أنني مستعد».

- هذا طبيعي. لا تدعه يقلقك.

لا تلطِّف تلك الكلمات من شعور ليف بخيبة الأمل في نفسه. لقد ظل طوال حياته يتأهب للأمر. كان يجب أن يكفيه ذلك. لقد عرف ليف أنه عُشر منذ أن كان صغيرًا. دائمًا ما أخبره والداه: «أنت مميز. ستُكرَّس حياتك لخدمة الرب، والإنسانية». لا يذكر كم كان عمره عندما فهم ما يعنيه ذلك بالضبط.

- هل يضايقك زملاؤك في المدرسة؟

يجيبه ليف قائلًا: «لا شيء غير المعتاد».

وهذا صحيح. اضطُر ليف طوال حياته إلى أن يتعامل مع أقران يستاؤون منه، لأن الكبار يعدونه مميزًا. صادف من الصِّبية اللطفاء والقساة. هذه هي الحياة. لكنه كان ينزعج حقًّا عندما يدعونه بألقاب مثل المُفكَّك القذر، كما لو أنه مثل المراهقين *الآخرين*، الذين وقَّع آباؤهم أمر التفكيك ليتخلصوا منهم. هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. إن ليف قرة عين عائلته، تقديراته الدراسية ممتازة، وهو أفضل لاعب في دوري كرة القاعدة للناشئين. كونه سيُفكَّك لا يعني بالضرورة أنه مُفكَّك.

بالطبع هناك بعض الأعشار الآخرين في مدرسته، لكنهم ينتمون إلى أديان أخرى. لهذا لم يشعر ليف بألفة حقيقية تجاههم قط. يشهد الإقبال الكبير على حضور حفل الليلة كم يملك ليف من الأصدقاء، لكنهم لا يشبهونه، سيعيشون حياتهم تامِّين. إن أجسادهم ومستقبلهم ملك لهم. لطالما شعر ليف أنه أقرب إلى الرب منه إلى أصدقائه، أو عائلته حتى. كثيرًا ما تساءل إن كان من يُختار يشعر بالوحدة دائمًا. هل هناك خطب ما به؟

يخبر ليف القس دان: «تراودني الكثير من الأفكار الخاطئة».

- لا توجد أفكار خاطئة، بل أفكار يجب أن نمعن النظر فيها، ثم نتجاوزها.

- حسنًا. أشعر بالغيرة من إخوتي وأخواتي. أظل أفكر في كم سيفتقدني فريق كرة القاعدة. أعلم أنه شرف عظيم أن أكون عُشرًا، لكنني لا أستطيع التوقف عن التساؤل لمَ يجب أن يكون أنا.

لطالما أظهر القس دان براعة في النظر مباشرة إلى أعين محدِّثيه، لكنه الآن يبتعد بنظره.

- حُدِّد الأمر من قبل أن تولَد. لا علاقة لذلك بما فعلته أو لم تفعله.

- لكنني أعرف الكثير من الأشخاص ذوي العائلات الكبيرة.

يومئ القس دان، ويقول: «أجل، هذا شائع للغاية هذه الأيام».

- لكن الكثير من هؤلاء الأشخاص لا ينذرون عُشرًا أبدًا –مثل بعض العائلات في كنيستنا– ولا يلومهم أحد.

- هناك أيضًا من ينذرون طفلهم الأول أو الثاني أو الثالث. قرارات مثل تلك تتخذها كل عائلة على حدة. لقد انتظر والداك طويلًا قبل أن يتخذا قرار إنجابك.

يومئ ليف على مضض. إنه يعلم أن هذا صحيح. إن ليف عُشر حقيقي؛ لديه خمسة أشقاء، وأخ متبنًّى، وثلاثة تُركوا أمام المنزل. هكذا يكون ليف عُشر أبناء عائلته بالضبط. دائمًا ما أخبره والداه أن هذا يزيده تميزًا.

أخيرًا ينظر القس دان إلى عينيه قائلًا: «سأخبرك بشيء يا ليف (تترقرق عيناه، مثل ماركوس، على وشك أن يسيل دمعهما)، لقد شاهدت جميع إخوتك وأخواتك يكبرون. وعلى الرغم من أنني أبغض المحاباة، فإنني أرى أنك أفضلهم في الكثير من النواحي. إن أردت أن أحصيها فسأتحير من أين قد أبدأ. إن هذا ما يطلبه الرب، تفهمني؟ ليس باكورة الثمار، بل أفضلها».

دائمًا ما يعلم القس دان ما يجب قوله ليطمئن ليف.

- أشكرك يا سيدي. أنا مستعد للأمر.

عندما يقول ذلك يدرك أنه، رغم مخاوفه وهواجسه، حقًّا مستعد. هذه هي الغاية من حياته. لكن حفله ينتهي سريعًا.

في الصباح يتوجب على جميع أفراد عائلة كالدار تناول الإفطار في غرفة الطعام، حيث مُدَّت السفرة كاملة. إخوة وأخوات ليف جميعهم حاضرون. لا

يزال القليل منهم فقط يعيش في المنزل، لكنهم جاؤوا جميعًا اليوم من أجل الإفطار، جميعهم باستثناء ماركوس.

على الرغم من كبر حجم العائلة فإن الهدوء يسودهم، وتزيد قرقعة أدوات المائدة الفضية على الآنية الخزفية صمتهم حدة.

يرتدي ليف ثياب العُشر الحريرية البيضاء، ويتناول طعامه بتمهل حتى لا تلطخ أي بقعة ملابسه. بعد الإفطار يطول وداعهم ويتبادلون الأحضان والقبلات. هذا القسم هو الأسوأ. يتمنى ليف أن يدعوه يذهب وينهوا الأمر.

عندما يصل القس دان، الذي حضر بناء على طلب من ليف، يسرعون في وداعه، لا يريد أحد إضاعة وقت القس الثمين. يخرج ليف أولًا ليركب سيارة والده الكاديلاك. بينما يدير والده محرك السيارة ويبتعد بهم، يحاول ليف ألا ينظر إلى الوراء، لكنه لا يستطيع منع نفسه من ذلك. يشاهد منزله يختفي خلفه. يفكر: *لن أرى هذا المنزل ثانية*. لكنه يدفع هذه الفكرة بعيدًا خارج عقله، لأنها عقيمة، غير مجدية، أنانية.

ينظر إلى القس دان، الذي يجلس بجواره في المقعد الخلفي يراقبه، فيبتسم القس له.

يقول: «كل شيء على ما يُرام يا ليف».

سماعه يقول هذا وحده يجعل الأمر كذلك.

يسألهم ليف: «كم يبعد مخيم الحصاد؟».

تقول أمه: «يبعد قرابة ساعة واحدة من هنا».

- و... هل سيمضون في الأمر على الفور؟

ينظر والداه بعضهما إلى بعض.

يقول والده: «سيكون هناك عرض توجيهي بالتأكيد».

يدرك ليف من هذا الرد المقتضب أنهم لا يعلمون أكثر مما يعلم.

عندما يدخلون الطريق السريع، يفتح ليف النافذة ليلامس وجهه الهواء، ويغمض عينيه ليتأهب.

هذا ما وُلدتُ من أجله. هذا ما قد عشتُ حياتي من أجله. اختارني الرب وباركني، وأنا سعيد.

فجأة يدوس والده المكابح. لا يرى ليف سبب توقفهم المباغت لأن عينيه مغمضتان. يشعر فقط بالسيارة تتباطأ تباطؤًا عنيفًا، وبحزام الأمان يشد على كتفه. يفتح عينيه ليرى أنهم قد توقفوا على الطريق السريع. تومض كشافات سيارات الشرطة. و... هل كان ما سمعه للتو طلقة نارية؟

- ما الذي يحدث؟

عندئذ يرى فتى آخر يكبره ببضعة أعوام أمام نافذته بالضبط. يبدو الفتى خائفًا. يبدو الفتى خطرًا. يسرع ليف ليغلق نافذته، لكن قبل أن يستطيع فعل ذلك، يمد الفتى يده، يرفع القفل، ويفتح الباب. يتجمد ليف في مكانه، ولا يدري كيف يتصرف.

يهتف قائلًا: «أمي؟ أبي؟».

يجذب الفتى، الذي تتقد عيناه غضبًا، قميص ليف الحريري الأبيض، يحاول أن يسحبه خارج السيارة، لكن حزام الأمان يحكم تثبيته.

- ما الذي تفعله؟ اتركني!

تصرخ والدة ليف في والده ليفعل شيئًا، لكنه يحاول مرتبكًا فك حزام الأمان الذي يضعه.

يقترب الفتى المجنون، ويفك حزام الأمان الذي يضعه ليف في حركة واحدة سريعة. يمد القس دان يده يحاول أن يمسك بالدخيل، لكنه يعالجه بلكمة قوية سريعة، وكزة موجَّهة إلى فك القس دان مباشرة. يفزع ليف من مرأى هذا العنف أمامه، ويتشتت انتباهه في لحظة حرجة، فيجذبه المجنون مجددًا. يسقط ليف من السيارة هذه المرة، ويصطدم رأسه بالرصيف. عندما ينظر إلى الأعلى يجد والده يخرج من السيارة أخيرًا، لكن الفتى المجنون يدفع باب السيارة تجاهه بقوة تطيح به.

- أبي!

يسقط والده في طريق سيارة مقبلة. تنحرف السيارة وتتمكن –حمدًا للرب– من أن تتفاداه، لكنها تقطع طريق سيارة أخرى وتصطدم بها. تدور تلك السيارة خارجة عن السيطرة، ويدوي صوت الاصطدام. يجذب الفتى ليف مرة أخرى ليقف على قدميه، ويمسك بذراعه يسحبه. إن ليف صغير الحجم قياسًا بعمره، ويكبره هذا الفتى ببضعة أعوام، ويفوقه حجمًا. لهذا لا يستطيع ليف التملص منه.

يصيح ليف قائلًا: «توقف! يمكنك أن تأخذ أي شيء تريده. خذ محفظتي».

يقول ليف ذلك رغم أنه لا يملك محفظة. يضيف: «خذ السيارة. لكن لا تؤذِ أحدًا».

لا يُتاح للفتى التفكير في أخذ السيارة سوى لحظة واحدة فقط، الآن يطير الرصاص حولهما. لقد أوقف ضباط الشرطة، الذين يشغلون الطريق المتجه جنوبًا، حركة المرور على جانبهم من الطريق السريع، ووصلوا إلى الحاجز الأوسط الذي يفصل بين الطريق المتجه شمالًا والطريق المتجه جنوبًا. يطلق أقرب ضابط شرطة عليهم الرصاص مجددًا. تضرب رصاصة مخدِّرة السيارة الكاديلاك، ويتناثر محتواها.

يحيط الفتى المجنون رقبة ليف بذراعه، يبقيه بينه وبين ضباط الشرطة. يدرك ليف أنه لا يريد سيارة أو مالًا، بل يريد رهينة.

- كف عن المقاومة فأنا أملك مسدسًا!

يشعر ليف بالفتى ينكز جانبه. يدرك ليف أن هذا ليس مسدسًا، بل إصبع الفتى. لا شك أن هذا الفتى مضطرب، ولا يريد أن يتركه.

يقول ليف محاولًا إقناعه: «لا نفع لي كدرع بشري. إنهم يطلقون رصاصًا مخدِّرًا. هذا يعني أن ضباط الشرطة لن يبالوا بإصابتي، لأنهم سيفقِدونني الوعي فقط».

- أنت بدلًا مني.

بينما يجتازان السيارات، التي تنحرف لتتفاداهما، ينتشر الرصاص حولهما.

- رجاءً! أنت لا تفهم. لا يمكنك أن تأخذني الآن فاليوم أُنذَر عُشرًا. سيفوتني الحصاد! ستدمر كل شيء!

تتبدى لمحة من الإنسانية في عينَي المجنون أخيرًا.

- **أنت مُفكَّك؟**

هناك الكثير من الأشياء التي تستدعي غضب ليف، لكن ما دُعي به للتو يجعله حانقًا.

- **أنا عُشر!**

يسمع ليف دوي بوق، يلتفت فإذا هناك حافلة تندفع ناحيتهما. تنحرف الحافلة عن الطريق لتتفاداهما، قبل أن يتمكن أي منهما من الصراخ، فتصطدم مقدمتها بجذع سميك لشجرة بلوط ضخمة، وتتوقف عن الحركة تمامًا.

تغطي الدماء زجاج الحافلة الأمامي المهشّم. إنها دماء السائق العالق في المنتصف، ولا يتحرك.

يصيح المجنون صيحة حادة قائلًا: «تبًّا!».

لقد غادرت فتاة الحافلة للتو. ينظر الفتى المجنون إليها، إنه مشتّت الانتباه. عندئذ يدرك ليف أن أمامه الآن آخر فرصة قد يحظى بها للفرار. إن هذا الفتى شرس، ولكي يتغلب عليه ليف يجب أن يصبح شرسًا مثله. لهذا يمسك ليف بالذراع المثبّتة حول عنقه، ويغرز أسنانه فيها بقوة فكيه الكاملة حتى يتذوق طعم الدماء. يصرخ الفتى ويفلته، ويركض ليف نحو سيارة والده.

بينما يقترب من السيارة ينفتح بابها الخلفي. إنه القس دان يفتح الباب ليتلقاه، لكن التعبير الذي يرتسم على وجهه أبعد ما يكون عن السعادة.

يبدو وجه القس دان متورمًا من جراء لكمة الفتى المجنون العنيفة.

يقول بصوت خافت متهدج لا يألفه ليف: «اهرب يا ليف!».

لم يكن ليف يتوقع هذا. يقول: «ماذا؟!».

- اهرب! اركض بأسرع ما تستطيع وإلى أبعد ما يمكنك. **اهرب!**

يقف ليف في مكانه عاجزًا، غير قادر على الحركة، غير قادر على استيعاب ما يحدث. لماذا يطلب منه القس دان أن يهرب؟ ثم يشعر فجأة بألم في كتفه، ويأخذ العالم في الدوران من حوله، حتى يغيب في الظلام.

***

4. كونر

يشعر كونر بألم شديد في ذراعه. لقد عضَّه ذلك الوحش الصغير، كاد أن ينتزع قطعة من ساعده. تُضغط مكابح سيارة أخرى لتتفادى الاصطدام به فتُصدم من الخلف. لقد توقف إطلاق الرصاصات المخدِّرة، لكنه يعلم أن هذا التوقف وقتيٌّ. لقد شتَّتت الحوادث انتباه ضباط شرطة الأحداث قليلًا، لكن هذا لن يستمر طويلًا.

عندئذ تلتقي عيناه بعينَي الفتاة التي غادرت الحافلة. يظن أنها ستسرع إلى الأشخاص الذين يغادرون سياراتهم لتساعدهم، لكنها تنطلق راكضة نحو الغابة. هل فقد العالم بأجمعه صوابه؟

يستدير لينطلق بدوره إلى الغابة، ممسكًا بذراعه النازفة التي تؤلمه، لكنه يتوقف. يلتفت فيرى الفتى الذي يرتدي الأبيض قد وصل إلى سيارته للتو. لا يدري كونر أين ضباط شرطة الأحداث. لا شك أنهم يتربصون به في مكان ما وسط شبكة السيارات تلك. عندئذ يتخذ كونر قرارًا لحظيًّا. يعلم أنه قرار غبي، لكنه لا يستطيع منع نفسه. لا يرى سوى أنه تسبب في موت سائق الحافلة اليوم، وربما هناك المزيد. عليه أن يوازن الأمر بطريقة ما، وإن خاطر من أجل ذلك بكل شيء. عليه أن يفعل شيئًا صالحًا، شيئًا جيدًا، ليعوض عن عواقب هروبه الوخيمة. لهذا يصارع غريزة حفظ الذات، ويركض نحو الفتى ذي الملابس الأبيض، الذي كان سعيدًا بذهابه إلى التفكيك.

بينما يقترب كونر يرى ضابط الشرطة على بعد عشرين ياردة، يرفع مسدسه، ويصوِّب. لم يكن عليه المجازفة! كان يجب أن يفر عندما كان الفرار ممكنًا. ينتظر كونر وخزة الرصاصة المخدِّرة المميَّزة، لكنها لا تصل أبدًا، لأنه في اللحظة التي تُطلَق فيها الرصاصة، يأخذ الفتى الذي يرتدي الأبيض خطوة

إلى الوراء، وتصيب الرصاصة كتفه. تنثني ركبتا الفتى في ثوانٍ، ويسقط فاقدًا الوعي بعد أن تلقى الرصاصة، عن غير قصد، بدلًا من كونر.

لا يضيِّع كونر وقتًا. يرفع الفتى من الأرض ويحمله على كتفه. تطير الرصاصات المخدِّرة حولهما، لكن لا يصيب أيٌّ منها هدفه. في غضون بضع ثوانٍ يجتاز كونر الحافلة، التي يغادرها جماعة الصبية المذعورين، ويمضي وسطهم متجهًا إلى الغابة.

الغابة كثيفة، تملؤها الأشجار والشجيرات والكروم، لكن هناك مسارًا بالفعل من الفروع المحطَّمة والشجيرات المتباعدة، شقَّته الفتاة التي هربت من الحافلة. لا ينقصهم سوى أسهم تدل الشرطة على طريقهم. يرى الفتاة أمامه فينادبها.

- توقفي!

تلتفت، لحظات فقط، ثم تواصل شق طريقها عبر الكثافة التي تحيط بها.

يضع كونر الفتى ذا الملابس البيضاء أرضًا بحذر، ويسرع إلى الأمام للحاق بها. يمسك بذراعها برفق، لكن بحزم يكفي كي لا تبعده. يقول: «أيًّا كان من تهربين منه فلن تستطيعي الفرار ما لم نتعاون معًا».

يلقي نظرة سريعة خلفه ليتحقق أن ضباط شرطة الأحداث ليسوا في مرمى النظر. إنهم لم يقتربوا بعد.

- رجاءً. ليس لدينا متسع من الوقت.

تتوقف الفتاة عن مغالبة الدغل وتنظر إليه.

- ما الذي تقترحه؟

***

5. الشرطي

لقد أمضى الشرطي ج. ت. نيلسون اثني عشر عامًا يعمل في شرطة الأحداث. يعلم أن المُفكَّكين الهاربين من التفكيك لن يستسلموا ما لم يفقدوا وعيهم. إنهم يدمنون الأدرينالين، وكثيرًا ما يدمنون موادًا غير مشروعة أخرى أيضًا، مثل النيكوتين، والكافيين، وما هو أكثر سوءًا. يتمنى أن يكون رصاصه حقيقيًا. يتمنى أن يتمكن من التخلص من هؤلاء النفايات حقًا بدلًا من إفقادهم الوعي فقط. ربما حينها لن يكون فرارهم بتلك السرعة، وإن فعلوا، حسنًا، ليس في هلاكهم خسارة فادحة.

يتبع الشرطي المسار الذي شقه المُفكَّك الهارب عبر الغابة، إلى أن يصل إلى كتلة على الأرض. إنه الرهينة، مُلقى على الطريق، لطخت أوراق الأشجار ثيابه باللون الأخضر، ولطخها الوحل باللون البني. يفكر الشرطي: جيد. من الجيد أن هذا الغلام هو من تلقى تلك الرصاصة في نهاية الأمر. ربما فقدان هذا الفتى الوعي أنقذ حياته. من يدري إلى أين كان سيأخذه المُفكَّك، أو ما كان سيفعله به.

يسمع صوتًا قريبًا منه يقول: «ساعدني!».

إنه صوت فتاة. لم يكن الشرطي يتوقع ذلك.

- ساعدني، رجاءً. لقد أُصبت!

في موضع أكثر توغلًا في أدغال الغابة تجلس فتاة مستندة إلى شجرة، تمسك بذراعها، وتعبس متألمة. لا يملك الوقت لذلك، لكن الحماية والخدمة هما واجب الشرطي. يتمنى في بعض الأحيان لو أنه لا يتمتع بمثل تلك النزاهة الأخلاقية.

يذهب إلى الفتاة، ويقول: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

- كنت على متن الحافلة. غادرتها وهربت لأنني كنت أخشى أن تنفجر. أظن أن ذراعي قد كُسرت.

ينظر إلى ذراع الفتاة، لا يبدو عليها أثر كدمة حتى. هذه هي الإشارة الأولى التي يجب أن تنبِّهه، لكن اللحاق بالفتى الهارب يشغل عقله فلم يتمكن من ملاحظة ما أمامه.

- انتظري هنا. سأعود على الفور.

عندما يستدير ليواصل مطاردته، يسقط شيء من أعلى فوقه. ليس **شيئًا**، بل **أحدًا**، إنه المُفكِّك الهارب!

يُطرح الشرطي أرضًا، ويهاجمه شخصان فجأة، المُفكِّك والفتاة. لقد حاكا الأمر معًا. كيف كان بهذا الغباء؟ يمد يده ليلتقط مسدس التخدير خاصته، لكنه لا يجده، بل يشعر بفوهته على فخذه اليسرى، ويرى النصر في عينَي المُفكِّك القاتمتين الضاريتين.

يقول المُفكِّك: «نومًا هنيئًا».

يشعر الشرطي بألم في ساقه، ويغيب العالم من حوله.

***

6. ليف

يُوقِظ ليف ألمٌ خفيفٌ في كتفه. يظن أنه لم ينم في وضعية مريحة، لكنه سرعان ما ينتبه إلى أن هذا الألم ناتج عن إصابة. لقد أصابت رصاصة مخدِّرة كتفه اليسرى، لكنه لم يدرك ذلك بعد. يبدو ما عاشه قبل اثنتي عشرة ساعة كسحاب خافت طُمست معالمه داخل عقله. لا يذكر ليف سوى أنه كان في طريقه لأن يُنذَر عُشرًا، ثم اختطفه مراهق مجرم. وعلى نحو غريب، تظل صورة القس دان تعاوده. كان القس دان يطلب منه الهروب. لا بد أن ذاكرته مخطئة. لن يفعل القس دان شيئًا كهذا أبدًا.

عندما يفتح ليف عينيه يرى كل شيء ضبابيًا، ولا يدري أين هو. لقد حل الليل، وهو ليس حيث يجب أن يكون. يجلس الفتى المجنون الذي اختطفه بالقرب من نار موقَدة ضئيلة. هناك فتاة أيضًا.

عندئذ يتذكر أنه أُصيب برصاصة مخدِّرة. يؤلمه رأسه، يشعر أنه قد يتقيأ، ولا يزال عقله لم يفِق تمامًا. يحاول أن يقف، لكنه لا يستطيع. في بادئ الأمر، يظن أن المخدِّر هو السبب في ذلك، ثم يدرك أنه مقيَّد إلى شجرة بعيدان غليظة.

يحاول أن يتحدث، لكنه يلفظ آهة خافتة ويخرِج معها الكثير من اللعاب. ينظر الفتى والفتاة إليه، بالتأكيد سيقتلانه الآن. لقد أبقياه على قيد الحياة فقط حتى يقتلاه عندما يستيقظ. هكذا هم المجانين.

يقول الفتى ذو العينين البرِّيتين: «انظروا من عاد من بلدة المهدئات»، لكن عينيه لا تبدوان برِّيتين الآن، بل شعره، يبدو غير مرتَّب كما لو أنه قد استيقظ من النوم لتوه.

على الرغم من أن ليف يشعر بلسانه كالمطاط، فإنه ينجح في نطق كلمة واحدة: «أين...».

يقول الفتى: «لست واثقًا».

ثم تضيف الفتاة: «لكنك في أمان على أي حال».

يفكر ليف: *أمان؟ أي أمان قد يكون في وضع كهذا؟*

يقول ليف بصعوبة: «ر.. ر.. رهينة؟».

ينظر الفتى إلى الفتاة ثم يعيد نظره إلى ليف، ويقول: «تقريبًا. هكذا أظن». يتبسط هذان الاثنان في الحديث كما لو أنهم جميعًا أصدقاء. يفكر ليف: *يحاولان أن يمنحاني شعورًا زائفًا بالأمان، يحاولان أن يكسبا ودي لأشارك في أي أنشطة إجرامية قد خططا لها*. هناك مصطلح يصف هذا الوضع، أليس كذلك؟ عندما تنضم الرهينة إلى دعوى خاطفيها؟ متلازمة شيء *ما*.

ينظر الفتى المجنون إلى كومة من التوت والمكسرات، يبدو واضحًا أنها جُمعت من الغابة، ثم يسأله: «جائع؟».

يومئ ليف، لكن الإيماء يجعل رأسه يدور بشدة. هكذا يدرك أنه مهما بلغ جوعه فمن الأفضل له ألا يأكل شيئًا، لأنه سيتقيؤه في الحال.

يقول: «لا».

تقول الفتاة: «تبدو مشوَّشًا، لكن لا تقلق. إنه تأثير المخدِّر. سيزول سريعًا».

متلازمة *استوكهولم!* هذا هو! حسنًا، لن يخدع هذان الخاطفان ليف. لن ينضم إليهما أبدًا.

طلب مني القس دان أن أهرب. ماذا كان يقصد؟ هل كان يقصد أن أهرب من الخاطفين؟ ربما، *لكنه بدا يعني شيئًا مختلفًا تمامًا*. يغلق ليف عينيه طاردًا الفكرة بعيدًا.

يتمكن ليف أخيرًا من التلفظ بعبارة كاملة، يقول: «سيبحث والداي عني».

لا يجيبانه لأنهما على الأرجح يعلمان أن هذا صحيح.

يسأل ليف: «ما قيمة الفدية؟».

يقول الفتى المجنون: «فدية؟ لا توجد فدية. لقد اختطفتك لأنقذك يا أحمق!».

لينقذه؟ يحدق إليه ليف ذاهلًا. يقول: «لكن... لكن نذري عُشرًا...».

ينظر الفتى المجنون إليه ويقول هازًا رأسه: «لم أرَ فتى يتعجل تفكيكه هكذا قط».

لا جدوى من محاولة تفسير معنى نذر العُشر الحقيقي، وكيف يُعَد بذل النفس النعمة الكبرى، إلى هذين الزوجين من الجاحدين. لن يفهما أو يهتما أبدًا. أنقذاه؟ لم ينقذاه بل لعناه.

ثم يدرك ليف شيئًا، يدرك أن باستطاعته استغلال هذا الموقف بأكمله لمصلحته.

يقول محاوِلًا أن يبدو هادئًا بقدر ما يستطيع: «اسمي ليف».

تقول الفتاة: «سعدت بلقائك يا ليف. أنا ريسا، وهذا كونر».

يحدجها كونر بنظرة غاضبة تؤكد أنها أخبرته باسميهما الحقيقيين. ليس من الصائب أن يفعل مختطفو الرهائن ذلك، لكن معظم المجرمين أغبياء هكذا.

يقول كونر: «لم يكن من المفترَض أن تصيبك الرصاصة المخدِّرة، لكن الشرطي أخطأ الهدف».

يقول ليف: «هذا ليس خطأك».

رغم أنه يرى أن الخطأ كله خطأ كونر. يفكر فيما حدث، ويقول: «لم أكن لأهرب من نذري عُشرًا أبدًا».

هذا ما يوقن ليف بصحته.

يقول كونر: «إذًا من الجيد أنني كنت في الجوار».

تقول ريسا: «أجل. لو لم يقطع كونر الطريق السريع ركضًا، لكانوا على الأرجح قد انتهوا من تفكيكي أيضًا الآن».

يسود الصمت قليلًا، ثم يقول ليف كاظمًا غضبه ونفوره: «شكرًا لك. شكرًا لك على إنقاذي».

يقول كونر: «لا عليك».

جيد. سيدعهما يظنان أنه ممتن لهما. سيدعهما يظنان أنهما يكسبان ثقته. وعندما يركنان إلى شعور زائف بالأمان، سيعمل على أن ينالا ما يستحقانه بالضبط.

***

7. كونر

كان يجب على كونر أن يحتفظ بمسدس ضابط شرطة الأحداث، لكنه لم ينتبه للأمر. أصابه الذعر لأنه قد خدر شرطيًا مستخدِمًا مسدسه الخاص. لقد ألقاه وركض، كما ألقى حقيبته على الطريق السريع ليتمكن من حمل ليف. تحتوي تلك الحقيبة على محفظته وكل ما يملك من مال. كل ما يملكه الآن هو وبر جيوبه.

لقد تأخر الوقت الآن، أو بالأحرى، الوقت مبكر، الفجر في بزوغ. ظل كونر وريسا يتنقلان عبر الغابة قدر استطاعتهما طوال اليوم، واضطُر كونر إلى أن يحمل عُشرًا فاقدًا الوعي طوال ذلك. عندما حل الليل تناوب هو وريسا على المراقبة والنوم.

يعلم كونر أن ليف لا يمكن الوثوق به، ولهذا قيَّده إلى الشجرة. وليس هناك ما يجعله يثق في هذه الفتاة التي غادرت الحافلة ركضًا أيضًا. إن ما يجمعهم هو رغبتهم المشتركة في البقاء على قيد الحياة.

لقد غاب القمر عن السماء الآن، لكن وهجًا خافتًا يعد بحلول الفجر سريعًا. لا شك أن وجوههم أصبحت الآن في كل مكان. *هل رأيتم هؤلاء المراهقين؟ لا تقتربوا منهم. إنهم خطرون للغاية. اتصلوا بالشرطة على الفور*. من المضحك كم أضاع كونر من الوقت في المدرسة محاوِلًا إقناع الآخرين بأنه خطر، لكنه في حقيقة الأمر لم يكن واثقًا قط من كونه بتلك الخطورة. ربما يُعَد خطرًا على نفسه فقط.

يراقبه ليف طوال الوقت. كان جفنا الفتى ثقيلين ورأسه يميل إلى جانب واحد، لكن اليقظة تبرز الآن في هاتين العينين. رغم خفوت ضوء النار التي تخبو يستطيع كونر رؤيتهما، عينين زرقاوين ثاقبتين. هذا الفتى غريب

الأطوار. لا يدري كونر ما الذي يجري على كوكب ليف بالضبط، وليس واثقًا تمامًا من رغبته في معرفة ذلك.

يقول ليف: «ستُصاب تلك العضَّة بالعدوى إن لم تعتنِ بها».

ينظر كونر إلى البقعة على ذراعه حيث عضَّه ليف، لا تزال حمراء ومتورمة. لقد تجاهل ألمه حتى ذكَّره ليف به.

- سأتصرف.

يواصل ليف تفحصه، ويقول: «لمَ أنت قيد التفكيك؟».

لا يروق كونر هذا السؤال للكثير من الأسباب.

- تقصد لم **كنت** قيد التفكيك، لأنني، كما ترى، لن أخضع للتفكيك بعد الآن.

- سيحدث إن أمسكوا بك.

تنتاب كونر الرغبة في لكم الفتى ليمحو الاعتداد بالنفس الذي يعلو وجهه، لكنه يتمالك نفسه. لم ينقذ الفتى ليضربه.

يسأله كونر: «إذًا كيف ترى العيش مدركًا طوال حياتك أنك سيُضحَّى بك في النهاية؟».

وجَّه سؤاله كوكزة، لكن ليف يأخذه على محمل الجد.

- إنه أفضل من أن تخوض الحياة دون أن تدري غايتك.

لا يدري كونر إن كان بهذا الجواب يقصد إرباكه، كأنه يقول إنه لا يرى في حياته معنى. يجعله ذلك يشعر *أنه* المقيد إلى الشجرة، لا ليف.

يقول كونر: «أظن أن الوضع قد يكون أكثر سوءًا. كان من الممكن أن ينتهي بنا المطاف إلى أن نصبح مثل همفري دنفي».

تعلو الدهشة وجه ليف عند سماعه الاسم.

يقول: «هل تعرف هذه الحكاية؟ كنت أظنها تُروى في حيِّنا فقط».

يقول كونر: «لا، يرويها الأطفال في كل مكان».

تقول ريسا التي استيقظت للتو: «إنها مختلَقة».

يقول كونر: «ربما. في إحدى المرات حاولت أنا وصديق لي أن نتقصى الحكاية، في أثناء تصفحنا أحد أجهزة الحاسب في المدرسة. صادفنا أحد

المواقع الإلكترونية يتحدث عن الحكاية وكيف جُنَّ والدا الفتى، ثم تعطل الحاسب. تبيَّن فيما بعد أن فيروسًا أصاب الحاسب وعطل خادم الحي بأكمله. مصادفة؟ لا أظن ذلك».

يصغي ليف إلى حديثه بانتباه، لكن ريسا تبدو ضجِرة قليلًا، تقول: «حسنًا، لن أنتهي كهمفري دنفي أبدًا لأنني لا أملك والدين ليُصابا بالجنون».

ثم تقف. ينحي كونر بصره عن النار الذاوية فيجد أن الفجر قد حل.

تقول ريسا: «إذا كنا نريد الهروب دون أن يمسكوا بنا فيجب علينا أن نغيِّر مسارنا مجددًا. يجب علينا أيضًا أن نحاول التنكر».

يقول كونر: «كيف؟».

- لا أدري. نبدِّل ملابسنا أولًا. قد نغيِّر قصات شعرنا. سيبحثون عن فتيين وفتاة. قد أتنكر كفتى.

يتأملها كونر ويبتسم. إن ريسا جميلة. ليس على طريقة أريانا، بل أفضل. يعتمد جمال أريانا على مساحيق التجميل وحقن الصبغات وما شابه، أما ريسا فجمالها طبيعي.

يمد كونر يده عفويًّا ليلمس شعرها، ويقول بلطف: «لا أعتقد أن أحدًا قد ينخدع بكونك فتى...».

فجأة تُجذَب يده خلفه، يدور جسده، وتلوي ريسا ذراعه لأعلى بقوة. يشعر بألم شديد لا يمكِّنه من أن ينطق، لا يستطيع سوى التأوه.

تخبره ريسا: «إذا لمستني ثانية فسأقتلع ذراعك. فهمت؟».

- أجل، أجل، حسنًا، ممنوع اللمس، فهمت.

يضحك ليف عند شجرة البلوط، يبدو مغتبطًا لأن كونر يتألم.

تفلته، لكن كتفه لا تزال تنبض ألمًا.

يقول كونر محاوِلًا ألا يبدي تألمه: «لم يكن هناك داعٍ لأن تفعلي ذلك. لم أكن لأؤذيكِ أو ما شابه».

تخبره ريسا بصوت يبدو به بعض الشعور بالذنب لقسوتها عليه: «أجل، حسنًا، لن تفعل بعد الآن بالتأكيد. لا تنسَ أنني عشت في ملجأ ولاية».

يومئ كونر. إنه يدري بحال أطفال ملاجئ الولايات. عليهم أن يتعلموا كيف يحمون أنفسهم في سن صغيرة، وإلا فستكون حياتهم شاقة. كان يجب عليه أن يدرك أن عليه التزام الحذر عند التعامل معها.

يقول ليف: «عذرًا، لكن لن يمكننا الذهاب إلى أي مكان ما دمت مقيَّدًا إلى شجرة».

لا يعجب كونر النظرة الانتقادية في عينَي ليف.

- كيف لنا أن نعرف أنك لن تهرب؟

يقول ليف: «لن تعرفا، لكنني رهينة حتى تحلَّا قيدي. عندما أتحرر سأصبح هاربًا مثلكما. أنا العدو مقيَّد، والصديق طليق».

يقول كونر: «فقط إن لم تهرب».

تشرع ريسا في فك العيدان بنفاد صبر. تقول: «ما دمنا لا نرغب في تركه هنا فسنغامر».

يجثو كونر ليساعدها، ويصبح ليف حرًّا في بضع لحظات. يقف ويتمطى، مُدلِّكًا موضع إصابته بالرصاصة المخدرة في كتفه. لا يزال يصعب على كونر قراءة عينَي ليف الزرقاوين كالجليد، لكن ليف لا يهرب.

يفكر كونر: *ربما، ربما قد تخطَّى واجب العُشر. ربما بدأ يدرك أخيرًا المغزى من عيش الحياة.*

***

8. ريسا

تنزعج ريسا من أغلفة الأطعمة وقطع البلاستيك المخلَّفة، التي بدؤوا يصادفونها في الغابة، لأن العلامة الأولى الدالة على المدنية هي القمامة. تعني المدنية أن الناس قد يتعرفون إليهم إن فضحت وجوهَهم شبكاتُ إذاعة الأخبار.

تدرك ريسا أن بقاءهم بعيدين تمامًا عن الاحتكاك بالبشر غير ممكن. لا تراودها الأوهام حول فرصهم أو قدرتهم على البقاء مختفين. على الرغم من أنهم يجب أن يظلوا مجهولين، فإنهم لا يستطيعون النجاة بمفردهم. إنهم في حاجة إلى مساعدة الآخرين.

بينما تزداد علامات المدنية حولهم يسرع كونر في الرد قائلًا: «لا، لا نحتاج إليهم». لا توجد قمامة فقط الآن، بل وبقايا جدار حجري بطول الركبة تكسوه الطحالب، وبقايا برج كهرباء قديم صدئ عندما كانت الكهرباء تُنقل عبر أسلاك».

- لسنا في حاجة إلى أحد، سنأخذ ما نحتاج إليه.

تتنهد ريسا محاوِلة الحفاظ على صبرها، الذي بدأ ينفد بالفعل.

تقول: «أنا واثقة من أنك بارع في السرقة، لكنني لا أظنها فكرة جيدة».

يبدو أن تلميحها أشعر كونر بالإهانة.

يقول: «ما الذي تظنينه؟ هل سيمنحنا الناس الطعام وأي شيء نحتاج إليه لأنهم طيبو القلب؟».

تقول ريسا: «لا، لكن إن تعاملنا مع الأمر بحذر بدلًا من الاندفاع دون تفكير، ستزيد فرصتنا في النجاة».

كلماتها، أو ربما فقط نبرتها المتعالية المتعمَّدة تجعل كونر يبتعد غاضبًا.

تلحظ ريسا أن ليف يتابع جدالهما من بُعد. تفكر ريسا: *إن كان سيهرب، فإن الآن هو الوقت المناسب لفعل ذلك، في أثناء انشغالي أنا وكونر بالجدال.* ثم تجدها فرصة رائعة لاختبار ليف، والتوثق من إن كان يساندهما الآن حقًا، أم أنه ينتظر اللحظة المواتية للهرب.

تحاول ريسا جاهدة أن تبقي الجدال قائمًا فتصيح على كونر قائلة: «كيف تجرؤ على تجاهلي؟».

وتراقب ليف طوال الوقت لترى إن كان سينطلق هاربًا.

تضيف: «لم ينتهِ حديثي معك!».

يلتف كونر إليها، ويقول: «من قال إن عليَّ أن أستمع؟».

- ستفعل إن كان لديك بعض العقل، لكن يبدو واضحًا أنك تعدمه!

يقترب كونر منها حتى يصل إلى نقطة، أبعد مما ترحب بأن يصل إليها أحد.

يقول: «لولاي لكنتِ في طريقك إلى مخيم الحصاد!».

ترفع ريسا يدها لتبعِده، لكن يده تسبقها، ويمسك برسغها قبل أن تتمكن من دفعه. عندئذ تدرك ريسا أنها قد تمادت. ما الذي تعرفه حقًا عن هذا الفتى؟ كان قيد التفكيك. ربما هناك سبب لذلك، وربما يكون سببًا وجيهًا.

تحرص ريسا على ألا تقاومه، لأن أي مقاومة منها في صالحه. تُحمِّل نبرة صوتها بأسها كله.

- اتركني.

- لماذا؟ ما الذي تظنين أنني سأفعله بكِ بالضبط؟

تقول ريسا: «هذه هي المرة الثانية التي تلمسني فيها دون إذن».

يظل ممسكًا برسغها، لكنها تلحظ أن قبضته ليست بهذا التوعد، ليست محكَمة بل مرتخية، ليست خشنة بل مترفِّقة. يسهل أن تسحب يدها منه بدَفعة من رسغها دون عناء. إذًا لم لا تفعل؟

تعلم ريسا أنه يفعل هذا ليوضِّح أمرًا، لكن ريسا لا تدري أي أمر يكون هذا. هل يحذرها من أنه يستطيع أن يؤذيها إن أراد؟ أم ربما تكمن رسالته في الرفق الذي يبدو في قبضته، كأنه يقول بطريقته الخاصة إنه ليس فتى مؤذيًا.

تفكر ريسا: حسنًا، لا يهم. يظل التعدِّي المترفِّق تعدِّيًا.

تنظر إلى ركبته. تكفي ركلة موجَّهة بدقة لكسر رضفة ركبته.

تهدده قائلة: «يمكنني أن أطرحك أرضًا في ثانية».

قد يكون قلِقًا لكنه لا يبدو كذلك.

- أعلم.

هو أيضًا يشعر بطريقة ما أنها لن تفعل ذلك، وأن المرة الأولى كانت رد فعل تلقائيًّا منها وحسب. إن كانت ستؤذيه ثانية فستكون عامدة، ستؤذيه بمحض إرادتها.

تقول: «ابتعد».

يفتقر صوتها الآن إلى القوة التي بدت به قبل بضع لحظات فقط.

يستجيب لها هذه المرة، يتركها ويبتعد مسافة مقبولة. كان من الممكن أن يؤذي أحدهما الآخر، لكنهما لم يفعلا. لا تدري ريسا ماذا يعني هذا بالضبط، لا تعلم سوى أنها غاضبة منه لمزيج من الأسباب التي لا يمكنها تحديدها.

يهتف بهما صوت من جهة اليمين فجأة.

- هذا مسلٍّ للغاية، لكنني لا أظن أن الجدال سيساعدنا كثيرًا.

إنه ليف. تدرك ريسا أن نتائج حيلتها الصغيرة جاءت عكسية. لقد عزمت على اختبار ليف بجدال زائف، لكنه أصبح حقيقيًّا، وفي أثناء ذلك نسيت أمره تمامًا. كان من الممكن أن يهرب، ولم يكونا لينتبها لذلك سوى بعد رحيله بوقت طويل. توجِّه نظرة غاضبة إلى كونر لتحكم خطتها، ثم يواصل ثلاثتهم السير. بعد عشر دقائق، عندما يبتعد ليف ليقضي حاجته متواريًا، يتحدث كونر إلى ريسا مجددًا.

يقول كونر: «حيلة جيدة. لقد نجح الأمر».

- ماذا؟

يميل كونر نحوها، ويهمس قائلًا: «الجدال. لقد افتعلتِه لتري إن كان ليف سيهرب عندما نغفل عنه، أليس كذلك؟».

تصيب الدهشة ريسا، وتقول: «أدركت ذلك؟».

ينظر كونر إليها، يبدو عليه بعض التسلي، ويقول: «حسنًا... أجل».

كانت ريسا تشك بأمره من قبل، أما الآن فقد أصبح الوضع أكثر سوءًا، إنها لا تعلم ماذا تظن بشأنه.

- إذًا كان كل ما حدث هناك عرضًا؟

الآن يحين دور كونر ليراوده الشك.

يقول: «أظن ذلك. ربما. ألم يكن كذلك؟».

تحاول ريسا أن تكبح ابتسامتها. تشعر فجأة، وعلى نحو غريب، بالارتياح لكونر. إنها تعجب لإمكانية حدوث ذلك. إن كان جدالهما حقيقيًّا بأكمله فستأخذ كامل حذرها منه، وإن كان بأكمله عرضًا فستأخذ كامل حذرها منه أيضًا، لأنه إن كان يستطيع الكذب بتلك البراعة فلن تستطيع الوثوق به أبدًا. لكن ما حدث تضمَّن الحالين، كان حقيقيًّا وتظاهرًا. جعل هذا المزيج الأمر مقبولًا، جعله آمنًا، كأداء حركات بهلوانية خطرة فوق شبكة أمان.

بينما يلحقان بليف تتمسك ريسا بهذا الشعور المفاجئ. ويتجه ثلاثتهم إلى مسرح المدنية المرعب.

***

الجزء الثاني

منقول

«لن تتغير القوانين ما لم تتغير الطبيعة البشرية أولًا».

- الممرضة جريتا

«لن تتغير الطبيعة البشرية ما لم تتغير القوانين أولًا».

- الممرضة إيفون

9. الأم

إن الأم في التاسعة عشرة، لكنها لا تشعر أنها بذلك الكبر. لا تشعر أنها أكثر حكمة أو قدرة على التصرف في هذا الموقف، من طفلة صغيرة. تتساءل متى توقفت عن كونها طفلة. ينص القانون على أن هذا حدث عندما بلغت الثامنة عشرة، لكن القانون لا يعرفها.

إنه صباح يوم بارد بعد الفجر مباشرة. تضم الأم التي لا تزال تعاني آلام الولادة رضيعتها، وتقطع الأزقة الخلفية. لا يوجد أحد في الخارج. تلقي حاويات المهملات بظلالها السوداء، والزجاجات المهشَّمة في كل مكان. تعلم أن هذا الوقت من اليوم هو الأمثل لفعل شيء كهذا، إذ إن احتمال خروج الذئاب البرية والحيوانات القمَّامة الأخرى ضئيل. لا تحتمل أن تعاني الرضيعة ما يمكن تلافيه.

تلوح حاوية مهملات خضراء كبيرة أمامها، تميل على رصيف الزقاق غير المستوي. تتشبث برضيعتها، كما لو أنه قد تنبت لحاوية المهملات يدان لتسحبا الرضيعة إلى أعماقها القذرة. تواصل سيرها محاوِلة تفاديها.

بعد فترة وجيزة من إقرار وثيقة الحياة، اجتذبت حاويات مهملات كتلك فتيات مثلها، فتيات يائسات قد يتركن أطفالهن حديثي الولادة غير المرغوب فيهم في حاويات القمامة. شاع الأمر حتى لم يعد ذا أهمية إخبارية، أصبح جزءًا معتادًا من الحياة.

كان من المفترض أن تحمي وثيقة الحياة قدسية الحياة، لكنها جعلت الحياة رخيصة. حمدًا للرب على «مبادرة النقل»، ذلك القانون الذي أتاح لفتيات مثلها بديلًا أفضل كثيرًا.

بينما يستحيل الفجر صباحًا مبكرًا تغادر الأم الأزقة، وتدخل حيًّا يزداد رقيًا مع كل شارع تعبره. المنازل كبيرة ومغوية. إنه الحي المناسب لنقل الرضيعة.

تحتاط في اختيارها للبيت. المنزل الذي تختاره ليس الأكبر، لكنه ليس الأصغر أيضًا. له ممشى قصير للغاية إلى الشارع حتى تستطيع الابتعاد سريعًا، وتلفه الأشجار. هكذا لن يتمكن أحد في الداخل أو في الخارج من رؤيتها عندما تترك الرضيعة.

تقترب من الباب الأمامي بحذر. لم تُنر مصابيحه بعد. هذا جيد. هناك سيارة بالمدخل. تأمل أن هذا يعني أن أصحاب المنزل في الداخل. تتمهل في صعود درجات الشرفة، تحرص على ألا تصدر صوتًا، ثم تجثو لتضع الرضيعة النائمة على بساط باب المنزل. يلف الرضيعة ملحفان، وتغطي قبعة صوفية رأسها. تُحكِم لف الملحفين وتضبطهما. هذا فقط ما تعلمت أن تقوم به كأم.

تفكر في أن تدق الجرس ثم تركض، لكنها تعدل عن الفكرة. إن أمسكوا بها فستصبح ملزَمة بالاحتفاظ بالرضيعة –هذا جزء من مبادرة النقل أيضًا- لكنهم إن فتحوا الباب ولم يجدوا سوى الرضيعة، فسيعدهم القانون الأوصياء عليها. ستصبح الرضيعة، بموجب القانون، طفلتهم، سواء أرادوها أم لم يريدوها.

لقد أدركتْ، منذ أن علمتْ بحملها، أنه سينتهي بها الحال إلى نقل هذه الطفلة. كانت تأمل أنها عندما تراها للمرة الأولى، تنظر إليها دون حول أو قوة، قد تغيِّر رأيها. لكن من كانت تخدع؟ إن النقل هو الخيار الأمثل لها، لأنها لا تستطيع أن تصبح أمًّا في هذه المرحلة من حياتها، ولا ترغب في ذلك.

تلحظ أن بقاءها قد طال أكثر مما ينبغي. يُشعَل ضوء أعلى الدرج الآن، لهذا تنحي بصرها عن الرضيعة النائمة مرغَمة، وتغادر. الآن بعد أن رُفع العبء عن كاهلها تشعر بقوة مفاجئة. الآن تملك فرصة ثانية في الحياة، وهذه المرة ستكون أكثر ذكاء. هي واثقة من ذلك.

بينما تهرول عبر الشارع تفكر في كم هو رائع أن تحظى بفرصة ثانية. كم هو رائع أن تنبذ المسؤولية التي تقع على عاتقها بتلك السهولة.

***

10. ريسا

على بعد بضعة شوارع من الرضيعة المنقولة، على حافة غابة كثيفة، تقف ريسا أمام باب منزل. تدق الجرس، وتجيبها امرأة في رداء الحمام.

تمنح ريسا السيدة ابتسامة واسعة، وتقول: «مرحبًا، أنا ديدي! أنا أجمع الطعام والملابس لصالح مدرستنا! نحن، مثلًا، نمنحهم إلى المشرَّدين! وهناك، مثلًا، هذه المسابقة، من يجمع أكبر قدر يربح رحلة إلى فلوريدا أو ما شابه! لهذا سيكون من الرائع حقًا حقًا أن تساعدينا!».

تحاول المرأة الناعسة أن تفيق، ليتمكن عقلها من فهم ما تقوله الخرقاء الجميلة ديدي، التي تساعد المشرَّدين. لا تستطيع المرأة نطق كلمة لأن ريسا تتحدث بسرعة كبيرة. لو كانت ريسا تملك قطعة علكة لمضغتها، وفرقعت فقاعة في أثناء حديثها، لتحكم أداءها.

- رجاءً، رجاءً، من فضلك! أنا، مثلًا، في المرتبة الثانية الآن!

تتنهد المرأة؛ يبدو أن ديدي لن تذهب خالية الوفاض. في بعض الأحيان، لن تستطيع التخلص من فتيات كهذه إلا إذا منحتهن شيئًا.

تقول المرأة: «سأعود في الحال».

بعد ثلاث دقائق، ترحل ريسا عن المنزل تحمل حقيبة ملأى بالملابس والأطعمة المعلَّبة.

يقول كونر، الذي ظل يراقبها مع ليف من حافة الغابة: «كان هذا رائعًا».

تقول: «ما عساي أقول؟ أنا فنانة. يشبه الأمر عزف البيانو، عليك فقط أن تنقر المفتاح المناسب لكل شخص».

يبتسم كونر ويقول: «أنت محقة. هذا أفضل من السرقة بكثير».

يقول ليف: «في الواقع، إن الاحتيال سرقة».

يجعل هذا التعليق ريسا تشعر ببعض الضيق وعدم الارتياح، لكنها تحاول ألا تظهِر ذلك.

يقول كونر: «ربما، لكنه سرقة أنيقة».

تفضي الغابة إلى حي سكني، حيث أكست أوراق الأشجار المساحات العشبية المهذَّبة باللون الأصفر. لقد فرض الخريف سطوته. تكاد المنازل تتطابق هنا، لكن ليس تمامًا، ويسكنها أشخاص يكادون يتطابقون، لكن ليس تمامًا. إنه عالم تعرفه ريسا عبر المجلات والتلفاز فقط. ترى ريسا الضواحي مملكة سحرية. ربما لهذا السبب امتلكت الشجاعة لأن تذهب إلى المنزل، وأن تتظاهر بأنها ديدي. لقد اجتذبها الحي مثلما تجذبها رائحة الخبز الطازج، الذي يُخبز في الأفران الصناعية لملجأ ولاية أوهايو رقم 23.

يعودون إلى الغابة حيث لا يمكن أن يراهم أحد عبر النوافذ، ويتفقدون حقيبة المِنح، كما لو أنها تمتلئ بحلوى الهالووين.

هناك بنطالان وقميص أزرق ذو أزرار يناسب كونر. هناك سترة تناسب ليف. لا توجد ملابس تناسب ريسا، لكن لا بأس، يمكنها أن تذهب إلى منزل آخر وتصبح ديدي مجددًا.

يسألها كونر: «ما زلت لا أعلم كيف سيحدِث تبديل ملابسنا أيَّ فرق».

تقول ريسا: «ألا تشاهد التلفاز أبدًا؟ في المسلسلات البوليسية، عندما يرسلون بلاغًا إلى جميع النقاط، دائمًا ما يصفون آخِر ما كان يرتديه المجرمون».

يقول كونر: «نحن لسنا مجرمين. نحن إوُول».

يقول ليف: «نحن جُناة، لأن ما تفعلانه -أقصد ما **نفعله**- يُعَد جناية فيدرالية».

يسأله كونر: «ماذا؟ سرقة الملابس؟».

- لا، سرقة أنفسنا. حالما تُوقَّع أوامر التفكيك نصبح من ممتلكات الحكومة. يجعلنا الهروب من التفكيك جناة مطلوبين من السلطات الفيدرالية.

لم يرق هذا لكل من ريسا وكونر، لكنهما يتغافلان عنه.

إن انتقالهم إلى منطقة معمورة خطر، لكنه ضروري. ربما مع مضي الصباح قد يصادفون مكتبة، حيث يمكنهم الحصول على الخرائط، ليعثروا على أرض برية واسعة بما يكفي ليضيعوا فيها إلى الأبد. ثمة شائعات تقول إن هناك مجتمعات سرية من المُفكَّكين الإوُول. ربما يمكنهم أن يجدوا واحدًا.

بينما يقطعون الحي حذِرين، تقترب منهم امرأة، محض فتاة، في التاسعة عشرة أو العشرين من العمر. تسرع في سيرها لكن مشيتها لا تبدو طبيعية، كما لو أنها تعاني إصابة أو تتعافى منها. تظن ريسا أنها ستراهم وستتعرف إليهم، لكن الفتاة تمر بهم دون حتى أن تنظر إليهم، وتهرول حتى تنعطف عند إحدى النواصي.

***

11. كونر

إنهم مكشوفون وعُرضة للخطر. يتمنى كونر لو كان يمكنهم البقاء في الغابة، لكنها لا تحتوي إلا على الكثير من الجوز والتوت. سيجدون طعامًا في البلدة، طعامًا، وأخبارًا.

يخبرهما كونر: «لن ينتبه لنا أحد في هذا الوقت، إن الجميع في عجلة من أمرهم في الصباح. متأخرين على العمل وما شابه».

يعثر كونر على جريدة بين الشجيرات لم يقذف بها فتى التوصيل بدقة.

يقول ليف: «انظرا إلى هذا! جريدة. كم هذا متأخر! هل تتحدث عنا؟».

يطرح سؤاله كما لو أنه يسأل عن شيء جيد. يدقق ثلاثتهم النظر إلى الصفحة الأولى. هناك أخبار عن الحرب في أستراليا، والسياسيون الكاذبون، الأمور القديمة ذاتها. لا يجيد كونر تقليب صفحات الجريدة لأنها كبيرة ومربكة، يسهل تمزيقها، ويعبث بها النسيم كطائرة ورقية، فتصعب قراءتها. لا إشارة إليهم في الصفحة الثانية أو الثالثة.

تقول ريسا: «ربما هذه الجريدة قديمة».

يتحقق كونر من التاريخ أعلى الصفحة، ويقول: «لا، إنها إصدار اليوم».

يقلب الصفحة مجاهدًا النسيم.

- أجل، ها هو ذا!

ثمة مقال صغير للغاية بعنوان «تصادم على الطريق السريع»، حادث سير صباحي، *إلى آخره*. توقف المرور لساعات، *إلى آخره*. يشير المقال إلى وفاة سائق الحافلة، وإغلاق الطريق مدة ثلاث ساعات، لكنه لا يذكر شيئًا عنهم. يقرأ كونر السطر الأخير جهرًا: «يُعتقد أن نشاط الشرطة بالمنطقة قد شتت انتباه السائقين، مما أدى إلى وقوع الحادث».

تصيبهم الحيرة جميعًا. ويشعر كونر ببعض الارتياح، يشعر أنه قد نجا من أمر هائل.

يقول ليف: «لا يمكن لهذا أن يكون صحيحًا. لقد اختُطفت، أو... إمم... على الأقل هذا ما **يظنونه**. يجب أن تتناول الأخبار ذلك».

تقول ريسا: «إن ليف محق. دائمًا ما تعرض الأخبار الأحداث الخاصة بالمُفكَّكين. هناك سبب وراء تجنب ذكرنا».

لا يستطيع كونر تصديق أن هذين الاثنين يتذمران من شيء كهذا! يخبرهما ببطء كما لو أنه يتحدث إلى أحمقين: «يعني عدم وجود تقرير إخباري عنا عدم وجود صور لنا. هذا يعني أن الناس لن يتعرفوا إلينا. لا أدري لمَ تجدان في ذلك مشكلة».

تعقد ريسا ذراعيها قائلة: «لم لا توجد صور؟».

- لا أدري. ربما تتكتم الشرطة على الخبر لأنهم لا يريدون أن يعلم العامة أنهم أخفقوا.

تهز ريسا رأسها في شك، وتقول: «لا يبدو الأمر صحيحًا...».

- لا يهم كيف يبدو!

تهمس ريسا في غضب: «اخفض صوتك!».

يبذل كونر وسعه ليظل هادئًا. لا يقول أي شيء خوفًا من أن يبدأ الصياح ثانية، ويجذب الانتباه إليهم. تمعن ريسا التفكير في الأمر، وينقل ليف بصره بينهما. يفكر كونر: *ريسا ليست غبية، ستخلص إلى أن هذا أمر جيد، وأنها عبثًا تقلق.*

لكن ريسا تقول: «إن لم تعرض الأخبار أمرنا فمن سيدري إن كنا أحياء أو موتى؟ إذا انتشرت أخبار تعقبهم لنا فسيتوجب عليهم، عندما يجدوننا، أن يوقفونا مستخدِمين الرصاص المخدِّر، ثم سيأخذوننا إلى الحصاد، صحيح؟».

لا يدري كونر لم تفسر ما هو واضح.

- إذًا، ماذا تقصدين؟

- ماذا لو كانوا لا يريدون الإمساك بنا لنُفكَّك، بل يريدون قتلنا؟

يوشك كونر أن يخبرها كم أن هذا غبي، لكنه يتوقف، لأن هذا ليس غبيًّا على الإطلاق.

تقول ريسا: «ليف، إن عائلتك ثرية، صحيح؟».

يهز ليف كتفيه في تواضع قائلًا: «تقريبًا».

- ماذا لو استأجرت عائلتك الشرطة لإعادتك وقتل المختطِفين، على أن يبقى الأمر سرًّا حتى لا يدري أحد بحدوثه؟

ينظر كونر إلى ليف آملًا أن يسخر الفتى من هذا التفسير، ويخبرهما أن والديه لن يفعلا شيئًا فظيعًا كهذا أبدًا. لكن ليف ينظر في هذه الاحتمالية في هدوء غريب.

في تلك اللحظة يحدث شيئان، تنعطف سيارة شرطة إلى الشارع، ويشرع رضيع في البكاء على مقربة منهم.

اركضوا!

هذا أول ما يخطر في بال كونر، إنه حدسه الأول، لكن ريسا تمسك بذراعه بقوة عندما ترى سيارة الشرطة، فيتردد. يعلم كونر أن التردد قد يعني الفارق بين الحياة والموت. لكن ليس اليوم، فاليوم يمنحه التردد وقتًا ليفعل شيئًا قلما يفعله كونر عند وقوع طارئ، يتخطى حدسه، وينظر في عواقبه: *سيلفت ركضهم الأنظار*.

يرغِم كونر قدميه على الثبات في موضع واحد، ويقيِّم الوضع حولهم سريعًا. يدير البعض محركات سياراتهم بمداخل المنازل متجهين إلى العمل. يبكي رضيع في مكان ما. يتجمع بعض مراهقي المرحلة الثانوية عند ناصية بالجهة المقابلة من الشارع، يتحدثون ويدفع بعضهم بعضًا ضاحكين.

عندما ينظر إلى ريسا، يدرك أنها تشاركه الرأي نفسه، قبل أن تقول: «موقف الحافلات!».

تقطع سيارة الدورية الشارع ببطء. تبدو متمهلة لشخص ليس لديه شيء يخفيه، لكن كونر يرى في حركتها البطيئة توعدًا. لا يمكنهم أن يعرفوا ما إن كان هؤلاء الضباط يبحثون عنهم، أم أنها دورية روتينية. مجددًا، يقاوم الرغبة في الركض.

يدير كونر وريسا ظهريهما لسيارة الشرطة، يتهيآن لأن يذرعا الطريق إلى موقف الحافلات دون أن يلفتا الأنظار، لكن ليف لا يتبعهما. ينظر إلى الجهة الخطأ، يحدق مباشرة إلى سيارة الشرطة التي تقترب.

يقول كونر: «هل جننت؟».

ويمسك بكتفه ويديره عنوة، ويضيف: «افعل مثلما نفعل، ولتكن على طبيعتك».

تقترب حافلة مدرسية من الجهة الأخرى. يأخذ المراهقون عند الناصية في جمع أشيائهم. الآن، أخيرًا، يمكنهم أن يركضوا دون أن يثير الأمر الريبة. يأخذ كونر بضع خطوات واسعة سابقًا ريسا وليف، ثم يستدير قائلًا في تذمر متعمَّد: «هيا يا رفاق. ستفوتنا الحافلة مجددًا!».

سيارة الشرطة خلفهم مباشرة الآن. يبقي كونر ظهره مقابلًا للسيارة، ولا يلتفت ليرى إن كان الضباط بداخلها يراقبونهم. إن كانوا كذلك، فسيسمعون محادثتهم وسيفترضون أنها فوضى صباحية معتادة، ولن يلقوا بالًا لهم. تتمثل نسخة ليف من التصرف بطبيعية في المشي فاغر العينين، بذراعين متخشِّبتين تلزمان جانبيه، كأنه يعبر حقل ألغام، كأبعد ما يكون عن عدم لفت الأنظار.

يصيح كونر قائلًا: «هل عليكم أن تسيروا بهذا البطء؟ إن تأخرت مرة أخرى فسأنال عقابًا».

تتجاوزهم سيارة الشرطة. في الأمام، تقترب الحافلة من الموقف. يسرع كونر وريسا وليف نحوها، ويقطعون الشارع –كجزء من تمثيليتهم– في حال أن كان رجال الشرطة يراقبونهم عبر مرآة الرؤية الخلفية. يفكر كونر: *بالطبع، قد ينقلب الأمر ضدهم ويستدعيهم رجال الشرطة لعدم الالتزام بقواعد المرور.*

يسأل ليف: «هل سنصعد إلى الحافلة حقًّا؟».

تقول ريسا: «بالطبع لا».

الآن يجرؤ كونر على إلقاء نظرة سريعة على سيارة الشرطة. إن مصباح الإشارة الخاص بها يومض؛ ستنعطف السيارة عند الناصية، وعندما يحدث ذلك سيصبحون في أمان.

لكن الحافلة تتوقف، وعندما ينفتح بابها تومض مصابيحها الحمراء. يعلم أي من استقل حافلة مدرسية أنه عندما تأخذ تلك المصابيح الحمراء في الوميض، يجب أن تتوقف جميع السيارات التي حولها، وتنتظر حتى تغادر الحافلة.

تتوقف سيارة الشرطة على بعد بضع ياردات من الناصية، في انتظار أن ينتهي الصعود إلى الحافلة. هذا يعني أن سيارة الشرطة ستظل هناك عندما تبتعد الحافلة.

يقول كونر: «تبًّا. الآن **علينا** أن نصعد إلى الحافلة».

عندما يصلون إلى الرصيف يجذب انتباه كونر صوت خافت، ليس مهمًّا ليحظى بأي اهتمام. إنه الرضيع الباكي.

عند شرفة البيت الذي أمامهم توجد صرة. هذه الصرة تتحرك. يدرك كونر على الفور ما هذا، لقد رآه من قبل، لقد رأى رضيعًا منقولًا على عتبة باب منزله مرتين. على الرغم من أن هذا ليس الرضيع نفسه، فإنه يتوقف بغتة كما لو أنه هو.

- هيا يا بيلي، ستفوتك الحافلة!

- ماذا؟

إنها ريسا. تسبقه هي وليف بعدة ياردات. تصر على أسنانها قائلة: «هيا يا بيلي، لا تكن أحمق!».

لقد بدأ الطلاب يتجمعون ليصعدوا إلى الحافلة. سيارة الشرطة متوقفة دون حراك خلف المصابيح الحمراء الوامضة.

يحاول كونر أن يرغِم نفسه على الحركة، لكنه لا يستطيع. يرجع ذلك إلى الرضيع، وإلى الطريقة التي ينتحب بها. يخبر كونر نفسه: *هذا ليس الرضيع نفسه، لا تكن أحمق. ليس الآن!*

تهمس ريسا قائلة: «كونر، ما خطبك؟».

يُفتح باب المنزل. يظهر طفل صغير سمين عند الباب، في السادسة أو السابعة من العمر. يحدق إلى الرضيع، ويقول: «أوه، مستحيل!».

ثم يهتف داخل المنزل قائلًا: «أمي! لقد نُقل إلينا رضيع مجددًا!».

يمتلك معظم البشر استجابتين للطوارئ، القتال أو الهروب، لكن كونر طالما أدرك أنه يمتلك ثلاثًا، القتال أو الهروب أو إفساد الأمر تمامًا. إنها دائرة ذهنية قصيرة خطرة. هي ذاتها ما جعله يعود راكضًا نحو ضباط شرطة الأحداث المسلحين لينقذ ليف، بدلًا من النجاة بنفسه. يشعر بها تبدأ العمل الآن مرة أخرى، يشعر بعقله يلتهب.

قال الطفل السمين: «لقد نُقل إلينا رضيع مجددًا!».

لماذا قال مجددًا؟ كان من الممكن أن يقبل كونر الأمر إن لم يكن قد قال مجددًا.

يخبر كونر نفسه: *لا تفعل ذلك! هذا ليس* الرضيع نفسه.

لكن هناك جزءًا عميقًا داخل عقله لا يخضع لمنطق، يراهم جميعًا الرضيع نفسه.

يتجه كونر إلى الشرفة مباشرة، مقاوِمًا غريزة حفظ الذات، ويقترب من الباب مسرعًا. ينظر إليه الطفل بعينين فزعتين ويعود إلى أمه، إنها امرأة بدينة وصلت إلى الباب للتو، تعبس في غير ترحيب. تحدق إلى كونر، ثم تلقي نظرة سريعة على الرضيع الباكي، لكنها لا تخطو خطوة نحوه.

تسأله: «من أنت؟».

يختبئ الآن الطفل الصغير خلفها كديسم خلف الدبة الأم.

تضيف: «هل وضعت هذا هنا؟ أجبني!».

يستمر الرضيع في البكاء.

- لا... لا، أنا...

- إياك والكذب!

لا يدري ما الذي رجا تحقيقه بمجيئه إلى هنا. هذا ليس من شأنه. إنها ليست مشكلته، لكنها الآن أصبحت كذلك.

لا يزال الطلاب يصعدون إلى الحافلة خلفه. لا تزال سيارة الشرطة تنتظر هناك. قد ينهي قدوم كونر إلى هذا المنزل حياته.

ثم يأتي صوت من خلفه يقول: «لم يضعه هنا. أنا من فعلت».

يلتفت كونر ليرى ريسا. وجهها جامد، ولا تنظر إليه، بل تحدج المرأة التي تنقل عينين تبرقان شراسة بين كونر وريسا.

تقول المرأة: «لقد ضُبطتِ متلبسة بفعلتكِ يا صغيرتي العزيزة».

تلفظ كلمتَي صغيرتي العزيزة كمسبَّة.

تضيف: «يسمح لكِ القانون بنقل الرضيع ما لم يُمسك بكِ. لهذا خذي رضيعكِ وارحلي قبل أن أستدعي الشرطة».

يحاول كونر جاهدًا أن يهدئ عقله. يقول: «لكن... لكن...».

تقول ريسا بصوت يملؤه الغضب والاتهام: «اصمت!».

تبتسم المرأة ابتسامة كريهة قائلة: «أفسد الأب عليكِ الأمر، أليس كذلك؟ لقد عاد بدلًا من أن يفر».

ثم توجِّه نظرة ازدراء إلى كونر، وتضيف: «إليكِ قاعدة الأمومة الأولى يا عزيزتي: الرجال أوغاد. أدركي هذا الآن وستصبحين أكثر سعادة».

لا يزال الرضيع يبكي بينهم. يشبه الأمر لعبة اخطف المنديل، لكن الفارق هنا أنه لا أحد يريد أن يأخذ المنديل. في النهاية، تنحني ريسا، وترفع الرضيع من بساط باب المنزل، وتضمه إليها. لا يزال يبكي، لكن بكاءه أقل حدة الآن.

تقول المرأة البدينة: «الآن ارحلا من هنا، وإلا فسيحل ضباط الشرطة أولئك الأمر معكما».

يلتفت كونر فيرى الحافلة تحجب جزءًا من سيارة الشرطة. يقف ليف وجزء منه داخل الحافلة والآخر خارجها، ليمنع بابها من أن ينغلق، ويعلو اليأس وجهه.

ينظر إليه سائق الحافلة متبرمًا ويقول: «هيا، ليس أمامي اليوم بأكمله!».

يبتعد كونر وريسا عن المرأة ويركضان نحو الحافلة.

- ريسا، أنا...

تقول ريسا في حدة: «اصمت. لا أريد أن أسمعها».

يشعر كونر بالألم ذاته الذي شعر به عندما اكتشف أن والديه قد وقَّعا على أمر تفكيكه. الفارق أنه حينئذ، كان ينتابه من الغضب ما ساعده على التخفيف من وطأة خوفه وصدمته، أما الآن فلا يشعر بالغضب سوى من نفسه. يشعر بالعجز واليأس. لقد انفجرت ثقته بنفسه بداخله كنجم يُحتضر. كانوا ثلاثة هاربين خارجين عن القانون. والآن، بفضل حماقة دائرة ذهنه القصيرة، أصبحوا ثلاثة هاربين خارجين عن القانون، وبحوزتهم رضيع.

***

12. ريسا

لا تستطيع ريسا تخمين ما الذي استحوذ على كونر. الآن تدرك أنه لا يتخذ قرارات سيئة فقط، بل ويتخذ قرارات خطرة أيضًا. عندما يصعدون إلى الحافلة المدرسية تجد القليل من المراهقين على متنها. يغلق السائق الباب خلفهم غاضبًا، ولا يبدي أي ملاحظة حول الرضيع. ربما لأنه ليس الرضيع الوحيد على متن الحافلة. تتقدم ريسا متجاوزة ليف، وتقود ثلاثتهم إلى المؤخرة. يمرون بفتاة أخرى تحمل رضيعها، الذي لا يزيد عمره على ستة أشهر. تنظر الأم الشابة إليهم بفضول، لكن ريسا تحاول أن تتفادى التقاء أعينهم.

بعد أن يجلسوا في الخلف، تفصلهم بضعة صفوف عن أقرب الراكبين منهم، ينظر ليف إلى ريسا ويخشى أن يسأل ما هو لا بد سائله.

يقول أخيرًا: «إممم... لمَ معنا رضيع؟».

تقول ريسا: «اسأل **هذا**».

ينظر كونر عبر النافذة جامد الوجه، ويقول: «إنهم يبحثون عن فتيين وفتاة. وجود الرضيع سيضلِّلهم».

تقول ريسا في حدة: «رائع. ربما يجب على كل منا أن يلتقط طفلًا على الطريق».

تغزو الحمرة وجه كونر. يلتفت إليها ويمد يده، ويقول: «سأحمله». لكن ريسا تبقيه بعيدًا عنه.

- ستجعله يبكي.

تملك ريسا خبرة في التعامل مع الرضع. كانت تعتني بالأطفال بين الحين والآخر في ملجأ الولاية. على الأرجح أن هذا الرضيع كان سينتهي به المطاف إلى ملجأ الولاية أيضًا. لقد فهمت أن تلك المرأة لم يكن لديها أي نية في إبقائه.

تنظر إلى كونر. لا تزال الحمرة تعلو وجهه، ويتجنب النظر إليها. السبب الذي أوضحه كان كذبة، لقد دفعه شيء آخر إلى الركض إلى تلك الشرفة. أيًّا ما يكن السبب الحقيقي فإن كونر يحتفظ به لنفسه.

تتوقف الحافلة، ويصعد المزيد من المراهقين. تتجه فتاة من مقدمة الحافلة -الفتاة التي تحمل رضيعًا- إلى المؤخرة، وتجلس أمام ريسا مباشرة، ثم تلتفت وتنظر إليها من فوق ظهر المقعد.

- مرحبًا، لا بد أنك جديدة! أنا أليكسس وهذا تشايز.

ينظر رضيعها إلى ريسا بفضول، ويسيل لعابه على ظهر المقعد.

تمسك أليكسس بيد الرضيع المرتخية، وتلوح بها كما قد تلوح بيد دمية قائلة: «قل مرحبًا يا تشايز!».

تبدو أليكسس أصغر سنًّا من ريسا. تتلفت أليكسس، تحاول النظر إلى الرضيع النائم.

- حديث ولادة! أوه، هذا مذهل! قوة كبيرة منكِ أن تعودي إلى المدرسة بهذه السرعة.

تنظر إلى كونر، وتسأله: «هل أنت الأب؟».

- أنا؟

يبدو كونر مرتبكًا ومحرَجًا للحظة، قبل أن يعود إلى صوابه ويقول: «أجل. أجل، أنا».

- رائع حقًّا أن علاقتكما لا تزال قائمة. إن تشاز -والد تشايز- لم يعد يرتاد مدرستنا حتى. لقد أُرسل إلى المدرسة العسكرية. غضب والداه للغاية عندما اكتشفا أنني، كما تعلمان، مُحمَّلة. كان يخشى أن يرسلاه إلى التفكيك. هل تصدقان ذلك؟

تود ريسا أن تخنق هذه الفتاة، لكنها لا تريد أن تترك تشايز ذا اللعاب الذي يسيل دون أم.

- إذًا هل خاصتكما صبي أم فتاة؟

يترددان قبل الرد على نحو محرَج ومربَك. تتساءل ريسا إن كانت تستطيع التأكد من الأمر بحذر دون أن تلحظها أليكسس، ثم تدرك أن هذا غير ممكن.

تقول ريسا: «فتاة».

يمكن أن تكون على صواب بنسبة لا تقل عن خمسين في المائة.

- ما اسمها؟

يجيب كونر هذه المرة، يقول: «ديدي، اسمها ديدي».

تبتسم ريسا ابتسامة صغيرة رغم غضبها الشديد منه.

تقول ريسا: «أجل، مثلي. إنه تقليد عائلي».

لقد استعاد كونر جزءًا من تعقله. يبدو مرتاحًا وعلى سجيته بعض الشيء، ويؤدي دوره بأفضل ما يستطيع. لقد زالت حمرة وجهه، أذناه فقط حمراوان.

تقول أليكسس: «ستحبان ثانوية سنتر-نورث. لديهم دار حضانة رائعة، ويعتنون جيدًا بالأمهات الطالبات. يأذن لنا بعض المعلمين بالإرضاع في الصف».

يحيط كونر كتف ريسا بذراعه قائلًا: «هل يُسمح للآباء بالمشاهدة؟».

تبعِد ريسا ذراعه هازة كتفيها، وتدوس قدمه في الخفاء. يجفل، لكنه لا يقول شيئًا. إن ظن أنه قد نجا بفعلته فسيكون مخطئًا تمامًا. إن ريسا تراه متورطًا دون خلاص.

تقول أليكسس: «يبدو أن أخاكِ يكتسب الأصدقاء».

تنظر ريسا إلى مقعد ليف، لكنه انتقل إلى مقعد أمامي ويتحدث إلى فتى يجلس بجانبه. تحاول أن تنصت لما يتحدثان عنه، لكنها لا تستطيع سماع أي شيء سوى ثرثرة أليكسس.

تسأل أليكسس كونر: «أم أنه **أخوك**؟».

تقول ريسا: «لا، إنه أخي».

تبتسم أليكسس وتهز كتفيها قليلًا قائلة: «إنه وسيم».

لم تظن ريسا أنها قد لا تستلطف أليكسس أكثر من قبل. يبدو أنها كانت مخطئة. لا بد أن أليكسس ترى النظرة التي تبدو في عينَي ريسا لأنها تقول: «أقصد وسامة طفولية لفتى في الصف **الأول الثانوي**».

تحدج ريسا أليكسس بنظرة تحذيرية أكثر فظاظة تعني: *أبقي مخالبك بعيدة عن أخي الصغير*.

وتقول: «إنه في الثالثة عشرة. لقد تخطى صفًا».

يجب عليها أن تتذكر أن ليف ليس أخاها الصغير حقًا. الآن يحين دور كونر لأن يدوس قدمها، وهو محق في ذلك. ما أفصحت عنه أكثر من اللازم. لم يكن عليها أن تخبر أليكسس بعمر ليف الحقيقي. إضافة إلى ذلك، ليس في مصلحتهم اكتساب العداوات.

تقول ريسا ملطِّفة نظرتها: «عذرًا، لقد أمضيت ليلة طويلة مع الرضيعة. لهذا أنا حادة المزاج».

- أوه، صدِّقيني، لقد مررت بذلك.

سيدوم استجواب أليكسس، فيما يبدو، إلى أن يصلوا إلى المدرسة، لكن الحافلة تتوقف فجأة مجددًا فيصطدم ذقن الصغير تشايز بظهر المقعد، ويأخذ في البكاء. تنتقل أليكسس بغتة إلى وضع الأمومة، وتنتهي المحادثة.

تتنفس ريسا الصعداء، ويقول كونر: «أنا حقًا آسف بشأن ذلك».

على الرغم من أنه يبدو صادقًا، فإن ريسا لا تقبل اعتذاره.

***

13. ليف

لم يسِر هذا اليوم وفقًا للخطة. تضمنت الخطة أن يهرب حال أن يصلوا إلى المدنية. كان من الممكن أن يهرب ليف فور خروجهم من الغابة، لكنه لم يفعل. *سأحظى بفرصة أفضل*، هكذا فكر. سيكشف التوقيت المثالي عن نفسه إن تحلى بالصبر، وظل يقظًا.

لقد استنفذ تظاهر ليف بأنه في صفهما -تظاهره بأنه *مثلهما*- قوته كلها. ما ساعده على الاستمرار هو يقينه أن كل شيء سيكون قريبًا كما ينبغي له.

عندما انعطفت سيارة الشرطة إلى الشارع، كان ليف على استعداد تام لأن يرتمي على السيارة ويسلِّم نفسه. لكنه أحجم عن فعل ذلك لسبب واحد، لم تُنشر صورهم في الجريدة.

هو أكثر من أزعجه هذا الأمر. إن عائلته ذات نفوذ ولا يمكن العبث بها. كان يعتقد أن صورته ستملأ الصفحة الأولى. عندما لم يجد ذلك أصابته الحيرة، وبدت له نظرية ريسا القائلة إن والديه يريدانها وكونر قتلى محتمَلة.

ماذا لو استدار ضباط الشرطة ليطلقوا رصاصًا حقيقيًّا على كونر وريسا إن سلم نفسه إليهم؟ هل سيفعل ضباط الشرطة ذلك؟ ما أراده هو أن يُقدَّما إلى العدالة، لكنه لم يحتمل أن يتسبب في موتهما، لهذا ترك سيارة الشرطة تتجاوزه.

الآن ازدادت الأمور تعقيدًا. الآن بحوزتهم هذا الرضيع. سرقة رضيع منقول! هذان المُفكَّكان خارجان عن السيطرة. لم يعد يخشى أنهما سيقتلانه، لكن هذا لا يجعلهما أقل خطورة. يجب حمايتهما من نفسيهما. هما في حاجة إلى... في حاجة إلى... في حاجة إلى التفكيك. أجل. هذا هو الحل الأفضل لكليهما. لا نفع منهما لأحد في حالتهما تلك، ناهيك بأي نفع لنفسيهما. على

الأرجح أن هذا سيجلب الخلاص لهما. إنهم جميعًا ممزَّقون من الداخل، من الأفضل أن يكونوا ممزَّقين من الخارج. يمكن لأرواحهم المشتَّتة أن تجد الراحة، عندما يدركون أن أجسادهم الحية قد تفرقت في العالم، تنقذ الأرواح وتُتمِّم الآخرين. كما سترتاح روحه قريبًا.

بينما يجلس في الحافلة يتفكر في ذلك، يحاول أن ينكر كم تتضارب مشاعره تجاه الأمر.

بينما يتحدث كونر وريسا إلى فتاة مفعمة بحيوية مزعجة ورضيعها، ينتقل ليف إلى المقعد الذي أمامهم في الحافلة، ليزيد المسافة التي تفصله عنهم. يصعد فتى إلى الحافلة ويجلس بجانبه. يضع الفتى سماعات الرأس ويغني مع موسيقى لا يستطيع ليف سماعها. يضع الفتى حقيبة الظهر الخاصة به بينه وبين ليف يزحمه، ثم يعيد كامل انتباهه إلى الألحان.

عندئذ تخطر له فكرة. ينظر خلفه فيرى كونر وريسا لا يزالان منشغلين مع الفتاة الأخرى ورضيعها. يمد ليف يده بحذر داخل حقيبة ظهر الفتى، ويخرِج دفترًا مهمَلًا كُتب عليه بأحرف سوداء كبيرة «الموت جَبرًا»، مع بعض رسوم الجماجم والعظام المتقاطعة، وبداخله فوضى من المعادلات الرياضية، وفروض منزلية ذات علامات منخفضة سببها الإهمال. ينتقل ليف إلى صفحة فارغة، ثم يمد يده في حقيبة الفتى ثانية ليخرِج قلمًا. لا يلحظ الفتى أيًّا من ذلك لأنه مستغرق في سماع موسيقاه. يشرع ليف في الكتابة:

ساعدني! يحتجزني

مُفكِّكَان إوُول كرهينة

أومئ إذا فهمتني.

عندما ينتهي يجذب كتف الفتى. ينتبه له الفتى بعد أن جذب كتفه مرتين.

– ماذا؟

يمد ليف الدفتر، يحرص على ألا يبدو ما يفعله واضحًا.

ينظر الفتى إليه ويقول: «أنت، هذا دفتري!».

يأخذ ليف نفسًا عميقًا. الآن ينظر كونر إليه. يحاول ليف أن يكون حذرًا.

يقول محاوِلًا أن تتحدث عيناه قدر استطاعته: «أعلم أنه دفترك. أنا فقط... احتجت... إلى صفحة... واحدة».

يرفع الدفتر إلى الأعلى قليلًا لكي يقرأه الفتى، لكن الفتى لا ينظر إليه، بل يقول: «لا! كان يجب عليك أن تطلب الإذن أولًا».

ثم ينتزع الصفحة دون أن ينظر إليها، يجعّدها، ويطوّح بها -أمام ليف الذي يشعر بالذعر- نحو مقدمة الحافلة. تضرب الورقة المجعَّدة رأس فتى آخر يتجاهلها، وتسقط على الأرض. تتوقف الحافلة، ويرى ليف ثلاثين زوجًا من الأحذية المستهلَكة تدهس أمله.

***

14. كونر

تتوقف عشرات الحافلات أمام المدرسة. يزحم الطلاب المداخل. بينما يغادر كونر الحافلة مع ريسا وليف، يمسح المنطقة باحثًا عن طريق للهروب، لكن ما من مهرب؛ حراس أمن الحرم المدرسي والمعلمون على رأس عملهم. إن ابتعد أي أحد عن المدرسة فسيجذب انتباه الجميع.

تقول ريسا: «لا يمكننا أن ندخل فعلًا».

يقول ليف الذي يبدو مضطربًا أكثر من المعتاد: «أرى أن ندخل».

لقد لاحظهم أحد المعلمين بالفعل. على الرغم من أن المدرسة بها دار حضانة للأمهات الطالبات، فإن الرضيع يجذب الانتباه.

يقول كونر: «سندخل. سنختبئ في مكان لا توجد به كاميرات مراقبة. دورة مياه الفتيان».

تقول ريسا: «الفتيات. ستكون أكثر نظافة، ومراحيض الاختباء بها أكثر عددًا».

يفكر كونر في الأمر، ويجد أنها على الأرجح محقة فيما أشارت إليه.

- حسنًا. سنختبئ حتى الغداء، ثم سنتسلل إلى الخارج مع باقي الطلاب المغادرين الحرم المدرسي.

تقول ريسا: «أنت تفترض أن هذا الرضيع سيتعاون معنا. عاجلًا أو آجلًا سيحتاج إلى الرضاعة، وأنا لا أملك ما يتطلبه الأمر، إن كنت تفهم ما أعني. إذا انخرط في البكاء في دورة المياه فسيتردد بكاؤه عبر المدرسة كلها».

إنه اتهام آخر. يستطيع كونر سماعه في صوتها يقول: *هل تدرك كم صعّبت الأمر علينا؟*

يقول كونر: «لنأمل أنه لن يبكي، وإن حدث وبكى يمكنك لومي طوال الطريق إلى مخيم الحصاد».

اعتاد كونر الاختباء في دورات المياه المدرسية. كان يفعل ذلك -قبل اليوم بالطبع- للتهرب من الصف فقط. لكن اليوم لا يوجد صف يجب أن يحضره، وإن أُمسك به فستكون العواقب أشد قليلًا من الذهاب إلى المدرسة في العطلة.

يتسللون بعد رنين جرس الفترة الأولى، ويخبرهم كونر التعليمات الرئيسة للاختباء في دورة المياه: كيف يمكن التفرقة بين خطوات الطلاب والبالغين، متى ترفع قدميك عاليًا حتى لا يراك أحد، ومتى تفصح عن أن المرحاض ليس شاغرًا. قد تنجح النقطة الأخيرة إن طبَّقتها ريسا وليف، لأن صوته لا يزال حادًّا بعض الشيء، لكن كونر لا يمكنه التظاهر بأنه فتاة.

يظلون معًا لكنهم منفصلون، كل منهم في مرحاضه. لحسن حظهم، يصر باب دورة المياه كخنزير عندما يُفتح، ينبِّههم متى يدخل أي أحد. في بداية الفترة الأولى يدخل بعض الفتيات، ثم يهدأ المكان، ولا يسمعون سوى صدى قطرات ماء ترشح من مقبض دفق.

تقول ريسا من المرحاض الذي عن يسار كونر: «لن نستطيع البقاء هنا حتى الغداء وإن ظل الرضيع نائمًا».

- قد يفاجئكِ إلى متى يمكننا الاختباء في دورة المياه.

يسأله ليف من المرحاض الذي عن يمينه: «تعني أنك لطالما فعلت ذلك؟».

يعلم كونر أن هذا يلائم تمامًا صورة البذرة الفاسدة التي يراه ليف عليها. جيد. ليظن ذلك. هو محق على الأرجح.

يصر باب دورة المياه فيصمتون. يسمعون خطوات خافتة سريعة، إنها طالبة تنتعل حذاء رياضيًّا. يرفع كونر وليف أقدامهما، وتبقي ريسا قدميها بالأسفل، كما اتفقوا. يغرغر الرضيع فتتنحنح ريسا، وتشوش الصوت ببراعة. تخرج الفتاة بعد دخولها بأقل من دقيقة.

بعد أن ينغلق باب دورة المياه محدِثًا صريرًا يسعل الرضيع. يلحظ كونر أن سعاله سريع ونظيف، لا يدل على مرض على الإطلاق. جيد.

تقول ريسا: «بالمناسبة، إنها فتاة».

يفكر كونر في أن يعرض حمل الرضيعة مجددًا، لكنه يرى أن ضرر ذلك سيفوق نفعه، لأنه لا يعلم كيف يحمل رضيعًا دون أن يتسبب في بكائه. يقرر كونر أن يخبرهما لم فقد عقله برهة وأخذ الرضيعة. إنه مدين لهما بذلك.

يقول كونر في هدوء: «كان السبب ما قاله ذاك الطفل».

- ماذا؟

- عند ذلك المنزل. ذاك الفتى السمين الذي فتح الباب. لقد قال إنه نُقل إليهم رضيع **مجددًا**.

تقول ريسا: «وماذا في ذلك؟ تتعرض عائلات كثيرة لنقل الرضع أكثر من مرة».

يسمع كونر صوت ليف من الجانب الآخر يقول: «لقد مرت عائلتي بذلك. لديَّ أخوان وأخت أحضرتهم اللقالق[1] قبل أن أُولد. لم يتسبب ذلك في مشكلة قط».

يتساءل كونر إن كان ليف يظن حقًّا أن اللقالق هي من أحضرتهم، أم أنها محض استعارة، ثم يجد أنه يفضِّل ألا يعرف.

- يا لها من عائلة رائعة تحتضن الرضع المنقولين وترسل فلذات أكبادها إلى التفكيك! أوه، عذرًا، أقصد **تنذرهم أعشارًا**.

يبدو ليف منزعجًا، يقول: «إن نذر العُشر مذكور في الإنجيل، من المفترض أن تمنح عشرًا في المائة من كل ما تملك. نقل الرضع مذكور في الإنجيل أيضًا».

- لا، إنه ليس كذلك!

يقول ليف: «موسى، وُضع موسى في سلة في نهر النيل ووجدته ابنة فرعون. كان أول رضيع منقول، وانظر ماذا حدث له!».

يقول كونر: «حسنًا، ماذا حدث للرضيع الثاني الذي وجدته الفتاة في نهر النيل؟».

تقول ريسا: «هل يمكنكما أن تخفضا صوتيكما؟ قد يسمعكما من في الردهة، وقد توقظان ديدي على أي حال».

---

(1) وفقًا للتراث الشعبي الأوروبي، فإن اللقالق هي المسؤولة عن إيصال حديثي الولادة إلى الآباء الجدد. م

يتوقف كونر قليلًا ليستجمع أفكاره. عندما يتحدث ثانية يهمس بالكلام، لكن همسه يتضخم داخل مساحة يسوي البلاط جدرانها.

- نُقل إلينا رضيع عندما كنت في السابعة.

تقول ريسا: «يا له من أمر مهم».

- لا، لقد **كان** أمرًا مهمًّا للعديد من الأسباب. انظرا، لقد كان لدى عائلتي طفلان شرعيان بالفعل. لم يكن والداي يخططان لإنجاب المزيد. عندما ظهر ذاك الرضيع أمام بابنا شعر والداي بالذعر، ثم خطرت لهما فكرة.

تسأل ريسا: «هل عليَّ أن أسمع هذا؟».

- ربما لا.

لكن كونر لن يتوقف؛ إذا لم يبُح بهذا الآن فلن يفعل أبدًا.

- حدث ذلك في الصباح الباكر، وافترض والداي أن الرضيع الذي تُرك أمام الباب لم يره أحد. ولذلك في الصباح التالي، قبل أن يستيقظ أي منا، وضع والدي الرضيع أمام عتبة باب منزل في الجهة المقابلة من الشارع.

يقول ليف: «هذا غير قانوني. حالما يُنقل الرضيع إليكم يصبح ابنكم».

- أجل، لكن والديَّ افترضا أنه لن يدري أحد بذلك، وجعلانا نقسم على كتمان الأمر. انتظرنا أن تصل إلينا من الجهة المقابلة أخبار الضيف الجديد غير المتوقَّع، لكن هذا لم يحدث قط. لم يتحدثوا عن نقل رضيع إليهم قط، ولم نستطع أن نسألهم عنه، لأن هذا سيفضح أننا تخلصنا من الرضيع عندهم.

بينما يتحدث كونر يشعر أن المرحاض-على صغره- يتقلص من حوله. يعلم أن الآخرين في الجوار، لكنه لا يسعه إلا أن يشعر بوحدة شديدة.

- سارت الأمور كما لو أن شيئًا لم يحدث. عم الهدوء مدة، ثم بعد أسبوعين فتحتُ الباب فإذا هناك رضيع آخر في سلة على بساط باب المنزل اللعين نفسه. وأذكر... أذكر أنني كدت أضحك. هل يمكنكما تصديق ذلك؟ ظننت الأمر مضحكًا، وعدت إلى أمي قائلًا: «أمي، لقد نُقل إلينا رضيع مجددًا». تمامًا كما قال الطفل الصغير صباح اليوم. أدخلت أمي المنزعجة الرضيع... وعندما أدركت...

تقول ريسا: «يا إلهي!».

تدرك الأمر قبل أن يقول كونر: «أنه الرضيع نفسه!».

يحاول كونر أن يتذكر وجه الرضيع، لكنه لا يستطيع. لا يرى سوى وجه الرضيعة التي تحملها ريسا الآن.

- اتضح أن الرضيع قد مُرِّر على منازل الحي طوال أسبوعين كاملين، في كل صباح، يُترك على عتبة باب منزل. لكنه لا يبدو بخير الآن.

يصر باب دورة المياه فيصمت كونر. هناك سلسلة من الخطوات، إنهما فتاتان. تتحدثان قليلًا عن الفتية والمواعدة والحفلات في غياب الآباء، ولا تستخدمان المراحيض. يسمعون سلسلة أخرى من الخطوات متجهة إلى الخارج. يصر الباب، ويصبحون وحدهم مجددًا.

تسأله ريسا: «إذًا ماذا حدث للرضيع؟».

- عندما أُعيد إلى عتبة بابنا مرة أخرى كان مريضًا، يسعل كفقمة ويصطبغ جلده وعيناه باللون الأصفر.

تقول ريسا مشفِقة: «إنها الصفراء. يأتي الكثير من الرضع إلى ملاجئ الولاية على هذا الحال».

- أخذه والداي إلى المستشفى، لكن لم يكن هناك ما يمكن فعله. كنت هناك عندما مات. **رأيته** يُحتضر.

يغمض كونر عينيه، ويكز على أسنانه ليكبح دموعه. يعلم أنهما لا يستطيعان رؤيته، لكنه لا يريد دموعًا بأي حال.

- أذكر أنني ظللت أتساءل لم قد يحضِر الرب إلى هذا العالم طفلًا لن ينال من الحب شيئًا.

يتساءل إن كان ليف سيدلي بتعليق حول المسألة، لأنه عندما يتعلق الأمر بالرب فإن ليف يملك جميع الأجوبة.

لكن ليف يقول: «لم أكن أظن أنك تؤمن بالرب».

يتوقف كونر قليلًا ليكبح مشاعره، ثم يكمل قائلًا: «تكفَّلنا بالجنازة لأنه رضيعنا بموجب القانون. لم يكن له اسم، ولم يستطع والداي أن يطلقا عليه اسمًا. كان فقط رضيع لاسيتر. على الرغم من أنه لا أحد أراد أخذه، فإن الحي بأكمله حضر الجنازة. كانوا يبكون كما لو أن رضيعهم هو من مات. عندها

أدركت أن من يبكون هم من تبادلت أيديهم ذلك الرضيع، أنهم من شاركوا في قتله، تمامًا مثل والديَّ».

يلفهم الصمت الآن. ترشح قطرات الماء من مقبض الدفق. تتدفق مياه مرحاض بدورة مياه الفتيان في الجوار، ويتردد الصوت الأجوف حولهم.

يقول ليف أخيرًا: «يجب ألا يتخلى الناس عن الأطفال الذين يُتركون أمام أبوابهم».

تجيبه ريسا قائلة: «يجب ألا ينقل الناس أطفالهم».

يقول كونر: «يجب ألا يفعل الناس الكثير من الأشياء».

يعلم أن كليهما على صواب، لكن هذا لا يشكِّل فارقًا. في العوالم المثالية فقط لا تتخلى الأمهات عن أطفالهن، ويحتضن الغرباءُ المنبوذين. في العوالم المثالية فقط تكون الأشياء إما بيضاء وإما سوداء، إما صائبة وإما خاطئة، ويستطيع الجميع التمييز بينها. لكن هذا العالم ليس مثاليًا. تكمن المشكلة فيمن يظن أنه كذلك.

- أنا فقط أردت أن تعلما الأمر.

بعد بضع لحظات يدق الجرس، ويحدِث الطلاب جلبة في الردهة. يصر باب دورة المياه، وتدخل الفتيات يضحكن ويثرثرن.

- *ارتدِ ثوبًا في المرة القادمة.*

- *هل يمكنني استعارة كتاب التاريخ خاصتك؟*

- *كان الاختبار تعجيزيًا.*

يواصل الباب الصرير، وتتوالى محاولات فتح باب مرحاض كونر الموصَد. لا توجد من هي طويلة بما يكفي لتتحقق ناظرة من الأعلى، ولا تريد أي منهن النظر من الأسفل. يدق جرس العودة فتسرع آخر الفتيات إلى الصف. لقد نجحوا في الوصول إلى الفترة الثانية. إن حالفهم الحظ، فسيتضمن جدول هذه المدرسة استراحة منتصف النهار. ربما عندئذ سيتمكنون من الخروج خلسة. في مرحاض ريسا، تخرج أصوات استيقاظ الرضيعة. لا تبكي، لكنها تطقطق، توشك أن تسيل دموعها جوعًا.

تسأل ريسا: «هل علينا أن نبدل المراحيض؟ قد ينتاب الزوار المتكررون الشك إن رأوا قدميَّ في المرحاض نفسه».

- فكرة جيدة.

يرهف كونر السمع ليتحقق أنه ما من وقع خطوات بالردهة، ثم يفتح باب مرحاضه ويبدل مكانه مع ريسا. باب مرحاض ليف مفتوح أيضًا، لكنه لا يخرج منه. يدفع كونر باب مرحاض ليف على اتساعه، ولا يجده بالداخل.

ينظر إلى ريسا قائلًا: «ليف؟».

لكنها تهز رأسها في حيرة. يتفقدان جميع المراحيض، ثم يعودان لتفقد مرحاض ليف مرة أخرى، كما لو أنه قد يعاود الظهور، لكنه لا يفعل. لقد اختفى ليف. والآن تبدأ الرضيعة تنتحب بكل ما أوتيت من قوة.

***

15. ليف

يعتقد ليف أن قلبه سينفجر في صدره، سينفجر قلبه، وسيموت هنا بالضبط في ردهة المدرسة. كان تسلله خارجًا من دورة المياه عندما دق الجرس محطِّمًا لأعصابه. لقد فتح قفل باب مرحاضه، وظل ممسكًا بالمقبض عشر دقائق في انتظار رنين الجرس الإلكتروني، ليغطي على صوت الباب عندما يفتحه. ثم كان عليه أن يصل إلى مدخل دورة المياه دون أن يسمعا صرير حذائه الرياضي المطاطي الجديد على الأرضية (لماذا تُسمَّى أحذية مطاطية إن لم يساعدك ارتداؤها في التسلل؟). لم يستطع فتح ذلك الباب الصاخب والخروج بمفرده، لأن هذا سيلفت نظريهما إليه. لهذا انتظر إلى أن قامت فتاة آتية إلى دورة المياه بالأمر بدلًا منه. كان عليه أن ينتظر بضع ثوانٍ فقط لأن الجرس كان قد دق بالفعل. فتحت الفتاة الباب فاندفع مارًّا بها آملاً أنها لن تقول أي شيء يكشفه. إن علَّقت على وجود فتى في دورة مياه الفتيات فسيدري كونر وريسا بأمره.

بينما كان يسرع في الخروج قالت له الفتاة: «ارتدِ ثوبًا في المرة القادمة».

وضحكت صديقتها. هل كان هذا كافيًا ليثير انتباه كونر وريسا إلى هروبه؟ لم يلتفت ليعرف، لقد واصل تقدمه فقط.

إنه الآن تائه في ردهات المدرسة الثانوية الواسعة. ويوشك قلبه أن ينفجر في أي لحظة. يحيط به حشد ضارٍ من الطلاب المسرعين إلى صفهم التالي، يصطدمون به ويربكونه. يفوق معظم الطلاب هنا ليف حجمًا، إنهم مهيبون ومفزِعون. لطالما تصور ليف المدرسة الثانوية مكانًا خطرًا حافلًا بالغموض والمراهقين العنيفين. لم ينتَبه القلق حيال الأمر قط، لأنه كان يعلم أنه لن يضطر إلى الالتحاق بها أبدًا. في الواقع، كان يقلق فقط لأنه لن يكمل الصف الثامن.

يسأل أحد الطلاب الأبطأ حركة: «عذرًا، هل يمكنك أن تخبرني أين المكتب الرئيس؟».

يخفض الفتى نظره إلى ليف، كما لو أنه يرى أحد القادمين من المريخ، ويقول: «كيف لا تعرف هذا؟».

ثم يبتعد دهِشًا. يرشده فتى أكثر لطفًا إلى الاتجاه الصحيح. يدرك ليف أنه يجب وضع الأمور في مسارها الصحيح. إن أفضل مكان للقيام بذلك هو هنا في المدرسة. إن كانت هناك خطط سرية لقتل كونر وريسا، فلن تحدث هنا في وجود هذا العدد من المراهقين. إذا قام بالأمر بالطريقة الصحيحة فلن يحدث هذا على الإطلاق. إن قام بالأمر بالطريقة الصحيحة سيتجه ثلاثتهم آمنين إلى التفكيك، كما ينبغي أن يحدث، كما هو مُقدَّر أن يحدث. لا يزال تفكيره في الأمر يخيفه، لكن الرعب الحقيقي هو العيش دون القدرة على توقع ما قد تجلبه اللحظة التالية. إن انتزاع ليف بعيدًا عن غايته هو أشد ما عاشه صعوبة، لكنه الآن يفهم لمَ سمح الرب بحدوث ذلك. إنه درس، ليرى ليف ماذا يحدث للصبية الذين يتهربون من قدرهم، إنهم يتوهون تمامًا.

يدخل ليف المكتب الرئيس، ويقف أمام مكتب الاستقبال، ينتظر أن تلتفت الموظفة إليه، لكنها منهمِكة في ترتيب المستندات.

- عذرًا...

تنظر إليه أخيرًا قائلة: «كيف يمكنني أن أساعدك يا عزيزي؟».

يتنحنح قائلًا: «اسمي ليف كالدر، ولقد اختطفني مُفكَّكان هاربان».

فجأة تعيره السيدة، التي لم تكن منتبهة من قبل، كامل انتباهها.

- ماذا قلت؟!

- لقد اختُطفت. كنا نختبئ في دورة المياه، لكنني هربت. لا يزالان هناك. معهما رضيعة أيضًا.

تقف المرأة، تهتف طلبًا للمساعدة ويرتجف صوتها، كما لو أنها تنظر إلى شبح. تهاتف الناظر الذي يستدعي حارس أمن.

بعد بضع دقائق، يجلس ليف في العيادة توليه الممرضة اهتمامًا كبيرًا، كما لو أنه يعاني الحمى.

تقول: «لا تقلق. أيًا كان ما حدث لك فقد انتهى الآن».

لا يستطيع ليف أن يعلم ما إن كانوا قد أمسكوا بكونر وريسا، لأنه هنا في العيادة. يأمل، إن حدث ذلك، ألا يحضروهما إلى هنا. قد يضطر إلى مواجهتهما وهذا الاحتمال يشعِره بالخزي. يجب ألا يجعلك فعل الصواب تشعر بالخزي.

تخبره الممرضة: «لقد استُدعيت الشرطة. كل شيء تحت السيطرة. ستعود إلى المنزل قريبًا».

يخبرها: «لن أعود إلى المنزل».

تنظر إليه الممرضة متسائلة، لكنه يقرر ألا يخوض في الأمر.

يقول: «لا عليكِ. هل يمكنني أن أتصل بوالديَّ؟».

تنظر إليه ذاهلة، وتقول: «تعني أنه لم يقم بذلك أحد من أجلك؟».

ثم تنظر إلى هاتف المدرسة في الزاوية، وتخرِج هاتفها الخلوي من جيبها بدلًا من ذلك.

- اتصل وأخبرهما أنك بخير. تحدَّث قدر ما تشاء.

تنظر إليه قليلًا، ثم تقرر أن تمنحه بعض الخصوصية، فتغادر الغرفة قائلة: «سأكون هنا إن احتجت إليَّ».

يشرع ليف في إدخال الأرقام، لكنه يتوقف. من يريد ليف التحدث إليه ليس والديه. يمسح الأرقام ويدخِل أخرى. يتردد قليلًا ثم يضغط زر الإرسال.

يُجاب اتصاله عند الجرس الثاني.

- مرحبًا؟

- القس دان؟

يخيم الصمت لحظة، ثم يتعرف إلى صوته.

- رباه! ليف؟ ليف، هل هذا أنت؟ أين أنت؟

- لا أعلم. في إحدى المدارس. استمع إليّ، عليك أن تخبر والديَّ أن يوقفا الشرطة! لا أريدهما أن يُقتَلا.

- ليف، تمهل. هل أنت بخير؟

- لقد اختطفاني، لكنهما لم يؤذياني، ولهذا لا أريد أن يتعرضا للأذى. أخبر والدي أن يبعِد الشرطة!

- لا أعلم ما الذي تتحدث عنه. لم نخبر الشرطة قط.

لم يتوقع ليف سماع ذلك. يقول: «أنتم لم... ماذا؟».

- كان والداك سيفعلان ذلك. كانا سيضخِّمان الأمر، لكنني أقنعتهما بألا يفعلا ذلك. أقنعتهما بأن اختطافك كان بطريقة ما مشيئة الرب.

يأخذ ليف في هز رأسه، كما لو أنه هكذا سيستطيع إبعاد الفكرة.

- لكن... لكن لم قد تفعل ذلك؟

يلح القس دان قائلًا: «ليف، أصغِ إليَّ. أصغِ إليَّ جيدًا. **لا يدري أحد أنك اختفيت**. لا يعلم الجميع سوى أنك نُذِرت عُشرًا، ولا يطرح الناس أسئلة حول الأعشار الذين نُذِروا. هل تعي ما أقول؟».

- لكن... أنا أريد أن أُنذَر عُشرًا. أنا **في حاجة** إلى ذلك. يجب عليك أن تتصل بوالديَّ وتخبرهما بالأمر. يجب عليك أن تأخذني إلى مخيم الحصاد.

الآن يستبد الغضب بالقس دان. يقول: «لا تجبرني *على فعل ذلك!* رجاءً، لا تجبرني *على فعل ذلك!*».

يبدو كما لو أنه يخوض معركة، لكن معركته ليست مع ليف. لا يلائم هذا الصورة التي يرى ليف القس دان عليها. لا يمكنه أن يصدق أن هذا هو الشخص نفسه الذي عرفه طوال هذه السنوات. يبدو الأمر وكأن أحدهم قد انتحل شخصية القس، وسرق صوته فقط تاركًا قناعاته كلها.

- ألا ترى يا ليف؟ يمكنك إنقاذ نفسك. يمكنك أن تصبح أيًّا من تريد الآن.

تتكشف الحقيقة كاملة أمام ليف فجأة. لم يكن القس دان يطلب منه الفرار من المختطِفين في ذلك اليوم. كان يطلب منه الفرار منه، ومن والديه، ومن التضحية به كعُشر. بعد خطبِه ومواعظه كلها، بعد كل تلك الأحاديث عن واجب ليف المقدس عامًا تلو الآخر، اتضح أن الأمر كله كذبة. وُلد ليف ليُنذَر عُشرًا، لكن الرجل الذي أقنعه بأن قدره هذا ذو مجد وشرف لا يؤمن بذلك.

- ليف؟ ليف، هل تسمعني؟

إنه يسمعه، لكنه لا يريد ذلك. لا يريد أن يجيب هذا الرجل الذي قاده إلى منحدر ليبتعد في اللحظة الأخيرة. الآن تدور مشاعره كعجلة الحظ. يغضب في لحظة، وفي التالية يشعر بالراحة. في ثانية يملؤه رعب شديد،

رائحته كالحمض تلسع أنفه، وفي التالية تغمره موجة من الفرح، كما اعتاد أن يشعر عندما يؤرجح مضربه، ويسمعه يطق عندما يضرب الكرة. إنه كتلك الكرة الآن، يحلق بعيدًا. لقد كانت حياته مثل ملعب، أليس كذلك؟ مخطط هذا الملعب، وهيكله، وقواعده جميعهم لا يتغيرون أبدًا. لكنه الآن قد قُذف به خارج الجدار، ووصل إلى منطقة مجهولة.

يقول القس دان: «ليف؟ أنت تخيفني. تحدث إليَّ».

يأخذ ليف نفسًا عميقًا بطيئًا، ثم يقول: «وداعًا سيدي».

ثم ينهي المكالمة دون كلمة أخرى.

يرى ليف سيارات الشرطة تصل في الخارج. سيُمسَك بكونر وريسا الآن، إن لم يكن قد أُمسك بهما بالفعل. لم تعد الممرضة واقفة عند الباب، بل تعاتب الناظر حول كيفية معالجته الوضع.

- لماذا لم تتصل بوالدَي الصبي المسكين؟ لماذا لم تغلق المدرسة؟

يعلم ليف ما يجب عليه فعله. ما سيفعله خطأ. ما سيفعله سيئ. لكنه فجأة لم يعد يبالي. يتسلل خارجًا من العيادة خلف ظهرَي الممرضة والناظر متجهًا إلى الردهة، وسرعان ما يجد ما يبحث عنه. يمد يده إلى الصندوق المثبَّت على الحائط.

أنا تائه تمامًا.

يشعر ببرودة المعدن تلسع أطراف أصابعه، ثم يطلق إنذار الحرائق.

***

16. المعلمة

بينما تقضي المعلمة فترة التحضير ينطلق إنذار الحرائق، فتلعن في صمت توقيت المسؤولين المريع. تفكر في أن تبقى في فصلها الفارغ حتى ينتهي أمر الإنذار الكاذب، الذي دائمًا ما يكون كاذبًا. لكن أي نوع من القدوة ستكون إن نظر الطلاب المارون إلى الداخل ورأوها جالسة هنا؟

عندما تغادر الغرفة ترى الطلاب يملؤون الردهات. يبذل المعلمون قصارى جهدهم ليحافظوا على النظام، لكن هذه مدرسة ثانوية، لقد اختفت الصفوف المنظَّمة، التي تميِّز تدريبات مواجهة الحرائق في المدارس الابتدائية منذ فترة طويلة، وحلت محلها صفوف متعرجة وقحة من مراهقين أجسادهم الضخمة تعيقهم. ثم تلحظ شيئًا غريبًا، شيئًا مقلِقًا، هناك شرطيان بالقرب من المكتب الرئيس يتهيبان، فيما يبدو، حشد المراهقين الذين يمرون بهما ليغادروا عبر بوابة المدرسة الرئيسة. لمَ يوجد ضباط الشرطة وليس رجال إطفاء الحرائق؟ وكيف أمكنهما المجيء إلى هنا بهذه السرعة؟ ليس هذا ممكنًا. لا بد أنهما قد استُدعيا قبل انطلاق إنذار الحرائق. لكن لماذا؟

حضرت الشرطة إلى هنا في آخر مرة لأن أحدهم أبلغ عن وجود مُصفِّق. أُخليت المدرسة، ولم يعلم أحد السبب وراء ذلك إلى أن انتهت الواقعة. اتضح فيما بعد أنه لم يكن هناك أي مُصفِّق، ولم تواجه المدرسة خطر التفجير قط. كان محض فتى يمزح مزاحًا سخيفًا. على الرغم من ذلك، فإنه دائمًا ما تؤخذ تهديدات وجود المُصفِّقين على محمل الجد، لأنه لا يمكن تخمين متى يكون التهديد حقيقيًّا.

تقول لطالب يصطدم بذراعها: «رجاءً، لا تدافُع! لا تقلقوا سنتمكن جميعًا من الخروج».

من الجيد أنها لم تحضر قهوتها معها.

- آسف سيدة ستاينبرج.

بينما تمر بمعمل من معامل العلوم تلحظ أن بابه مفتوح. تلقي نظرة سريعة نحو الداخل لتتم عملها، وتتوثق من عدم وجود متلكّئين، أو طلبة يحاولون تجنب الخروج الجماعي. جميع الطاولات ذات الأسطح الرخامية خالية، وجميع المقاعد في أماكنها؛ لم يكن هناك أحد في المعمل في هذه الفترة. عندما تمد يدها لتغلق الباب، بحسب ما تعوَّدته ليس إلا، تسمع صوتًا في غير موضعه تمامًا. صرخة رضيع!

في بادئ الأمر، تظن الصوت قادمًا من حضانة الأمهات الطالبات، لكن الحضانة في نهاية الردهة. لا شك أن تلك الصرخة أتت من المعمل. تسمع صرخة أخرى، لكنها تخرج مكتومة وأكثر غضبًا هذه المرة. إنها تعرف ذلك الصوت. تحاول إحداهن تغطية فم الرضيع لتكفه عن البكاء. دائمًا ما تفعل الأمهات المراهقات ذلك عندما يكون رضيعهم حيث لا يجب أن يكون. لا يدركن أبدًا، فيما يبدو، أن هذا يزيد بكاء الرضيع شدة.

تهتف قائلة: «انتهى الحفل. هيا، عليكِ أنتِ ورضيعك أن تغادرا مع الجميع».

تسمع ذلك البكاء المكتوم مجددًا، يتبعه همس محتد لا تستطيع تفسيره. تدخل المعمل منزعجة، وتقطع الممر الرئيس، تنظر إلى اليمين واليسار، إلى أن تجدهم جاثمين خلف طاولة من طاولات المعمل. لا ترى فتاة ورضيعًا فقط، بل وهناك فتى أيضًا. يبدو عليهم اليأس. يبدو الفتى وكأنه قد يندفع راكضًا، لكن الفتاة تمسك به بيدها الخاوية بقوة فيبقى في موضعه. ينتحب الرضيع.

قد لا تعرف المعلمة اسم كل طالب بالمدرسة، لكنها تعرف وجوههم جميعها تقريبًا، وهي بالتأكيد تعرف جميع الأمهات الطالبات. هذه ليست واحدة منهن، ولا يبدو الفتى مألوفًا أبدًا أيضًا.

تنظر إليها الفتاة بعينين تناشدانها، لكن الذعر يعقد لسانها فتهز رأسها فقط.

يتولى الفتى الحديث: «إن سلمتنا إلى الشرطة فسنموت».

تضم الفتاة الرضيع إلى صدرها عندما يقول ذلك. يهدأ بكاؤه، لكنه لا يختفي تمامًا. لا شك أن هذين الاثنين هما من تبحث الشرطة عنهما، لأسباب لا يمكنها تخمينها.

يقول الفتى: «رجاءً...».

تفكر المعلمة: رجاءً *ماذا؟ رجاءً خالفي القانون؟ رجاءً عرِّضي نفسك والمدرسة للخطر؟* لا، لا يبدو الأمر هكذا مطلقًا. ما يقوله حقًّا هو: رجاءً تحلي ببعض *الإنسانية*. عندما تكتظ الحياة بالقواعد والأنظمة يصبح من السهل أن ننسى الغاية منهم. إنها تدرك -إنها ترى- كم تسبق النفعية الرحمة.

تسمع صوتًا خلفها يقول: «هانا؟».

تلتفت لتجد معلمًا آخر يقف عند الباب ينظر إلى الداخل، تبعثر هندامه قليلًا بعد أن واجه اندفاع تيار الطلاب، الذين لا يزالون يغادرون المدرسة. لا شك أنه يسمع بكاء الرضيع. كيف له ألا يفعل؟

يسألها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

تقول هانا بصوت أكثر هدوءًا مما تشعر به بالفعل: «أجل، أنا أهتم بالأمر».

يومئ المعلم ويغادر. على الأرجح أنه ممتن لعدم مشاركتها عبء أي أمر يخص ذلك الرضيع الباكي.

تدرك هانا الأمر الآن، أو على الأقل تخال ذلك. يبدو هذا اليأس في أعين المراهقين عندما يكونون قيد التفكيك فقط.

تمد يدها إلى الفتى والفتاة المرتاعين قائلة: «تعاليا معي».

يترددان، لهذا تقول: «إذا كانوا يبحثون عنكما فسيجدونكما حال أن يصبح البناء شاغرًا. لا يمكنكما الاختباء هنا. إذا كنتما تريدان الرحيل يجب عليكما المغادرة مع الجميع. هيا، سأساعدكما».

ينهضان أخيرًا من وراء الطاولة، وتتنفس الصعداء. لا شك أنهما ما زالا لا يثقان بها، لكن ما الذي قد يجعلهما يثقان بها؟ تتبع الخيانة المُفكَّكين

كظل دائم. ليس عليهما الوثوق بها، عليهما الذهاب معها وحسب. الحاجة أُم الامتثال في حالة كهذه، ولا بأس في ذلك.

تقول لهما: «لا تخبراني اسميكما. لا تخبراني أي شيء، كي لا أكون كاذبة عندما أقول إنني لا أدري إن استجوبوني فيما بعد».

لا يزال الطلاب يتدافعون في الردهة متجهين إلى أقرب مخرج. تغادر المعلمة المعمل، وتتحقق أن الفتى والفتاة ورضيعهما خلفها مباشرة. ستساعدهما. ستبذل قصارى جهدها لتبعِدهما عن الخطر أيًّا كانت هويتهما. أي نوع من القدوة ستكون إن لم تفعلَ ذلك؟

***

17. ريسا

ضباط الشرطة في نهاية الردهة! ضباط الشرطة عند المخارج! تعلم ريسا أن ليف وراء ذلك. لم يهرب فقط، بل وأبلغ الشرطة عنهما. تقول هذه المعلمة إنها تساعدهما، لكن ماذا لو كان هذا غير صحيح؟ ماذا لو كانت تقودهما إلى الشرطة؟

لا تفكري في *هذا الآن! أبقي* عينيك على *الرضيعة.*

يعرف ضباط الشرطة الذعر عندما يلمحونه، لكن إن وجَّهت ريسا نظرها إلى الرضيعة فقد يُعزى ذعرها إلى قلقها لأن الرضيعة تبكي.

يقول كونر: «إن رأيتُ ليف مرة أخرى فسأمزقه إربًا».

تقول المعلمة وهي تقودهما مع الحشد إلى المخرج: «صمتًا».

لا تستطيع ريسا لوم كونر على غضبه، لكنها تلوم نفسها لأنها لم تستطع كشف خدعة ليف. كيف أعمتها السذاجة لتظن أنه كان حقًّا في صفهما؟

يتمتم كونر: «كان يجب علينا أن ندع ذلك الأحمق الصغير يُفكَّك».

تقول ريسا: «اصمت. لنخرج من هنا وحسب».

بينما يقتربون من الباب ترى ضابط شرطة آخر يقف بالخارج.

تأمرها المعلمة قائلة: «أعطيني الرضيع».

وتمتثل ريسا لأمرها. لا تدري بعد لمَ طلبت المرأة الرضيعة، لكن هذا لا يهم. من الرائع أن تحظى بشخص يتولى القيادة ويبدو أنه يعلم ما يجب فعله. ربما هذه المرأة ليست عدوهما. ربما ستساعدهما حقًّا في تخطي هذه العقبة.

تقول المعلمة: «سأتقدم. انفصلا واخرجا مع باقي الطلاب».

تعلم ريسا أنها، في غياب الرضيعة التي كانت تنظر إليها، لن تستطيع إخفاء الذعر الذي يبدو في عينيها، لكنها تدرك فجأة أنه لا ضير من هذا. والآن تفهم لمَ أخذت المرأة الرضيعة. لقد وشى ليف بهما، لكن إن حالفهما الحظ، فقد لا يملك ضباط الشرطة المحليين هؤلاء سوى وصف لهما فقط يهتدون به: فتى غير مرتب الشعر، وفتاة ذات شعر داكن تحمل رضيعًا. إن انفصل عنهما الرضيع، فسيصبح نصف طلاب هذه المدرسة تقريبًا مشتبَهًا بهم. تمر المعلمة هانا بضابط الشرطة على بعد بضع ياردات أمامهما. ينظر إليها ضابط الشرطة نظرة سريعة فقط، ثم يوجِّه نظره إلى ريسا، ويحدق إليها. تظن ريسا أنها قد كشفت نفسها للتو. هل يجب عليها أن تستدير وتركض عائدة إلى المدرسة؟ أين كونر الآن؟ هل هو خلفها؟ أمامها؟ لا تدري. إنها وحيدة تمامًا. ثم يأتيها الخلاص في صورة غير متوقَّعة.

- مرحبًا ديدي!

إنها أليكسس، الفتاة الثرثارة التي قابلوها في حافلة المدرسة! تقترب منها تحمل تشايز الذي يعضعض كتفها.

تقول: «يطلق الناس الإنذارات طوال الوقت. حسنًا، على الأقل نجوت من صف الرياضيات».

يوجِّه ضابط الشرطة نظره فجأة إلى أليكسس.

- توقفي مكانك يا آنسة.

تبدو أليكسس مدهوشة. تقول: «من؟ أنا؟!».

- تنحي جانبًا. نود أن نسألك بعض الأسئلة.

تواصل ريسا السير، تحبس أنفاسها خوفًا من أن يجذب تنفسها الصعداء انتباه الشرطي إليها مجددًا. لم تعد ريسا تطابق الوصف الذي يبحثون عنه، لكن أليكسس تطابقه. لا تلتفت ريسا إلى الوراء، تتابع طريقها نحو الخارج.

بعد بضع لحظات يلحق كونر بها: «رأيت ما حدث هناك. لقد أنقذتْ صديقتكِ حياتكِ للتو».

- سأشكرها لاحقًا.

أمامهما، تمد هانا يدها الخاوية إلى جيبها، وتخرِج مفاتيح سيارتها، ثم تلتفت يسارًا نحو موقف سيارات أعضاء هيئة التدريس. تفكر ريسا: *سيكون كل شيء بخير، ستخرِجنا من هنا*. قد تبدأ ريسا الإيمان بالمعجزات، والملائكة... لكنها تسمع صوتًا مألوفًا يهتف خلفها.

- انتظرا! توقفا!

تلتفت لتجد أن ليف قد رآهما. إنه بعيد عنهما، لكنه يشق طريقه سريعًا عبر الحشد متجهًا نحوهما.

- ريسا! كونر! انتظرا!

لم يكفِه الوشاية بهما، والآن يقود ضباط الشرطة إليهما مباشرة. ليس وحده من يفعل ذلك، لا تزال أليكسس تقف مع ضابط الشرطة عند مدخل المدرسة الجانبي. تستطيع أن ترى ريسا حيث تقف، وتشير إلى ريسا دالة الشرطي عليها. يخرِج الشرطي اللاسلكي الخاص به على الفور ليبلغ ضباط الشرطة الآخرين.

- كونر، نحن في ورطة.
- أعلم، أنا أيضًا أرى ذلك.

لا يزال ليف بعيدًا عنهما لكنه يقترب، يصرخ قائلًا: «انتظرا!».

تبحث ريسا عن هانا، لكنها اختفت وسط حشد الطلاب بموقف السيارات.

ينظر كونر إلى ريسا، يطغى الخوف في عينيه على الغضب. يقول: «لنركض».

لا تتردد ريسا هذه المرة وتركض معه. عندما يندفعان نحو الطريق تقتحم المشهد شاحنة إطفاء الحرائق، وتدوي صفارة الإنذار الخاصة بها. تتوقف الشاحنة قاطعة طريقهما. لا يوجد مكان للهرب. لقد أسعفهما الحظ وأُطلق إنذار الحرائق في الوقت المناسب. هذا ما ساعدهما على الوصول إلى هنا، لكن الاضطراب يهدأ. يتلكأ الطلاب ولا يتقدمون، وضباط الشرطة في كل مكان يستهدفونهما. إنهما في حاجة إلى فوضى جديدة، إلى شيء أكثر خطرًا من إنذار الحرائق.

تأتي ريسا الإجابة قبل أن تتمكن من صياغة الفكرة كاملة في ذهنها.

تتحدث قبل أن تدرك ما هي على وشك قوله: «ابدأ التصفيق!».

- ماذا؟

- ابدأ التصفيق. ثق بي!

يومئ كونر إيماءة واحدة تخبرها أنه فهم الأمر، ويبدأ التصفيق، بطيئًا في البداية ثم تزداد سرعته. تفعل ريسا الشيء نفسه، ويصفقان معًا كما لو أنهما في حفل يهتفان لفرقتهما الموسيقية المفضلة.

بالقرب منهما، يلقي طالب حقيبة الظهر الخاصة به، ويحدق إليهما في رعب خالص.

يصرخ قائلًا: «مُصفِّقين!».

يذيع الخبر في لحظات.

مُصفِّقين مُصفِّقين مُصفِّقين...

يتردد صدى الكلمة ليبلغ الطلاب الذين حولهما، وسرعان ما يصل إلى عدد كافٍ ليصاب الحشد كله بالهلع التام.

يصرخ الجميع قائلين: «مُصفِّقين!».

ويفر الحشد مذعورًا. يركض الطلاب، لكن لا أحد منهم يدري إلى أين يذهب. لا يعلمون سوى أنه يجب عليهم الابتعاد عن المدرسة بأسرع ما يمكن.

يواصل كونر وريسا التصفيق. إنهما يصفقان معًا بقوة أكست أيديهما حمرة. لن يستطيع ضباط الشرطة الوصول إليهما وسط الجمع المتدافع الذي يعميه الخوف. لقد اختفى ليف. دهسه الجمع المذعور. وتزيد صفارة الإنذار، التي تدوي كما لو أنها تعلن نهاية العالم، الوضع سوءًا.

يتوقفان عن التصفيق وينضمان إلى الفرار الجماعي، يصبحان جزءًا من الحشد الراكض.

عندئذ يظهر شخص بجانبهما، إنها هانا. لم يعد من الممكن أن تبعدهما بسيارتها عن الحرم المدرسي، ولهذا تسرع في إعادة الرضيعة إلى ريسا.

تخبرهما: «يوجد متجر للتحف في شارع فلمنج. ابحثا عن سونيا. ستساعدكما».

لا تستطيع ريسا أن تقول شيئًا سوى: «نحن لسنا مُصفِّقين».

- أعلم أنكما لستما كذلك. حظًّا موفقًا.

لا يُتاح لهما الوقت لشكرها، إذ سرعان ما يفرِّقهم الحشد، آخذًا هانا في اتجاه مختلف. تتعثر ريسا، وتنتبه إلى أنهما في منتصف الطريق. لقد أوقف السيارات مئات الطلاب الذين يركضون في نوبة جنون للهرب من الإرهابيين، أينما كانا. تصرخ الرضيعة باكية بين ذراعَي ريسا، لكن بكاءها يضيع في صرخات الجميع. يعبران الطريق في لحظات، ويذهبان مع الحشد.

***

18. ليف

سقط ليف كالدر أسفل أقدام الحشد الفار، إن هذا هو المعنى الحقيقي للوحدة.

- كونر! ريسا! النجدة!

لم يكن عليه أن يهتف باسمَيهما، لكن تغيير ذلك لم يعد ممكنًا الآن. لقد هربا منه عندما ناداهما. ركضا، ولم ينتظراه. إنهما يكرهانه، ويعلمان ما فعله. تندفع مئات الأقدام تدهس ليف كما لو أنه ليس هناك. تُداس يده، يحط حذاء على صدره، ويتخذه فتى كمِقفز يثب منه لتزيد سرعته.

«مُصفِّقين». يصرخون جميعًا قائلين مُصفِّقين، لأنه أطلق الإنذار اللعين.

يجب عليه أن يلحق بكونر وريسا. يجب عليه أن يفسر لهما ما حدث، وأن يخبرهما أنه آسف، أنه كان مخطئًا في إبلاغ الشرطة عنهما، وأنه أطلق إنذار الحرائق ليساعدهما على الهرب. يجب عليه أن يوضِّح الأمر. إنهما صديقاه الوحيدان الآن. كانا صديقيه، لكنهما لم يعودا كذلك. لقد دمر كل شيء.

يتمكن ليف من الوقوف أخيرًا بعد أن قل التدافع. مُزقت ركبة بنطاله، ويشعر بطعم الدماء. لا بد أنه قد عض لسانه. يحاول تقييم الوضع حوله. غادر معظم الحشد الحرم المدرسي إلى الشارع الرئيس وما ورائه، واختفوا في الشوارع الجانبية. لم يتبقَّ سوى المتلكئين.

يقول فتى يسرع مارًّا به: «لا تقف عندك. هناك مُصفِّقان فوق السطح!».

يقول فتى آخر: «لا، سمعت أنهما في المقصف».

يرى ليف ضباط الشرطة المرتبكين يذرعون الأرجاء، يهرولون بثبات زائف، كأنهم يعلمون بالضبط إلى أين يذهبون، ثم يستديرون ليهرولوا بالثبات ذاته في اتجاه آخر.

لقد تركه كونر وريسا.

الآن ينتبه إلى أنه إن لم يغادر مع آخر المتلكئين، فسيجذب انتباه الشرطة إليه.

يهرب ليف، والعجز ينتابه أكثر من رضيع منقول. لا يدري من يلوم على هذا الحال، القس دان الذي تخلى عنه؟ أم يلوم نفسه لخيانة الشخصين الوحيدين اللذين رغبا في مساعدته؟ أم يلوم الرب على سماحه بأن تصل حياته إلى هذه اللحظة المريرة؟ يمكنك *أن* تصبح *أيًا* من تريد *الآن*، هكذا قال القس دان. لكن الخواء فقط هو ما يشعر ليف به الآن.

ليف جيدادايا كالدر لم يعد له وجود، إن هذا هو المعنى الحقيقي للوحدة.

***

19. كونر

يقع متجر التحف في الجانب العتيق من البلدة. ينثني الشجر على الطريق، وتضرب الشاحنات الضخمة المارة أغصانه فتتخذ نسقًا غريبًا حاد الزوايا. تملأ أوراق الأشجار الصفراء والبنية الشارع، لكن بعض الأوراق المعانِدة لا تزال تتشبث بالأغصان فتصنع مظلة شجرية.

لا يهدأ بكاء الرضيعة. يريد كونر أن يشكو الأمر إلى ريسا، لكنه يعلم أنه لا يستطيع فعل ذلك. لولاه ما أصبحت الرضيعة جزءًا من الرحلة.

لا يزدحم الشارع بالمارَّة، هناك البعض فقط. معظمهم طلاب المدرسة الثانوية، يتجولون وينشرون المزيد من الشائعات عن مُصفِّقين يحاولان تفجير نفسيهما.

- *سمعت أنهما فوضويّان.*

- *سمعت أنهما ينتميان إلى دين غريب.*

- *سمعت أنهما يفعلان ذلك بقصد التجربة.*

إن التهديد الذي يشكِّله وجود المُصفِّقين فعال للغاية، لأن لا أحد يعلم أي قضية يدعمون.

بينما يقتربان من متجر التحف يخبر كونر ريسا: «كانت فكرة ذكية منكِ. أعني التظاهر بأننا مُصفِّقان. لم أكن لأفكر في ذلك قط».

- لقد تسرعت بما يكفي لتتخلص من ضابط شرطة الأحداث بمسدس التخدير الخاص به.

يبتسم كونر ويقول: «أنا أتبع حدسي، وأنت تتبعين عقلك. أظن أننا نشكِّل فريقًا جيدًا جدًّا».

- أجل. ونحن أقل تفكُّكًا من دون ليف.

عند ذكر ليف يشعر كونر بالغضب. يدلك ذراعه التي تؤلمه حيث عضه ليف، لكن ما فعله ليف اليوم أكثر إيلامًا من هذا بكثير.

- انسيه. لقد أصبح جزءًا من الماضي. نحن هربنا، ووشايته بنا لا تهم. الآن سيُفكَّك كما يريد بالضبط، ولن يشغلنا أمره ثانية.

على الرغم من ذلك فإن كونر يشعر بالندم عندما يفكر فيما حدث. لقد خاطر بحياته من أجل ليف. لقد حاول إنقاذه، لكنه أخفق. ربما لو كان كونر أكثر براعة في الحديث لاستطاع إقناعه حقًّا. لكن من يخدع؟ أصبح ليف عُشرًا منذ مولده. لا يمكنك أن تمحو ثلاثة عشر عامًا من غسيل الدماغ في يومين.

يبدو متجر التحف عتيقًا. يتقشر الطلاء الأبيض عن بابه الرئيس. يدفع كونر الباب فتصلصل الأجراس المعلَّقة أعلاه، كإنذار قديم الطراز بوجود دخيل. هناك زبون واحد، رجل عابس الوجه يرتدي معطفًا صوفيًّا. ينظر الرجل إليهما لا مباليًا، وينفر، فيما يبدو، من الرضيعة، إذ إنه يمعن في التجول في زوايا المتجر غير المرتب مبتعدًا عنهما.

يحتوي المتجر على أغراض تنتمي إلى حقب التاريخ الأمريكي كافة تقريبًا. هناك أجهزة آي- بود، وأدوات صغيرة أخرى تعود إلى زمن جده، على مائدة طعام قديمة ذات إطار من الكروم. يعرض تلفاز عتيق ذو شاشة مسطحة فيلمًا قديمًا. يطرح الفيلم رؤية مجنونة لم تتحقق قط عن مستقبل، به سيارات طائرة وعالم ذي شعر أبيض.

- كيف يمكنني أن أساعدكما؟

تخرج امرأة مسنة محدودبة كعلامة استفهام من خلف مكنة الدفع. تسير المرأة متكئة على عصا، لكنها، على الرغم من ذلك، ثابتة الخطى.

تؤرجح ريسا الرضيعة لتهدئ بكاءها قائلة: «نحن نبحث عن سونيا».

- لقد وجدتماها. ماذا تريدان؟

تقول ريسا: «نحن... إمم ... نريد المساعدة».

يقول كونر: «أجل، أشار علينا أحدهم بالمجيء إلى هنا».

تنظر إليهما المرأة المسنة في ارتياب، وتقول: «هل لهذا أي علاقة بتلك المهزلة التي حدثت بالمدرسة الثانوية؟ هل أنتما مُصفِّقان؟».

يقول كونر: «هل نبدو لك كمُصفِّقين؟».

تنظر المرأة إليه مضيقة جفنيها، تقول: «لا يبدو أحد كمُصفِّق».

يبادلها كونر النظر مضيقًا جفنيه، ثم يذهب إلى الحائط. يرفع يده ويدفعها إلى الأمام بكل ما أوتي من قوة، لاكمًا الحائط بعنف يكفي لكدم مفاصله. تسقط لوحة صغيرة لوعاء فاكهة عن الحائط. يمسك كونر بها قبل أن تصطدم بالأرض، ويضعها على المنضدة.

يقول: «أترين؟ إن دمي ليس متفجرًا. لو كنت مُصفِّقًا لتقوض هذا المتجر».

تحدق المرأة المسنة إلى كونر. نظراتها ثاقبة يصعب عليه أن يبادلها النظر، ثمة وهج في عينيها المرهَقتين، لكن كونر لا ينحِّي بصره عنها.

تسألهما: «أتريان هذه الحدبة؟ لقد أصابتني من جراء المخاطرة من أجل من هم مثلكما».

لا يحيد بصر كونر عنها، يقول: «أظن أننا جئنا إلى المكان الخطأ».

ثم يلقي نظرة سريعة نحو ريسا ويضيف: «لنرحل من هنا».

يستدير ليغادر، لكن المرأة ترفع عصاها لتهبط على ساقيه بحدة تؤلمه.

- ليس بهذه السرعة. في الواقع لقد اتصلت بي هانا. كنت أعلم أنكما قادمان.

لا تزال ريسا تؤرجح الرضيعة. تتنهد محبَطة، وتقول: «كان يمكنك إخبارنا بذلك حينما وصلنا».

- أين المرح في ذلك؟

اقترب الزبون عابس الوجه مجددًا، يتناول غرضًا تلو آخر، ولا يروقه شيء في المتجر.

يعلو صوتها بما يكفي ليسمعه الزبون قائلة: «لديَّ بعض الأغراض الرائعة للرُّضع في الغرفة الخلفية. لم لا تذهبان إلى هناك وتبقيان في انتظاري؟».

ثم تهمس قائلة: «وبحق الرب، أرضعي هذا الرضيع!».

هناك باب يغطيه ما يشبه ستارة حمام قديمة، يقود إلى الغرفة الخلفية. إن فوضى الغرفة الرئيسة لا تعد شيئًا عند مقارنتها مع فوضى هذه الغرفة، إذ تتكدس بها الأغراض التي لم تكن جيدة بما يكفي للعرض، مثل إطارات اللوحات المكسورة وأقفاص الطيور الصدئة، تزحمها نفاية الخردة.

يقول كونر: «وتظنين أن هذه المرأة المسنة ستساعدنا؟ يبدو أنها لا تستطيع أن تساعد نفسها!».

تقول ريسا: «لقد قالت هانا إنها ستساعدنا. أنا أثق بها».

- لقد نشأتِ في ملجأ ولاية. كيف ما زلتِ تستطيعين الثقة بالناس؟

تنظر إليه غاضبة وتقول: «احمل هذه».

تضع الرضيعة بين ذراعَي كونر. هذه هي المرة الأولى التي تناوله فيها الرضيعة. إنها أخف وزنًا مما توقع بكثير. شيء صاخب ومتطلِّب بهذا القدر يجب أن يكون أكثر ثقلًا. لقد هدأ صراخ الرضيعة الآن، لقد أرهقت نفسها.

لا شيء يربطهما بهذه الرضيعة. يمكنهما أن ينقلاها مرة أخرى في الصباح الباكر. عندما يفكر كونر في ذلك يشعر بالانزعاج. إنهما لا يدينان لهذه الرضيعة بأي شيء. غباؤه هو ما ربطها بهما، وليس الدم. لا يرغب كونر في إبقائها، لكنه لا يطيق احتمال أن تنتقل إلى من يرغب فيها أقل منه. يشعر بعجزه يتحول إلى غضب. إنه الغضب نفسه الذي طالما أوقعه في المشكلات، إذ إنه يعمي بصيرته، ويدفعه إلى أن يهاجم، أن يتشاجر، أن يسيء الأدب عند مخاطبة معلميه، أو أن يركب لوح التزلج الخاص به مندفعًا عبر تقاطعات الطرق المزدحمة. ذات مرة سأله والده غاضبًا: «لمَ يأسرك الغضب بهذا القدر؟»، أجابه كونر: «ربما يجب على أحدهم أن يُفكِّكني». قال كونر ذلك حينئذ على سبيل المزاح فقط.

تفتح ريسا ثلاجة تعمها الفوضى مثل باقي أجزاء الغرفة الخلفية. تخرج عبوة حليب، ثم تعثر على وعاء وتصب فيه الحليب.

يقول كونر: «إنها ليست قطة. لن تلعق الحليب من وعاء».

- أعلم ما يجب فعله.

يشاهدها كونر تبحث في الأدراج حتى تعثر على ملعقة نظيفة، ثم تأخذ الرضيعة منه. تجلس حاملة الرضيعة بمهارة تفوق كونر، ثم تغمس الملعقة في اللبن وتسكب محتواها في فمها. تسعل الرضيعة وتتفل غاصَّة بالحليب، فتضع ريسا سبابتها في فمها. تمص الرضيعة إصبعها وتغمض عينيها راضية. بعد بضع ثوانٍ، تعقف ريسا إصبعها قليلًا لتفتح فم الرضيعة، وتسكب ملعقة حليب أخرى، ثم تدعها تمص إصبعها مجددًا.

يقول كونر: «واو! إن هذا رائع».

- كنت أعتني بالرُّضع في ملجأ الولاية في بعض الأحيان. هكذا تعلمت بعض الحيل. لنأمل فقط أنها لا تعاني حساسية اللاكتوز.

أزال هدوء الرضيعة، فيما يبدو، توتر اليوم كله فجأة. يثقل جفنا كونر، لكنه لن يسمح لنفسه بالنوم. ليسا في أمان بعد، وقد لا يصبحان في أمان أبدًا. لن يتخلى عن حذره الآن. رغم ذلك يشرد بفكره. يتساءل إن كان والداه لا يزالان يبحثان عنه، أم أن الشرطة فقط هي من تبحث عنه الآن. يفكر في أريانا. ماذا كان سيحدث لهما لو جاءت معه كما وعدته؟ كان سيُمسَك بهما في تلك الليلة الأولى، هذا ما كان سيحدث. لا تتمتع أريانا بذكاء عملي مثل ريسا. ليست واسعة الحيلة. تفكيره في أريانا يشعره بالحزن والشوق، لكن شعوره ليس قويًّا كما توقع. كم سيستغرق نسيانها له؟ كم سيستغرق نسيانهم جميعًا له؟ ليس طويلًا. هذا ما يحدث مع المُفكَّكين. اختفى بعض زملاء كونر في المدرسة في خلال الأعوام القليلة السابقة. ذات يوم لم يحضروا. يقول المعلمون إنهم رحلوا أو أُزيل قيدهم. لم تكن تلك الكلمات سوى رموز يعرف الجميع ماذا يقصدون بقولها. يتحدث الطلاب الذين عرفوهم عن مدى فظاعة الأمر، ويحزنون بضعة أيام، ثم يُنسى الأمر. رحيل المُفكَّكين ليس بالمُدوِّي ولا بالخافت، يرحل المُفكَّكون في صمت كانطفاء لهب شمعة بين إصبعين.

يغادر الزبون أخيرًا، وتنضم سونيا إليهما في الغرفة الخلفية.

- إذًا أنتما مُفكَّكان وتريدان مساعدتي. هل هذا كل شيء؟

يقول كونر: «ربما نحتاج إلى بعض الطعام، ومكان نستريح فيه بضع ساعات، ثم سنرحل».

تقول ريسا: «لا نريد أن نتسبب في أي مشكلة».

تقول المرأة المسنة ساخرة: «لكنكما كذلك! أنتما مشكلة لكل من يقابلكما».

ثم تشير بعصاها إلى ريسا: «هذا ما أنتما عليه الآن، مشكلة **كبيرة**».

تنزل عصاها، وترق قليلًا. تقول: «لكن هذا ليس خطأكما. لم تطلبا أن تُولَدا، ولم تطلبا أن تُفكَّكا أيضًا».

تنقل نظرها بينهما، ثم تقول لريسا دون خجل: «إن كنتِ حقًّا تريدين البقاء على قيد الحياة يا حلوتي، فاحملي منه مرة أخرى. إنهم لا يُفكِّكون الحوامل. سيضمن هذا لكِ تسعة أشهر كاملة».

يتدلى فك ريسا عاجزة عن الرد، أما كونر فيشعر بالحمرة تغزو وجهه.

- لم... لم تحمل بها قط. إنها ليست طفلتها. أو طفلتي.

تتأمل سونيا الأمر، وتنظر إلى الرضيعة نظرة فاحصة: «ليست رضيعتكما... إممم... حسنًا، هذا يفسر لماذا لا ترضعينها».

تضحك فجأة وبحدة. تفزِع ضحكتها كونر والرضيعة. لا تجفل ريسا، تشعر بالانزعاج فقط. تجذب انتباه الرضيعة مجددًا بملعقة أخرى من الحليب وإصبعها السبابة.

- هل ستساعديننا أم لا؟

ترفع سونيا عصاها وتنقر بها على ذراع كونر، ثم تشير إلى صندوق ضخم مُغطى بملصقات السفر: «هل أنت عَضَل بما يكفي لتحضر ذاك إلى هنا؟».

ينهض كونر، يتساءل ما عساه يكون ذا نفع لهما داخل هذا الصندوق. يمسك به ويدفعه في مشقة عبر البساط الفارسي الباهت.

- لستَ بوف، أليس كذلك؟

- لم أقل قط إنني كذلك.

يدفع الصندوق بضع بوصات عبر الأرضية إلى أن يصل أمامها مباشرة. بدلًا من فتحه، تجلس المرأة فوقه وتدلك كاحليها.

يسألها كونر: «إذًا ما الذي بداخله؟».

تقول: «رسائل، لكن ما يهم ليس بداخله، بل أسفله، ثم تدفع بعصاها البساط حيث كان الصندوق بعيدًا، فيظهر باب سري ذو حلقة سحب نحاسية.

تقول سونيا وهي تشير بعصاها مجددًا: «هيا».

يتنهد كونر ويمسك بالحلقة يجذبها ليفتح الباب السري، فيظهر درج حجري منحدر يقود إلى الظلام. تضع ريسا الوعاء، وتقترب من الباب السري، تحمل الرضيعة فوق كتفها في وضعية تمكّنها من التجشؤ، وتجثو بجوار كونر.

تخبرهما سونيا: «إن هذا البناء عتيق. في أوائل القرن العشرين، في أثناء الحظر، كانوا يُخفون الحُميًا هنا بالأسفل».

يسألها كونر: «الحُميًا؟».

- الكحول! أقسم إن أبناء هذا الجيل جميعهم متشابهون، جاهلون **كبار**!

الدرج منحدر وغير مستوٍ. في بادئ الأمر، يظن كونر أنها سترسلهما إلى الأسفل وحدهما، لكنها تصر على أن تقودهما. تسير في تمهل، وتبدو خطاها

أكثر ثباتًا على هذا الدرج منها على الأرضية المستوية. يحاول كونر أن يمسك بذراعها لتستند إليه، لكنها تبعده، وترميه بنظرة غاضبة.

- إذا أردت مساعدتك فسأطلبها. هل أبدو لك واهنة؟
- في الواقع، أجل.

تقول: «إن المظاهر خادعة، فأنا عندما رأيتك ظننتك تبدو ذكيًا كفاية».

- مضحك جدًّا.

في الأسفل، تمد سونيا يديها نحو الحائط وتشعل الضوء. تشهق ريسا دهشة، ويتبع كونر نظرها إلى أن يراهم. هناك ثلاثة أشخاص؛ فتاة وفتيان.

تخبرهم سونيا: «لقد كبرت عائلتكم الصغيرة للتو».

لا يتحرك ثلاثتهم. يقاربون، فيما يبدو، كونر وريسا في العمر. إنهم رفاق مُفكَّكون بالتأكيد. يبدون حذرين ومرهَقين. يتساءل كونر إن كانت هيئته بهذا السوء مثلهم.

تخبرهم سونيا: «بحق الرب، توقفوا عن التحديق! تبدون كقطيع من الفئران».

ثم تدل كونر وريسا على الأشياء في القبو.

- هناك معلبات على هذه الأرفف، وفتاحة العلب هنا في مكان ما. تناولا ما تريدان، لكن لا تبقيا أي شيء وإلا فستريان الفئران الحقيقية. دورة المياه هناك في الخلف. حافظا على نظافتها. سأخرج بعد قليل لأحضر تركيبة حليب الرضع وزجاجة رضاعة.

ثم تنظر إلى كونر قائلة: «وهناك حقيبة إسعافات أولية في مكان ما هنا من أجل عضة ذراعك، أيًّا كان **سببها**».

يكبح كونر ابتسامته؛ لا يفوت سونيا شيء.

يسألها أكبر فئران القبو الثلاثة سنًّا: «إلى متى؟».

إنه فتى مفتول العضلات ينظر إلى كونر شزرًا، كما لو أن كونر قد ينازعه القيادة أو ما شابه.

تقول سونيا: «لمَ يهمك ذلك؟ هل لديك موعد عاجل؟».

لا يجيب الفتى سونيا، بل ينظر إليها غاضبًا ويعقد ذراعيه، فيظهر قرش موشوم على ذراعه. يفكر كونر مبتسمًا ابتسامة ساخرة: *أووه، مفزع، أنا حقًّا خائف الآن.*

تتنهد سونيا قائلة: «بعد أربعة أيام سأتخلص منكم إلى الأبد».

تسألها ريسا: «ما الذي سيحدث بعد أربعة أيام؟».

- سيأتي بائع المثلجات.

ثم تصعد سونيا الدرج أسرع مما ظنها كونر تستطيع.

الفتى الثاني أشقر، طويل ونحيل، ذو ابتسامة صغيرة ساخرة لا تغادر وجهه، فيما يبدو، أبدًا.

يقول: «لن تخبرنا المرأة التنين اللطيفة العزيزة ماذا سيحدث تاليًا».

يضع الفتى مقوِّمًا للأسنان لا يبدو في حاجة إليه. شعره مرتب رغم أن جفنه مؤرَّق. لا شك أن عائلة هذا الفتى ثرية على الرغم من الأسمال التي يرتديها.

تقول الفتاة: «سنُرسل إلى مخيم الحصاد، وسيمزقوننا إربًا. هذا ما سيحدث تاليًا».

إنها آسيوية، وتقارب الفتى ذا وشم القرش جموحًا، بصبغة شعرها ذات اللون الوردي الغامق، والقلادة الجلدية المسننة التي تطوِّق رقبتها.

يحدجها الفتى القرش بنظرة حادة قائلًا: «هلا تتوقفين عن الحديث عن هراء نهاية العالم هذا؟».

يلحظ كونر أن هناك أربعة خدوش متوازية على جانب وجه هذا الفتى، تشبه خمش الأظافر. توجد كدمة حول عين الفتاة.

تتمتم: «إنها ليست نهاية العالم. إنها نهايتنا فقط».

يقول الفتى ذو الابتسامة الساخرة: «تبدين جميلة عندما تصبحين عدمية».

- اصمت.

- تقولين هذا فقط لأنكِ لا تعلمين ما هي العدمية.

تنظر ريسا إلى كونر، إنه يعلم فيما تفكر. *علينا أن نحتمل هذا الطاقم مدة أربعة أيام؟* على الرغم من ذلك، فإنها أول من يمد يده إليهم لتقدم نفسها. يفعل كونر الشيء نفسه، على مضض. يتضح أن وراء كل منهم، مثل جميع المُفكَّكين، قصة تحصل على العلامة الأعلى على مقياس المآسي.

يُدعى الفتى ذو الابتسامة الساخرة هايدن. ينحدر -كما توقع كونر- من عائلة ذات ثراء فاحش. بعدما تطلق والداه خاضا نزاعًا عنيفًا حول حق

الوصاية عليه. ظل النزاع قائمًا رغم مضي عامين وست جلسات بالمحكمة. الشيء الوحيد الذي اتفق عليه والداه، في النهاية، هو أن كلًّا منهما يفضِّل أن يرى هايدن مُفكَّكًا على أن يمنح الطرف الآخر حق الوصاية عليه.

يخبرهم هايدن: «يمكن لطاقة العداوة بين والديَّ أن تمد مدينة صغيرة بالكهرباء عدة أعوام».

الفتاة اسمها ماي. ظل والداها يحاولان إنجاب ذكر إلى أن أنجباه أخيرًا بعد أربع إناث، رابعتهن ماي.

تخبرهم ماي: «هذا ليس بجديد. في الصين، في الفترة التي كان يُسمح فيها لكل عائلة بإنجاب طفل واحد، كان قتل العائلات لوليداتها أمرًا معتادًا».

الفتى الضخم هو رونالد. كان يحلم بأن يصبح بوف، لكنه، فيما يبدو، لديه من التستوستيرون، أو الستيرويدات، أو مزيج من الاثنين، ما جعل حتى الجيش يشفق منه قليلًا. خاض رونالد، مثله مثل كونر، العديد من المشاجرات في المدرسة، لكن كونر يظن أن مشاجرات رونالد تفوق مشاجراته سوءًا بكثير. لكنها ليس ما أوقع به. ضرب رونالد زوج أمه لأنه قد ضرب أمه. انحازت الأم لصف زوجها، وأُفلت زوج الأم بتحذير فقط، أما رونالد فأُرسل إلى التفكيك.

تخبره ريسا: «هذا ليس عدلًا».

يقول كونر: «وهل ما حدث لك أكثر عدلًا؟».

يحدق رونالد إلى كونر، عيناه جامدتان، يقول: «استمر في الحديث معها بتلك النبرة لتجد حبيبًا آخر».

يبتسم له كونر ابتسامة دافئة ساخرًا، ويلقي نظرة سريعة على وشم معصمه.

– يعجبني الدلفين خاصتك.

لا يجد رونالد هذا مضحكًا: «إنه قرش يا أحمق».

يضع كونر في حسبانه ألا يغفل عن رونالد أبدًا.

قرأ كونر ذات مرة أن أسماك القرش تعاني نوعًا مميتًا من رهاب الأماكن المغلقة. ليس خوفًا من المساحات المغلقة بقدر ما هو عدم قدرة على العيش

فيها. لا يعلم أحد تفسير ذلك. يشير البعض إلى أن المعادن في أحواض الأحياء المائية تخل بتوازنها. أيًّا كان تفسير ذلك فإن القروش الكبيرة لا تُعمِّر طويلًا في الأسر.

بعد قضاء يوم في قبو سونيا يدرك كونر كيف يشعر كل منهم. تشغل ريسا نفسها بالرضيعة التي تتطلب اهتمامًا كبيرًا. وعلى الرغم من أنها تتذمر من المسؤولية، فإن كونر يعلم أنها ممتنة لوجود ما يساعدها على تمضية الوقت. توجد غرفة خلفية بالقبو أصر رونالد على أن تشغلها ريسا والرضيعة. إنه يتظاهر بأنه يفعل ذلك لطفًا منه، لكن يبدو واضحًا أنه يفعل ذلك لأنه لا يطيق بكاء الرضيعة.

تشغِل ماي وقتها بالقراءة. توجد مجموعة كبيرة من الكتب القديمة المغبَّرة في زاوية بالقبو، وهناك دائمًا كتاب منها في يد ماي. بعد أن تنازل رونالد عن الغرفة الخلفية لريسا سحب وحدة أرفف، وأقام مسكنه الخاص خلفها. يشغل رونالد تلك المساحة كأنه خبر العيش في زنزانة من قبل. عندما لا يجلس في زنزانته الصغيرة، فإنه يعيد تنظيم طعام القبو في حصص.

يقول: «أنا سأنظِّم الطعام. الآن بعد أن أصبحنا خمسة سأعيد تقسيم الحصص، وسأقرر من يحصل على ماذا ومتى».

يخبره كونر: «يمكنني أن أقرر بنفسي ماذا أريد ومتى أريده».

يقول رونالد: «لن ينجح الأمر بهذه الطريقة. قبل أن تأتي إلى هنا كانت الأمور تحت سيطرتي، وستستمر على هذا النحو».

ثم يناول كونر علبة لحم ماركة سبام. ينظر إليها كونر متقززًا.

يقول رونالد: «إذا أردت ما هو أفضل من ذلك فتقبَّل الوضع».

يحاول كونر أن يتمهل ليقدِّر صواب خوض مشاجرة حول الأمر، لكن التمهل قلما يسعف كونر عندما يُثار غضبه. يتولى هايدن تهدئة الوضع قبل أن يتفاقم. يأخذ هايدن العلبة من كونر ويفتحها.

يقول: «تخسرها إن غفلت عنها».

ويبدأ في تناول اللحم بأصابعه عفويًّا. ويضيف: «لم أجرِّب معلبات سبام قبل أن آتي إلى هنا، والآن أصبحت أحبها».

ثم يبتسم قائلًا: «فليساعدني الرب، أنا أتحول إلى حثالة».

يحدق رونالد وكونر بعضهما إلى بعض غاضبين، ثم يقول كونر ما يقوله دائمًا في لحظات كتلك: «جورباك رائعان».

لا ينظر رونالد إلى الأسفل على الفور، لكن هذا يربِكه بما يكفي ليبتعد. يتجاهل الأمر حتى يظن أن كونر لا ينظر إليه. وعندما يتحقق أن جوربيه متطابقان، يضحك كونر ساخرًا. إن هذه الانتصارات الصغيرة أفضل من عدمها.

يشكِّل هايدن لغزًا بعض الشيء. لا يدري كونر إن كان مستمتعًا حقًّا بكل ما يدور حوله، أم أن تظاهره بذلك حيلة يدافع بها عن نفسه ضد واقع مؤلم يبلد شعوره.

عادة ما يبغض كونر أبناء العائلات الثرية المتكلِّفين، لكن هايدن به ما يميزه ويجعل من العسير أن تكرهه.

يجلس كونر بجوار هايدن، الذي يختلس النظر ليتأكد له أن رونالد قد ابتعد خلف وحدة الأرفف.

يقول هايدن: «تعجبني طريقة «جوربيك رائعين». هل تمانع إن استخدمتها أحيانًا؟».

- تفضل.

يقتطع هايدن من اللحم قطعة ويقدِّمها لكونر. على الرغم من أنها آخر شيء يريده كونر الآن فإنه يأخذها، لأنه يعلم أن الأمر لا يتعلق باللحم، وأن هايدن لم يأخذ العلبة لأنه أرادها.

تنتقل قطعة اللحم المُصنَّع من هايدن إلى كونر. يسري بينهما ارتياح، ويتضح أمر. تقول قطعة اللحم: *أنا في صفك، أنا أساندك.*

يسأله هايدن: «هل كنتما تنويان إنجاب الطفلة؟».

يفكر كونر كيف يمكنه أن يجيب عن هذا السؤال. يرى أن الحقيقة هي أفضل طريقة لبدء أي صداقة، حتى وإن كانت مؤقتة.

- إنها ليست طفلتي.

يومئ هايدن. يقول: «من الرائع أن علاقتكما قائمة رغم أن الطفلة ليست طفلتك».

- ليست طفلتها أيضًا.

يبتسم هايدن ابتسامة ساخرة، ولا يسأله كيف وصلت الرضيعة إليهما لأن ذهنه، فيما يبدو، قد تفتق عن قصة أكثر تسلية من أي شيء قد يقوله كونر.

يقول: «لا تخبر رونالد بذلك. السبب الوحيد الذي يجعله لطيفًا معكما هو أنه يؤمن بقدسية الأسرة النووية».

لا يدري كونر إن كان هايدن جادًّا أم ساخرًا فيما قال، ويظن أنه لن يدرك ذلك أبدًا.

يمضغ هايدن آخر قِطع اللحم، ينظر إلى العلبة الفارغة ويتنهد.

يقول: «أعيش حياتي كمورلوك».

- هل من المفترض أن أعرف ما الذي يعنيه ذلك؟

- كائنات حساسة للضوء تعيش تحت سطح الأرض، وعادة ما تُصوَّر ترتدي أزياء رديئة من المطاط الأخضر. من المؤسف أن هذا ما أصبحنا عليه، باستثناء الأزياء المطاطية الخضراء الرديئة.

ينظر كونر نحو أرفف الأطعمة. عندما يرهف السمع، يستطيع سماع الإيقاع الموسيقي الثقيل يأتي من مشغِّل إم-بي-ثري عتيق، لا بد أن رونالد قد سرقه من الطابق العلوي عند وصوله.

- منذ متى تعرف رونالد؟

يقول هايدن: «قبل أن تعرفه بثلاثة أيام. إليك نصيحتي -نصيحة لغير الحكماء وأظن أنك منهم- لا ضير من رونالد ما دام يعتقد أنه المسيطر هنا. سنظل عائلة كبيرة سعيدة ما دمت تجعله يعتقد ذلك».

- ماذا لو كنت لا أريده أن يعتقد ذلك؟

يلقي هايدن بعلبة اللحم في سلة المهملات على بعد بضعة أمتار، ثم يقول: «من أهم ما يميِّز كائنات المورلوك هو أنهم من أكلة لحوم البشر».

لا يستطيع كونر النوم في تلك الليلة الأولى. نظرًا إلى عدم ارتياحه في القبو وانعدام ثقته في رونالد، لا يمكنه سوى أن يغفو للحظات فقط. يظن أنه لا يريد النوم في الغرفة الجانبية مع ريسا لأنها ضيقة، وسيضطران إلى التلاصق. ثم يدرك أن السبب الحقيقي هو خوفه من أن يتقلب على الفراش

ليلًا فيؤذي الرضيعة. ماي وهايدن مستيقظان أيضًا. يبدو أن ماي تحاول النوم، لكن عينيها مفتوحتان وذهنها شارد.

أضاء هايدن شمعة وجدها في المخلفات، تُعبِّق القبو برائحة القرفة التي تختلط بالعفن الفطري. يمرر هايدن يده فوق لهب الشمعة. يحرِّكها ببطء لا يحرق يده، بل يكفي ليشعر بحرارتها فقط. يلحظ هايدن أن كونر يراقبه.

يقول هايدن: «من الطريف كيف يمكن للهب أن يحرقك فقط إذا تحركت ببطء شديد. يمكنك أن تتلاعب به كيفما شئت ولن ينال منك أبدًا، إن كنت سريعًا بما يكفي».

يسأله كونر: «هل أنت من المهووسين بإشعال الحرائق؟».

- أنت تخلط بين الملل والهوس.

يشعر كونر أن الأمر أعمق مما يبدو.

يقول هايدن: «أفكر كثيرًا في المراهقين الذين يُفكَّكون».

يسأله كونر: «لمَ قد تود التفكير في ذلك؟».

تقول ماي من الجهة المقابلة من الغرفة: «لأنه غريب الأطوار».

- لست أنا من يرتدي طوق الكلب.

ترفع ماي إصبعها الوسطى في إشارة بذيئة، لكن هايدن يتجاهلها.

- أفكر كم تشبه مخيمات الحصاد الثقوب السوداء، لا يعلم أحد ما يدور بداخلها.

يقول كونر: «يعلم الجميع ما يدور بداخلها».

يقول هايدن: «لا، يعلم الجميع نتائج ما يدور بداخلها، لكن لا أحد يعلم كيف يتم التفكيك. أريد أن أعرف كيف يحدث. هل يحدث على الفور أم يبقونك منتظرًا؟ هل يعاملونك بلطف أم بجفاء؟».

تقول ماي: «ربما يحالفك الحظ وتكتشف ذلك بنفسك».

يقول كونر: «أتعلم؟ أنت تفرط في التفكير».

- حسنًا، يجب على أحدهم أن يعوِّض العجز الجماعي في القدرات العقلية هنا.

الآن يبدأ كونر يفهم الأمر. وضع هايدن الشمعة جانبًا، لكن حديثه عن التفكيك يشبه تمرير يده فوق اللهب. يفضِّل هايدن البقاء على حافة الأماكن

الخطرة، الأفكار الخطرة. يفكر كونر في حافته المفضلة خلف لافتة الطريق السريع. بطريقة ما، كلاهما متشابهان.

يقول كونر: «حسنًا، استمر في التفكير في الأشياء إلى أن ينفجر عقلك. ما يشغلني هو النجاة حتى الثامنة عشرة».

- أجد ضحالة تفكيرك منعِشة ومخيِّبة للآمال في الوقت ذاته. هل ترى أن هذا يعني أنني أحتاج إلى العلاج النفسي؟

- لا، أرى أن اتخاذ والديك قرار تفكيكك ليغضِبا بعضهما يعني أنك تحتاج إلى العلاج النفسي.

- وجهة نظر صائبة. إنك تتمتع ببعض البصيرة على الرغم من أنك مورلوك.

ثم يهدأ هايدن قليلًا، وتغادر الابتسامة الساخرة وجهه. يقول: «إن فُكِّكت، أعتقد أن والديَّ سيعودان إلى بعضهما».

لا يقوى كونر على أن يحطم وهمه، لكن ماي تفعل.

- لا. إن فُكِّكت فسيلومان بعضهما بعضًا على ذلك، وسيزداد كره أحدهما للآخر.

يقول هايدن: «ربما، أو ربما سيدركان الحقيقة أخيرًا، وستتكرر مأساة همفري دنفي من جديد».

تقول ماي: «من؟».

يلتفتان كلاهما إليها.

يبتسم هايدن ابتسامة عريضة قائلًا: «تقصدين أنك لم تسمعي حكاية همفري دنفي قط؟».

تلتفت ماي حولها مرتابة. تقول: «هل كان يجب عليَّ أن أعرفها؟».

لا تفارق الابتسامة وجه هايدن. يقول: «ماي، أنا حقًّا مدهوش لأنك لا تعرفينها. إنها تشبه **نوعك** المفضل من الحكايات».

ثم يمد يده إلى الشمعة، ويبعِدها لتستقر بين ثلاثتهم: «ليست نار المخيم، لكنها ستفي بالغرض».

ينظر هايدن إلى اللهب لحظة، ثم ينقل نظره إلى ماي ببطء وعلى نحو يبعث على الخوف.

- قبل سنوات كان هناك فتى. لم يكن يُدعى همفري. ربما كان اسمه هال أو هاري، أو ما شابه، لكن همفري يلائمه باعتبار ما سيكون. على أي حال، ذات يوم وقَّع والداه الأمر ليُفكَّك.

تسأله ماي: «لماذا؟».

- لماذا يوقِّع أي والدين أمر التفكيك؟ لقد فعلا وحسب، وجاء ضباط شرطة الأحداث من أجله باكرًا في صباح يوم مشمس. انتزعوه، شحنوه، وانتهى أمره. فُكِّك دون وقوع أي مشكلة.

تسأله ماي: «إذًا هذا كل ما في الأمر؟».

يكمل كونر الحديث من حيث انتهى هايدن قائلًا: «لا، لأن **هناك** مشكلة. انظري، لم يكن السيد والسيدة دنفي متزنين؛ كان بهما بعض الجنون، وبعدما فُكِّك ابنهما فقدا عقليهما بالكامل».

الآن اختفت ماي الجامحة، وأصبحت تبدو كطفلة صغيرة تستمع فاغرة العينين إلى قصة أمام نار المخيم.

- ماذا فعلا؟

يقول هايدن: «قررا أنهما لا يريدان همفري مُفكَّكًا في نهاية الأمر».

تقول ماي: «انتظر لحظة، لقد قلت إنهما فكَّكاه بالفعل».

يبدو الجنون في عينَي هايدن في ضوء الشمعة، يقول: «بالضبط».

ترتجف ماي.

يقول هايدن: «إليكِ ما حدث. حال أن يحدث التفكيك يصبح كل ما يتعلق بمخيم الحصاد -كما قلت- سريًا، بما في ذلك سجلات من يستلم ماذا».

- حسنًا، وبعد؟

- وجدت عائلة دنفي السجلات. أظن أن الأب كان يعمل لدى الحكومة، هكذا استطاع اختراق قسم الأعضاء.

- قسم ماذا؟

يتنهد هايدن. يقول: «قاعدة بيانات التفكيك الوطنية».

- أجل.

- ثم يحصل على سجل مطبوع يحتوي على أسماء الأشخاص الذين تلقوا جزءًا من همفري، ثم تسافر عائلة دنفي حول العالم ليعثروا على هؤلاء

الأشخاص ليقتلوهم ويستعيدوا الأعضاء، حتى يعيدوا همفري، شيئًا فشيئًا، تامًّا من جديد.

- غير معقول!

يضيف كونر: «لهذا يُدعى همفري، لأن رجال الملك وخيوله جميعهم لم يستطيعوا جمع همفري من جديد[1]».

يظلون تحت وطأة الحكاية إلى أن يميل هايدن إلى الأمام فوق الشمعة، ويمد يديه فجأة نحو ماي صائحًا: «بوو!».

يجفلون جميعًا رغمًا عنهم، بالأخص ماي.

يضحك كونر، يقول: «هل رأيت هذا؟ لقد قفزت من جلدها خوفًا!».

يقول هايدن: «لا تفعلي ذلك يا ماي. إذا قفزتِ من جلدك فسيعطونه إلى غيرك قبل أن تتمكني من استعادته».

- اغربا عن وجهي.

تحاول ماي لكم هايدن، لكنه يفلت منها بسهولة. عندئذ يخرج رونالد من خلف أرفف الكتب.

- ما الذي يحدث هنا؟

يقول هايدن: «لا شيء. نسرد قصص الأشباح فقط».

ينقل رونالد نظره بينهم. يبدو منزعجًا، ويرتاب في أي أمر لا يشارك فيه.

- أجل، حسنًا، اذهبوا إلى النوم. لقد تأخر الوقت.

يعود رونالد إلى زاويته، لكن كونر يعلم أنه يتابع محادثتهم الآن، على الأرجح إنه يشك في أنهم يتآمرون ضده.

تقول ماي: «قصة همفري دنفي تلك، إنها مختلَقة، أليس كذلك؟».

لا يفصح كونر عن رأيه، لكن هايدن يقول: «عرفت فتى اعتاد أن يقول إنه يملك كبد همفري. ذات يوم اختفى ذلك الفتى ولم يره أحد مرة أخرى. قيل إنه فُكِّك، لكن... ربما قتلته عائلة دنفي».

---

(1) الاسم همفري دنفي مستوحى من همبتي دمتي، شخصية خيالية شهيرة على شكل بيضة، وردت في واحدة من أغاني الأطفال الإنجليزية الشهيرة، والمقطع داخل الاقتباس المذكور جزء من هذه الأغنية، تصرف فيه الكاتب باستبدال همفري بهمبتي.م

ثم يطفئ الشمعة ليعم الظلام.

في اليوم الثالث لكونر وريسا هناك، تستدعيهم سونيا إلى الطابق العلوي، واحدًا تلو الآخر، وفقًا لترتيب مجيئهم.

تشير من أعلى الدرج إلى رونالد قائلة: «أولًا، الثور السارق».

يبدو أنها تعلم عن سرقته مشغل إم-بي-ثري.

يسألهم هايدن بعد أن يُغلَق الباب السري: «ما الذي تريده المرأة التنين في رأيكم؟».

تقول ماي: «أن تشرب دمك، أن تضربك بعصاها لبعض الوقت. أشياء من هذا القبيل».

تقول ريسا: «أرجو أن تتوقف عن أن تدعوها المرأة التنين. إنها تحاول إنقاذك. أقل ما يمكنك فعله هو إظهار بعض الاحترام».

ثم تلتفت إلى كونر، وتقول: «هلا تأخذ ديدي؟ تخدَّلت ذراعاي».

يأخذ كونر الرضيعة، يجيد حملها أكثر قليلًا من ذي قبل. تنظر إليه ماي ببعض الاهتمام. يتساءل إن كان هايدن قد أخبرها أنهما ليسا حقًّا والدَي الرضيعة.

يعود رونالد من اجتماعه مع سونيا بعد نصف ساعة، ولا ينطق بكلمة حول ما حدث. تفعل ماي الشيء نفسه عندما تعود. يستغرق هايدن وقتًا أطول منهما، وعندما يعود، يلتزم الصمت أيضًا، ما يدعو إلى القلق لأن هذا ليس من عادته.

يحين دور كونر. عندما يصعد إلى الطابق العلوي يجد أن الليل قد حل، لكنه لا يدري كم الساعة. تجتمع سونيا معه في الغرفة الخلفية الصغيرة، وتجلِسه على مقعد غير مريح يتأرجح متى تحرك.

تخبره: «ستغادر غدًا».

- إلى أين؟

تتجاهل سؤاله، وتمد يدها داخل أحد أدراج مكتب قديم: «آمل أنك على الأقل نصف أمِّيٍّ».

- لماذا؟ ما الذي تريدين مني قراءته؟

تقول: «لن أطلب منك قراءة أي شيء».

ثم تخرج بعض الأوراق الفارغة: «أريدك أن تكتب».

- أكتب وصيتي الأخيرة؟ هل هذا ما تقصدين؟

- تقتضي الوصية أن يكون لديك شيء تورِّثه، وأنت لا تملك شيئًا. أريدك أن تكتب رسالة.

تناوله ورقة وقلمًا وظرفًا: «اكتب رسالة إلى شخص تحبه. لا يهم إن كانت طويلة أو قصيرة، لكن اكتب كل ما تمنيت قوله، ولم تتح لك الفرصة قط. هل تفهم ما أقول؟».

- ماذا لو كنت لا أحب أحدًا؟

تضم شفتيها وتهز رأسها ببطء. تقول: «أنتم المُفكَّكين جميعكم متشابهون. تعتقدون أنكم لن تحبوا أحدًا لأن لا أحد يحبكم. حسنًا، إن لم يكن هناك من تحب، فاختر شخصًا يجب أن يسمع ما تود قوله. قل كل ما في قلبك، لا تكبت شيئًا. وعندما تنتهي ضعه في الظرف واختمه. لن أقرأه، لا تقلق بشأن ذلك».

- ما الهدف من ذلك؟ هل سترسلينه عبر البريد؟

- افعل ما قلت فقط وتوقف عن طرح الأسئلة.

تأخذ جرس عشاء خزفيًّا صغيرًا، وتضعه على المكتب بجانب الورقة والقلم.

تقول: «خذ ما تحتاج من الوقت، وعندما تنتهي اقرع الجرس».

ثم تغادر وتتركه وحده.

إن طلبها هذا غريب، ويجده كونر مخيفًا بعض الشيء، ثمة مواضع بداخله لا يريد الذهاب إليها. يفكر في الكتابة إلى أريانا لأن هذا سيكون الأيسر عليه. لقد اهتم لأمرها. كانت أقرب إليه من أي فتاة أخرى، أي فتاة أخرى باستثناء ريسا، لكن ريسا لا تُحتسَب. العلاقة التي تجمعه بريسا ليست عاطفية. إنهما شخصان يتشبثان بالحافة نفسها على أمل ألا يسقطا. يغضن كونر الورقة بعد كتابة ثلاثة أسطر تقريبًا. لا جدوى من الكتابة إلى أريانا. مهما قاوم الأمر فإنه يدري إلى من يجب أن يوجه هذه الرسالة.

يضغط بقلمه في صفحة جديدة ويكتب: *أمي وأبي العزيزان...*

تمضي خمس دقائق قبل أن يأتي بسطر جديد، لكنه حال أن يفعل، تأخذ كلماته في التدفق في اتجاهات غريبة. في بادئ الأمر، تكون غاضبة كما علم

أنها ستكون. كيف أمكنكما فعل ذلك؟ لماذا فعلتما ذلك؟ أي نوع من الآباء قد يفعلون ذلك بولدهم؟ لكنها تلين في الصفحة الثالثة. تسرد كل الأحداث الجميلة التي عاشوها معًا. في البداية يفعل ذلك ليؤلمهما، وليذكِّرهما بما تخليا عنه عندما وقَّعا على أمر تفكيكه. ثم يصبح غرضها التذكر، أو على نحو أدق، جعلهما يتذكران. هكذا عندما يرحل، *إن* رحل، سيترك سجلًا بجميع الأشياء التي شعر أنها تستحق البقاء حية. عندما بدأ كتابة الرسالة كان يعلم كيف سينهيها: *أكرهكما لما فعلتماه، ولن أسامحكما أبدًا*. لكنه عندما يصل إلى الصفحة العاشرة يجد أنه يكتب: *أحبكما. ابنكما السابق، كونر*.

يشعر بالدموع تموج بداخله قبل أن يوقِّع على الرسالة. لا تأتي هذه الدموع، فيما يبدو، من عينيه، بل من قلبه؛ جيشانها من القوة ما يؤلم أحشاءه. تجود عيناه بالدموع، ويشعر بألم شديد بداخله يوقن أنه سيقتله هنا، الآن. لكنه لا يموت، بل يمر الوقت، وتهدأ العاصفة التي بداخله بعد أن أوهنت كل ذرة في جسده. يشعر وكأنه يحتاج إلى عصا سونيا ليستطيع المشي مجددًا.

لقد أندت دموعه الصفحات، تاركة وهدات صغيرة بالأوراق، لكنها لم تلطِّخها بالحبر. يطوي الصفحات ويضعها داخل الظرف، ثم يختمه ويكتب عنوان المرسَل إليه. ينتظر بضع دقائق ليتأكد له أن العاصفة لن تعاوده، ثم يقرع الجرس الصغير.

تدخل سونيا بعد بضع لحظات. لا بد أنها كانت تنتظره طوال هذا الوقت خلف ذلك الستار. لا شك أنها سمعت بكاءه، لكنها لا تقول شيئًا. تنظر إلى رسالته، ترفعها في يدها لتشعر بثقلها، ثم ترفع حاجبيها مدهوشة.

- كان لديك الكثير لتقوله، أليس كذلك؟

يهز كونر كتفيه فقط. تضع سونيا الظرف مقلوبًا على المنضدة.

- الآن أريدك أن تحدد تاريخًا على ظهر الظرف. اكتب تاريخ بلوغك الثامنة عشرة.

لم يعد كونر يستفسر منها عن الأمر، بل يفعل ما تطلبه. عندما ينتهي تأخذ الظرف منه.

تخبره: «سأحتفظ بهذه الرسالة من أجلك. عدني أنك إن نجوت حتى الثامنة عشرة، فستأتي إلى هنا لأخذها».

يومئ كونر قائلًا: «أعدك».

تهز الرسالة أمامه لتؤكد ما تقصده قائلة: «سأحتفظ بهذه حتى عام من تاريخ بلوغك الثامنة عشرة. إن لم تعد فسأفترض أنك لم تنجُ، أنك فُكِّكت، وعندها سأرسل الرسالة بنفسي».

ثم تعيد الرسالة إليه، تقف، وتذهب إلى الصندوق القديم الذي كان يغطي الباب السري. تفتح المزلاج، وعلى الرغم من ثقله، فإنها ترفع الغطاء فاتحة الصندوق، فتظهر أظرف، المئات منها، تملأ الصندوق بأكمله تقريبًا.

تقول: «اتركها هنا. ستظل في مأمن حتى وإن مت قبل أن تعود. لقد قطعت هانا وعدًا بالعناية بالصندوق».

يفكر كونر في عدد المراهقين الذين لا بد أن سونيا قد ساعدتهم لتمتلك هذا الكم من الرسائل في صندوقها. يغمره ذلك بموجة من المشاعر تقبض على أحشائه، لا تجلب الدموع إلى عينيه، لكنها ترقِّق قلبه بما يكفي ليقول: «لقد أنجزتِ شيئًا عظيمًا هنا».

تلوِّح سونيا بيدها وكأنها تدفع قوله بعيدًا. تقول: «أتظن أن هذا يجعلني قديسة؟ دعني أخبرك شيئًا، لقد عشت حياة طويلة، ولقد ارتكبت بعض الفظائع أيضًا».

- حسنًا، لا يهمني. اضربيني بهذه العصا كيفما شئت، سأظل أراكِ طيبة.
- ربما، وربما لا. واحد من الدروس التي تتعلمها، عندما تعيش طويلًا مثلما عشت، هو أنه لا أحد ذو شر خالص أو طيبة خالصة. نظل نلج الظلام والنور، ونخرج منهما طوال حياتنا. أنا ممتنة لأنني في النور الآن.

في طريقه إلى الطابق السفلي، تضرب سونيا مؤخرته بعصاها بقوة تكفي لتلسعه، لكن هذا يجعله يضحك فقط.

لا يخبر كونر ريسا بما ينتظرها. إن أخبرها عن الأمر فسيسرق منها شيئًا. ليكن ذلك بينها وبين سونيا، والورقة، والقلم، كما حدث معه.

تترك ريسا الرضيعة معه، وتصعد لتواجه المرأة المسنة. الرضيعة نائمة، والآن، في هذه اللحظة وفي هذا المكان، يشعر كونر براحة كبيرة في حملها بين ذراعيه، وبالامتنان لأنه أنقذها. ويرى أنه إن اتخذت روحه هيئة فهذا ما ستكون عليه، رضيعًا ينام بين ذراعيه.

***

20. ريسا

تفتح سونيا الباب السري مرة أخرى. هكذا تدرك ريسا أن الأوضاع تتغير مجددًا. لقد حان وقت مغادرة الأمان الذي يمنحه قبو سونيا.

تتقدم ريسا الصف عندما تدعوهم سونيا إلى الأعلى. كان من الممكن أن يتقدمهم رونالد، لكن كونر ألقى بذراعه كباب دوار لتصعد ريسا الدرج أولًا.

تصعد ريسا الدرجات الحجرية ذات النتوءات، تحمل الرضيعة بذراعها اليمنى، ويدها اليسرى على الدرابزين الفولاذي الصدئ. تظن ريسا أنها ستلقى ضوء النهار بعد صعودها، لكنها تجد أن الليل قد حل. أُطفئت أضواء المتجر ما خلا بعض مصابيح الإضاءة الليلية، التي حُددت مواضعها بعناية، حتى يتمكنوا من تجنب حقل ألغام التحف حولهم.

تقودهم سونيا إلى باب خلفي يؤدي إلى زقاق. ثمة شاحنة في انتظارهم. إنها شاحنة توصيل صغيرة، ملصق على جانبها صورة قمع مثلجات. لم تكذب سونيا. *إنه بائع المثلجات*.

يقف السائق بجوار باب الشاحنة الخلفي المفتوح. إنه شاب رث الهيئة، يبدو كقائم على توصيل المخدرات غير المشروعة، لا المراهقين.

يتجه كل من رونالد وهايدن وماي إلى الشاحنة، وتوقِف سونيا كونر وريسا: «أنتما الاثنان، انتظرا».

تلحظ ريسا أن هناك شخصًا يقف في الظل. تنتصب شعرات عنق ريسا تحفزًا. عندما يخطو الشخص إلى الأمام تتعرف إليه. إنها هانا، المعلمة التي أنقذتهما في المدرسة الثانوية.

تقول هانا: «عزيزتي، لا يمكنكما أن تأخذا الرضيعة إلى حيث تذهبان».

تضم ريسا الرضيعة إلى صدرها تلقائيًا. لا تدري لمَ فعلت ذلك. كل ما أرادته منذ أن علقت مع هذا الشيء هو التخلص منه.

تقول هانا: «لا بأس، لقد ناقشت الأمر مع زوجي. سنقول إنها نُقلت إلينا. سيكون الأمر على ما يُرام».

تنظر ريسا إلى عينَي هانا. لا تستطيع الرؤية جيدًا في الضوء الخافت، لكنها تعلم أن هذه المرأة تعني ما تقول.

يتقدم كونر ويقف بينهم، يقول: «هل **تريدين** هذه الرضيعة؟».

تقول ريسا: «إنها على استعداد لأخذها. هذا يكفي».

- لكن هل تريدها؟

- هل أردتَ هذا الشيء عندما أخذتَه؟

يصمت كونر لينظر في الأمر. تعلم ريسا أنه لم يكن يريد الرضيعة، لكنه كان مستعدًّا لأخذها عندما كان البديل حياة بائسة مع عائلة بائسة، مثلما ترغب هانا الآن في إنقاذها من مستقبل مجهول.

يقول كونر أخيرًا: «ليست **شيئًا**، بل **بشرًا** مثلنا».

ثم يتجه إلى الشاحنة.

تقول هانا: «سنعتني بها جيدًا».

تقترب منها خطوة، وتنقل ريسا الرضيعة إليها. حال أن تغادر الرضيعة ذراعَي ريسا ينتابها شعور هائل بالراحة، وفي الوقت نفسه، شعور بالخواء يتعذر وصفه. ليس شعورًا شديدًا بما يكفي ليجعلها تبكي، لكنه من القوة ما يجعلها تتألم ألمًا شبحيًا. لا بد أن الأبتر يشعر بمثل هذا الألم بعد أن يفقد أحد أطرافه، قبل أن يحصل على طرف جديد بدلًا مما فُقد.

تودِّعها سونيا في عناق قائلة: «اعتني بنفسك. أمامكم رحلة طويلة، لكنني واثقة من أنكم ستجتازونها بنجاح».

- رحلة إلى أين؟

لا تجيبها سونيا.

يقول السائق: «هيا، ليس أمامي الليل بأكمله».

تودِّع ريسا سونيا، وتومئ لهانا، ثم تستدير لتلحق بكونر، الذي ينتظرها عند مؤخرة الشاحنة. بينما تغادر ريسا تشرع الرضيعة في البكاء، لكن ريسا لا تنظر إلى الوراء.

تتفاجأ بوجود قرابة عشرة مراهقين، يبدو عليهم الارتياب والخوف، في الشاحنة. لا يزال رونالد أضخمهم، ويعزِّز سيطرته بأن يفرِض على فتى آخر أن يبدِّل مكانه، على الرغم من أنه توجد أماكن أخرى كثيرة شاغرة.

إن شاحنة التوصيل ما هي إلا صندوق معدني صلب وبارد. كانت تحتوي على وحدة تبريد لتحافظ على برودة المثلجات، لكنها اختفت مع اختفاء المثلجات. على الرغم من ذلك، فإن البرد بداخلها قارس، وتملؤها رائحة منتجات الألبان الفاسدة. يغلق السائق الباب الخلفي ويقفله حاجبًا صوت الرضيعة، التي لا تزال ريسا تسمع بكاءها. على الرغم من إغلاق الباب، فإن ريسا تظن أنها لا تزال تستطيع سماع الرضيعة، لكنها على الأرجح تتوهم.

ترتج شاحنة المثلجات على طول الشوارع غير المستوية، وتظل تتأرجح فتصطدم ظهورهم بالجدار خلفهم.

تغمض ريسا عينيها. إنها تفتقد الرضيعة وهذا يثير حنقها. لقد فُرض وجود الرضيعة عليها في أسوأ لحظة ممكنة في حياتها. لمَ قد تشعر بالندم لتخلصها منها؟ تفكر في الفترة التي سبقت حرب الجوهر، عندما كان ممكنًا أن يُعَد الطفل غير المرغوب فيه حملًا غير مرغوب فيه، ويُتخلص منه سريعًا. هل شعرت النساء اللواتي اتخذن ذلك الخيار الآخر بمثل ما تشعر به الآن؟ هل شعرن بالتحرر والإعفاء من مسؤولية غير مرحَّب بها وغير عادلة في كثير من الأحيان... لكن بالندم بعض الشيء؟

كثيرًا ما كانت تتأمل هذه الأمور عند تكليفها بالاعتناء بالرضع في ملجأ الولاية. كان جناح الرضع ضخمًا، ويمتلئ بمهود متطابقة، في كل منها رضيع لم يرغب فيه أحد، قُصِّر تحت وصاية ولاية بالكاد تستطيع إطعامهم، ناهيك برعايتهم.

اعتادت إحدى الممرضات أن تقول وهي تنظر إلى حشد الرضع الباكين: «لن تتغير القوانين ما لم تتغير الطبيعة البشرية أولًا». كانت تُدعى جريتا. كلما قالت جريتا ذلك عارضتها ممرضة أخرى بالجوار، أكثر تقبلًا للنظام، قائلة: «لن تتغير الطبيعة البشرية ما لم تتغير القوانين أولًا». لم تكن الممرضة جريتا تجادلها، بل تتنهد، ثم تنصرف.

كثيرًا ما تساءلت ريسا أيهما أكثر سوءًا، إنجاب آلاف الأطفال الذين لا يريدهم أحد، أم التخلص منهم في صمت قبل أن يُولدوا؟ تباين جواب ريسا، ولم تملك رأيًا حاسمًا في الأمر.

كانت الممرضة جريتا من الكبَر ما يكفي لتتذكر الفترة التي سبقت الحرب، لكنها قلما تحدثت عنها. لقد أولت كامل اهتمامها لعملها الذي كان مُضنيًا، إذ لم يتوفر سوى ممرضة واحدة لرعاية خمسين طفلًا. أخبرت الممرضة جريتا ريسا كيف تضطر الممرضة إلى اختيار أي مرضى يحصلون على الرعاية الطبية أولًا، في حالات الطوارئ: «في وضع مثل هذا عليكِ أن تطبقي الفرز وفق الأولوية». أخبرتها الممرضة جريتا: «امنحي حنانك للبعض، وادعي من أجل الباقين». أخذت ريسا هذه النصيحة على محمل الجد، واختارت بعض الرضع المفضلين لديها لتوليهم اهتمامًا خاصًا. هؤلاء هم من اختارت ريسا أسماءهم بنفسها، بدلًا من أن تدع الحاسب يُسمِّيهم عشوائيًا. أملت ريسا أن يكون من اختار اسمها إنسان وليس آلة، إذ لم يكن اسمها شائعًا. ذات مرة أخبرها فتى من أصل هسباني أنه اختصار لكلمة **سونريسا**. إنها كلمة إسبانية تعني «ابتسامة». لا تدري ريسا إن كانت تنحدر من أصول هسبانية، لكنها أملت أن تكون كذلك، لأن هذا يعزز الرابطة بينها وبين اسمها.

يقطع كونر أفكارها، ويعيدها إلى واقعهما المضطرب سائلًا: «فيم تفكرين؟».

- ليس من شأنك.

لا ينظر كونر إليها، بل يثبِّت نظره، فيما يبدو، على بقعة صدأ على الجدار، ويفكر.

يسألها: «هل أنتِ بخير بشأن الرضيعة؟».

تجيبه بنبرة غاضبة عن عمد، كما لو أنه قد أساء إليها بسؤاله قائلة: «بالطبع».

يقول كونر: «ستعتني هانا بها جيدًا. أفضل منا، بالتأكيد، وأفضل من تلك البقرة ذات العينين الشرستين التي نُقلت الرضيعة إليها».

يتردد قليلًا، ثم يقول: «أعلم أن أخذ تلك الرضيعة كان حماقة كبيرة، لكنها انتهت على نحو مرضٍ لنا، صحيح؟ وبالتأكيد انتهت على ما يُرام للرضيعة».

تقول ريسا: «لا ترتكب حماقة مشابهة مجددًا».

يلتفت رونالد، الذي يجلس بالقرب من مقدمة الشاحنة، إلى السائق سائلًا: «إلى أين نذهب؟».

يجيبه السائق: «أنت تسأل الشخص الخطأ، فأنا آخذ عنوانًا، أذهب إليه، أغض النظر، وأتقاضى أجرتي».

يقول فتى آخر كان في الشاحنة بالفعل عندما وصلت إلى متجر سونيا: «نبدِّل أماكننا باستمرار، هكذا يسير الأمر. نقضي بضعة أيام في مخبأ، ثم نُنقل إلى آخر، ومنه إلى آخر. كل مخبأ أقرب قليلًا من سابقه إلى وجهتنا».

يسأله رونالد: «هل ستخبرنا أين تلك الوجهة؟».

ينظر الفتى حوله، يأمل أن يجيب شخص آخر بدلًا منه، لكن لا أحد يقدم عونه، لهذا يقول: «حسنًا، هذا ما سمعته فقط، يقولون إننا ننتهي في مكان يُدعى... «المقبرة»».

يلفهم الصمت ولا يسمعون سوى قعقعة الشاحنة. *المقبرة*. عندما تفكر ريسا في الأمر يزداد شعورها بالبرد. على الرغم من أنها تضم ركبتيها إلى صدرها، وتلف جسدها بذراعيها بقوة كسترة ضيقة، فإنها تتجمد بردًا. لا بد أن كونر يسمع اصطكاك أسنانها لأنه يضمها بذراعه.

يقول: «أنا أيضًا أشعر بالبرد. ستدفئنا حرارة جسدينا، اتفقنا؟».

على الرغم من أنها ترغب في أن تدفعه بعيدًا، فإنها تجد نفسها تميل نحوه، إلى أن تشعر أذناها بنبض قلبه.

***

الجزء الثالث

ترانزيت

عام 2003: مستشفى التوليد الأوكراني رقم ستة

... تحدثت هيئة الإذاعة البريطانية BBC إلى عدد من الأمهات في مدينة خاركيف. قالت الأمهات إنهن أنجبن رضعًا أصحاء اختطفهم طاقم عمل المستشفى. في عام 2003، وافقت السلطات على إخراج نحو ثلاثين جثة من مقبرة يستخدمها مستشفى التوليد رقم ستة. سُمح لإحدى الناشطات بحضور الفحص التشريحي لجمع الأدلة المصوَّرة، ثم قدمت الناشطة المقاطع المصوَّرة إلى هيئة الإذاعة البريطانية ومجلس أوروبا.

يصف المجلس في تقريره مناخًا عامًّا من الاتجار بالرضع، المُختطَفين عقب ولادتهم مباشرة، يقابله تكتم تام حول مصيرهم من جانب المستشفى. تظهر الصور بعض الجثث المُفكَّكة، وأعضاء، من بينها أمخاخ، قد فُصلت عن الجثث. يعرب طبيب شرعي بريطاني كبير عن بالغ قلقه لرؤية تلك الجثث المُقطَّعة؛ إذ إن ممارسات التشريح المعتادة لا تتضمن ذلك. قد يكون الأمر نتاجًا لممارسات جمع الخلايا الجذعية من نخاع عظام الرضع.

ينفي مستشفى التوليد رقم ستة تلك الادعاءات.

أعدّه: ماثيو هيل، مراسل BBC الطبي

المصدر: أخبار BBC: BBC.com

http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr/-/2/hi/europe/6171083.stm

نُشر في 12/12/2006-09:34:50 بتوقيت جرينتش.

21. ليف

يقول لليف: «لن يخبرك ولا أحد بما تريد. عليك أن تكتشف ذلك بنفسك».

يسير ليف ورفيق رحلته الجديد بمحاذاة قضبان السكة الحديدية، تحيط بهما الأحراش.

- لقد أردت أن تهرب من التفكيك. لا يستطيع ولا أحد أن يخبرك أن هذا خطأ، رغم أنه مخالف للقانون. لم يكن الرب الطيب ليريدك أن تفعل ذلك إن كان خطأ. أتستمع إليَّ يا صوص؟ إن في هذه الكلمات حكمة يمكنك أن تدفنها في قبر، وتنبشه لتسترجعها ثانية عندما تحتاج إلى السلوى. السلوى تعني الراحة.

يقول ليف، منزعجًا من ذكر الرب الطيب الذي لم يفعل الكثير من أجله مؤخرًا، باستثناء إرباكه: «أعلم ما تعنيه السلوى».

الفتى في الخامسة عشرة، ويُدعى سايرس فينش، لكنه لا يُعرف بهذا الاسم. لقد أخبر ليف بعد وقت قصير من لقائهما: «لا أحد يدعوني سايرس. أنا أُعرف باسم ساي-فاي».

ولأن ساي-فاي مولع بالأسماء المستعارة فإنه يدعو ليف صوص، الاسم المختصر لصوص الدجاجة. يقول إنه لقب ملائم له، لأنه يتكون من ثلاثة أحرف مثل الاسم ليف. لا يريد ليف أن يشير إلى أن اسمه الكامل ليفي ويفسد عليه الأمر.

يستمتع ساي-فاي بالاستغراق في خطابه بصرف النظر عمن يخاطب.

يقول لليف: «أنا أشق طرقي الخاصة في الحياة. لهذا نقطع السكك الحديدية بدلًا من طريق قروي قديم ممل».

إن ساي-فاي أمبر[1].

يقول: «لقد اعتادوا أن يُلقِّبونا بالسود -هل يمكنك تخيل ذلك؟- إلى أن جاء ذلك الشاب الفنان مختلط العرق، بعضه من هنا، وبعضه من هناك. حاز ذلك الفنان شهرة واسعة لرسمه أشخاص من أصول إفريقية في الجنوب الأقصى. كان يكثر من استخدام اللون الأمبر في لوحاته. أعجب ذلك الناس كثيرًا، ولهذا ذاعت الكلمة. أراهن أنك لم تكن تعرف من أين أتت تلك الكلمة، أليس كذلك يا صوص؟ بعد ذلك مباشرة، بدؤوا يدعون من كانوا يُلقَّبون بالبيض بلون ظهر في لوحة أخرى وهو السيينا[2]. هاتان الكلمتان أفضل لأنهما لا توحيان بأحكام بشأن قدر المرء. بالطبع لم تختفِ العنصرية تمامًا، لكن، كما يقول والداي، طُلي سطح الحضارة بطبقة أخرى من الدهان. أيعجبك ذلك يا صوص؟ «سطح الحضارة»».

يقول ذلك ماسحًا بيده الهواء ببطء، كما لو أنه يمس سطح منضدة مصقولًا.

يتابع قائلًا: «دائمًا ما يقول والداي أشياء من هذا القبيل».

إن ساي-فاي مُلاحَق، رغم أنه يدَّعي أنه ليس كذلك. لقد أخبر ليف عندما قابله أول مرة: «أنا لست مُلاحَقًا، أنا مُلاحِق». لكنه لم يخبر ليف ماذا يلاحق.

عندما سأله ليف عن الأمر هز ساي-فاي رأسه، ثم قال: «سيُفصَح عن المعلومات وفق الحاجة».

يمكنه الاحتفاظ بسره لنفسه لأن ليف لا يهمه إلى أين يذهب. يكفي ليف أن لدى ساي-فاي وجهة، هذا شيء لا يملكه ليف. توحي الوجهة بأن هناك ما ينتظره. إن كان هذا الفتى ذو البشرة الأمبرية يستطيع أن يمنح ليف ذلك فسيرحل معه.

لقد تقابلا في مجمع. قاد الجوع ليف إلى هناك. ظل يختبئ في أماكن منعزلة مظلمة يومين تقريبًا بعد أن فقد كونر وريسا. اشتد عليه الجوع لأنه لا يملك أي خبرة كمشرَّد، لكن الجوع في النهاية أحاله إلى خبير في البقاء.

(1) أمبر = Umber: لون بني، لون صبغة أرضية طبيعية. م

(2) سيينا = Sienna: لون أصفر، لون صبغة أرضية طبيعية. م

شكَّل المجمع قِبلة للمشرَّدين الجدد لأن قاعة الطعام تمتلئ بالمبذِّرين. اكتشف ليف أن الحيلة تكمن في العثور على من اشتروا طعامًا أكثر مما يمكن أن يتناولوه، ثم الانتظار حتى ينتهوا. كثيرًا ما كانوا يتركون ما يتبقى من الطعام على الطاولة، وهذا ما يسعى ليف خلفه. ربما قاد الجوع ليف إلى أن يتناول بقايا الطاولات، لكن احترامه لذاته يمنعه من أن ينبش القمامة.

بينما كان ليف ينهي بقايا البيتزا سمع صوتًا يقول: «يجب ألا تتناول بقايا الغير يا أحمق!».

تجمد ليف في مكانه ظانًّا أن من قال ذلك حارس أمن جاء ليصرفه، لكنه وجد فتى طويلًا ذا بشرة أمبرية، وابتسامة مضحكة، يبدي ثقة كبيرة بنفسه.

قال: «دعني أريك كيف يتم الأمر».

ثم ذهب إلى فتاة حسناء تعمل في مطعم ويكد وك للطعام الصيني، غازلها بضع دقائق، ثم غادر بلا شيء. لا طعام، لا شراب، لا شيء.

أخبره ليف: «أرى أن بقايا الطعام تكفيني».

- صبرًا يا فتاي. انظر، لقد اقترب موعد الإغلاق. يجبر القانون جميع هذه الأماكن على التخلص من الطعام كله الذي صُنع بها اليوم. لا يمكنهم الاحتفاظ به واستخدامه غدًا مجددًا. أين يذهب ذلك الطعام في رأيك؟ سأخبرك إلى أين يذهب. إنه يذهب إلى منازل موظفي المناوبة الأخيرة. لكن من يعملون في تلك الأماكن لن يأكلوا تلك الأطعمة لأنهم سئموا منها. أترى تلك الفتاة التي كنت أتحدث معها؟ إنها معجبة بي. أخبرتها أنني أعمل في متجر شيرت بونانزا، وأنني قد أحضر لها بعضًا من فائض المخزون.
- هل تعمل هناك؟
- لا! هل تسمع أيًّا مما أقول؟ على أي حال، قبل موعد الإغلاق مباشرة سأذهب إلى ويكد وك مجددًا. سأبتسم لها، وسأقول: مرحبًا، ما الذي ستفعلينه بكل هذا الطعام المتبقي؟ وستقول: ما الذي تقترحه؟ وبعد خمس دقائق سأغادر ومعي من الدجاج المطهو على الطريقة الصينية ما يكفي لإطعام جيش.

في الواقع، حدث ما قاله بالضبط. كان ليف مدهوشًا.

قال ساي-فاي رافعًا قبضته عاليًا: «ابقَ معي، والرب على ما أقول شهيد، لن تجوع مرة أخرى أبدًا».

ثم أضاف: «هذا السطر مقتبَس من «**ذهب مع الريح**»».

قال ليف: «أعلم ذلك».

لكنه في الحقيقة لم يكن يعلم ذلك.

وافق ليف على الذهاب معه لأنه أدرك أن كلًّا منهما يلبي حاجة لدى الآخر. كان ساي-فاي مثل واعظ بلا رعية، وهو لا يستطيع البقاء دون جمهور، أما ليف فاحتاج إلى من يستطيع أن يملأ رأسه بأفكار، تحل محل جميع الأفكار التي ظلت تُغرس في عقله، ثم جُرِّد منها.

بعد يوم من ذلك، يبلى حذاء ليف وتؤلمه عضلاته. إن جرحه مما حدث لريسا وكونر لا يزال حديثًا لا يندمل. على الأرجح أن الشرطة أمسكت بهما. على الأرجح أنهما قد فُكِّكا، وكل هذا بسببه. هل يجعله ذلك شريكًا في القتل؟

كيف يمكن *ذلك والمُفكَّكون لا يموتون حقًّا؟*

لم يعد ليف يدري إلى من يعود ذلك الصوت الذي في عقله. إلى والده؟ إلى القس دان؟ يغضبه ذلك. إنه يفضِّل سماع صوت ساي-فاي خارج رأسه على أن يسمع أي صوت بداخله.

لم تتغير التضاريس حولهما كثيرًا منذ أن غادرا البلدة. هناك شجيرات تقاربهما طولًا، وقليل من الأشجار، بعضها دائمة الخضرة، وبعضها ذات أوراق صفراء تتحول إلى البنية. تنمو حشائش ليست بالطويلة بين قضبان القطارات.

- لا تملك أي حشيشة حمقاء تزداد طولًا ولا فرصة في النجاة. سيقطعها أي قطار يمر كالمقصلة. المقصلة هي آلة استُخدمت في قطع رأس المحكوم عليهم بالإعدام.
- أعلم ما هي المقصلة، وأرجو أن تتوقف عن الحديث بهذه الطريقة، مستخدمًا النفي المزدوج وما شابه.

يتوقف ساي-فاي في موضعه وسط قضبان السكة الحديدية، ويحدق إلى ليف كما لو أنه يحاول إذابته بعينيه.

- ألديك مشكلة مع الطريقة التي أتحدث بها؟ ألديك مشكلة مع رطانة أمبر العالم القديم؟
- يصبح لديَّ مشكلة عندما أجدها متكلِّفة.
- ما الذي تتحدث عنه يا بأف؟
- هذا واضح. أنا واثق من أن كلمات مثل بأف استُخدمت فقط في العروض التلفزيونية وما شابه في الفترة التي سبقت الحرب. أنت تتحدث خطأ عن عمد.
- خطأ؟ ما الذي يجعلها خطأ؟ إنها تراثية مثل تلك العروض التليفزيونية تمامًا، وأنا لا أقبل بعدم احترامك لرطانتي. تعني الرطانة...

على الرغم من أن ليف ليس متأكدًا تمامًا، فإنه يقول: «أعلم ما تعنيه. أنا لست لا غبيًّا!».

يوجه ساي-فاي إصبع الاتهام إلى ليف كمحامٍ، يقول: «ها هو! لقد قلت أنا لست لا، من الذي يتحدث خطأ الآن؟».

- هذا لا يُحتسب! لقد قلتها لأنني أسمعها منك كثيرًا! بمرور الوقت لا يسعني إلا أن أتأثر بك!

عندئذ يبتسم ساي-فاي. يقول: «هذه هي الحقيقة. إن رطانة أمبر العالم القديم معدية، إنها **مهيمنة**. والحمقى لا يتحدثون بفصاحة بالتأكيد. سأخبرك بشيء، لقد حصلت على أعلى علامة في القراءة والكتابة في مدرستي يا صوص، لكن من واجبي أن أحترم أسلافي، وكل ما تكبدوه من أجل أن أكون هنا. أستطيع التحدث مثلك بالطبع، لكنني **أختار** ألا أفعل ذلك. أتعلم؟ إنه شيء كالفن. توجب على بيكاسو أن يثبت للعالم أنه قادر على الرسم بالطريقة الصحيحة، قبل أن يمضي في رسم عينين بجانب واحد من الوجه، وأنوف تبرز من الرُّكَب، وما إلى ذلك. انظر، إن كنت تخطئ في الرسم لأن هذا أفضل ما لديك فأنت محض أحمق، لكنك عندما تفعل الشيء نفسه لأن هذا ما تريده تصبح فنَّانًا».

يبتسم إلى ليف، ثم يكمل قائلًا: «إن هذا بعض من حكمة ساي-فاي يا صوص. يمكنك أن تدفنه في قبر، وتنبشه لتسترجعه مجددًا عند الحاجة!».

يستدير ساي-فاي ويبصق قطعة علكة، فتضرب واحدًا من القضبان وتعلق به، ثم يضع قطعة أخرى في فمه.

- على أي حال، ليس لدى أبويَّ مشكلة في ذلك، وهما ذوا بشرة بلون السيينا مثلك.

لا يزال يتفاخر قائلًا: «لقد حصلت على 155 نقطة في اختبار معدل الذكاء. هل تعلم ذلك يا صوص؟ طبعًا لا، كيف يمكنك أن تعلم؟».

يتردد قليلًا، ثم يضيف: «لكنني فقدت بعض النقاط بسبب الحادث. صدمني بأف كبير يقود مرسيدس عندما كنت أقود دراجتي (يشير إلى ندبة بجانب رأسه). عمت الفوضى. أتعلم؟ كدت أفقد حياتي في ذلك الحادث؛ تحول فص مخي الصدغي الأيمن إلى حلوى هلامية».

يقشعر بدنه حينما يفكر في الأمر. يهز كتفيه ويضيف: «لكن تلف المخ لم يعد معضلة كما كان. يستبدل الجراحون نسيج المخ التالف، وتصبح بحالة ممتازة. رشا أبواي الجراح لأحظى بفص صدغي كامل من مُفكَّك -لا تؤاخذني- بدلًا من قطع مخية متفرقة، كما من **المفترض** أن يحدث».

يدري ليف بذلك. عانت أخته كارا الصرع، ولهذا استبدلوا مائة قطعة مخية دقيقة بجزء صغير من نسيج مخها. هكذا عالجوا مرضها، ولم يصبها ذلك الإجراء، فيما يبدو، بأي سوء. لم يخطر ببال ليف قط من أين تأتي تلك القطع الدقيقة من نسيج المخ.

يقول ساي-فاي: «أداء تلك القطع المخية مقبول، لكنه ليس محكمًا. يشبه الأمر ملء ثقب في حائط بمعجون. مهما أتقنت وضع المعجون فلن يعود الحائط كما كان أبدًا. لهذا حرص أبواي على أن أحصل على فص صدغي كامل من متبرع واحد، لكن ذلك الفتى لم يكن بمثل ذكائي. لم يكن لا غبيًّا، لكنه لم يحصل على 155 نقطة في اختبار معدل الذكاء. أوضح فحص المخ الأخير الذي خضعت له أن نتيجتي 130 نقطة. يضعني ذلك ضمن أعلى خمسة في المائة من السكان نتائجًا. لا أزال عبقريًّا، لكن عبقريتي لم تعد استثنائية. ما هو معدل ذكائك؟ هل أنت مصباح خافت أم عالي القوة؟».

يتنهد ليف، ويقول: «لا أعلم. لا يؤيد والداي فحوصات الذكاء. هذا أمر يرجع إلى الدين، جميعنا متساوون في عينَي الرب وما إلى ذلك».

يقول ساي-فاي: «إذًا أنت تنتمي إلى واحدة من **تلك** العائلات».

ثم يدقق النظر إليه، ويضيف: «إن كانوا بهذا الورع والتقوى فلماذا يُفكِّكونك؟».

على الرغم من أن ليف لا يريد الخوض في الحديث عن الأمر، فإنه يدرك أن ساي-فاي هو صديقه الوحيد، ومن الأفضل أن يخبره الحقيقة.

- أنا عُشر.

ينظر إليه ساي-فاي ذاهلًا، كما لو أن ليف قد أخبره للتو أنه الإله.

- سحقًا! إذًا ترى أنك مختار وما شابه؟

- لم أعد كذلك.

يومئ ساي-فاي ضامًّا شفتيه، ويصمت لبعض الوقت. يسيران بمحاذاة القضبان إلى أن تصبح الراقدات الخشبية، التي تدعم قضبان السكة الحديدية، حجرية، وتبدو طبقة الرضراض على جانب القضبان في حالة أفضل.

يقول ساي-فاي: «لقد عبرنا للتو حد الولاية».

يود ليف أن يسأله إلى أي ولاية قد عبرا، لكنه لا يريد أن يبدو غبيًّا.

بالقرب من كل موضع تتلاقى عنده القضبان أو تتباعد، يوجد كوخ صغير من طابقين، يقف كمنارة في غير موضعها. إنه كوخ تحويل مسار السكة الحديدية. هناك الكثير من تلك الأكواخ على امتداد هذا الخط، وفيها يجد ليف وساي-فاي مأواهما كل ليلة.

بينما يقتربان من أحد الأكواخ المهمَلة يسأله ليف: «ألا تخشى أن يعثر علينا أحد من مسؤولي السكك الحديدية هنا؟».

يخبره ساي-فاي: «لا، لم تعد تلك الأكواخ مستخدَمة. أصبح النظام بأكمله آليًّا منذ سنوات. سيكلفهم هدم كل تلك المقرات الكثير. أظن أنهم قد تركوا هدمها للطبيعة، التي ستتولى الأمر في النهاية دون أي تكلفة».

باب كوخ التحويل مقفَل قرضه النمل الأبيض، وقفله يماثله قوة، تكفي ركلة واحدة لفصل القفل عن الخشب. يسقط الباب بالداخل فيثير الغبار والعناكب الميتة.

يتكون الطابق العلوي من غرفة مربعة طولها، مثل عرضها، يبلغ ثمانية أقدام، وهناك نوافذ بكل حائط من حوائطها الأربعة. البرد قارس. يرتدي ساي-فاي معطفًا شتويًّا يبدو باهظ الثمن يبقيه دافئًا ليلًا. يرتدي ليف سترة منتفخة محشوة بالألياف، سرقها من فوق مقعد بالمجمع مؤخرًا.

شمخ ساي-فاي بأنفه عندما رأى ليف يأخذ تلك السترة قبل أن يغادرا المجمع.

قال ساي: «السرقة للحثالة. إن كنت نبيلًا فلن تسرق ما تحتاج إليه، بل ستجعل الآخرين يمنحونك إياه عن طيب خاطر، كما فعلت في المطعم الصيني. لا يتطلب الأمر سوى الذكاء والكياسة. ستتعلم ذلك».

يكره ليف السترة التي سرقها لأنها بيضاء. ظل طوال حياته يرتدي اللون الأبيض، الذي مثَّل غيابًا نقيًّا للألوان يميزه، لكنه الآن لا يشعر بأي راحة عند ارتدائه.

أكلا جيدًا تلك الليلة بفضل ليف، الذي تفتق ذهنه أخيرًا عن شيء يعينهما على البقاء؛ الحيوانات الصغيرة التي دهستها القطارات في أثناء مرورها.

عندما اقترح ليف الأمر اعترض ساي-فاي قائلًا: «لن آكل لا تلك الجيف! قد تكون هذه الأشياء تتعفن هنا منذ أسابيع على أقل تقدير».

أخبره ليف: «لا. إليك ما سنفعله، سنسير بضعة أميال على امتداد القضبان، وسنسم كل حيوان ميت بعصا. بعد ذلك، عندما يمر القطار التالي سنعود. أي شيء سنجده غير موسوم يُعَد طازجًا». من المؤكد أن هذه الفكرة تبدو مقززة، لكنها لا تختلف عن الصيد في شيء، إن كان سلاحك محرك ديزل.

يشعلان نارًا بالقرب من كوخ التحويل، ويتناولان عشاء يتكون من أرنب ومُدرَّع مشويَّين. مذاق المُدرَّع ليس بالسوء الذي توقعه ليف؛ يظل اللحم لحمًا في نهاية المطاف، وما يفعله الشواء بشرائح اللحم يفعله بالمُدرَّع.

بينما يأكلان يقرر ساي-فاي أن يدعو طريقة الصيد هذه «المائدة المدهوسة».

- هذا ما أدعوه بالحل الإبداعي للمشكلات. ربما أنت عبقري رغم كل شيء يا صوص.

من الجيد أن تحظى باستحسان ساي.

يسأله ليف منتبهًا للتو: «هل اليوم الخميس؟ أظن أن اليوم عيد الشكر!».

- حسنًا، نحن أحياء يا صوص. هذا يستحق جزيل الشكر.

في تلك الليلة، في الغرفة الصغيرة بالطابق العلوي من كوخ التحويل، يسأل ساي-فاي السؤال المهم: «لمَ ينذرك والداك عُشرًا يا صوص؟».

يتحدث ساي-فاي كثيرًا عن نفسه وهذه واحدة من مميزات البقاء معه. هكذا ينشغل ليف عن التفكير في شؤونه الخاصة. يختلف ذلك بالطبع عندما يطرح ساي سؤالًا. يصمت ليف متظاهرًا بالنوم. يعلم ليف أنه إن كان هناك شيء واحد لا يستطيع ساي-فاي احتماله فهو الصمت، لهذا يملؤه بنفسه.

- هل كنت طفلًا منقولًا؟ هل هذا هو السبب؟ لم يريداك في المقام الأول ولم يطيقا الانتظار حتى يتخلصا منك؟

يبقى ليف عينيه مغمضتين ولا يتحرك.

يقول ساي: «حسنًا، **كنت** طفلًا منقولًا. وجدني أبواي على عتبة باب المنزل في أول أيام الصيف. لم تحدث مشكلة لأنهما كانا مستعدين لتكوين عائلة. في الواقع، غمرتهما السعادة، ثم جعلا الأمر رسميًّا أخيرًا وتزوجا».

لا يخبر ليف ساي-فاي أن أقرب ما حظي به إلى موعد، أو إلى تقبيل فتاة حتى، كان رقصه الهادئ في حفل نذر العُشر.

عندما يتذكر الحفل يستبد به قلق حاد مفاجئ يجعله يرغب في أن يصرخ، لهذا يغمض عينيه بقوة دافعًا ذلك الشعور المتفجر بعيدًا.

لقد أصبح كل ما له علاقة بحياة ليف القديمة مثل قنبلة موقوتة داخل رأسه. يخبر ليف نفسه: *انسَ تلك الحياة. أنت لم تعد ذلك الفتى.*

يسأله ساي-فاي: «كيف هما والداك؟».

يقول ليف: «أنا أكرههما».

ويتفاجأ لأنه قال ذلك. يتفاجأ لأنه يقصده.

- ليس هذا ما سألت عنه.

لا يقبل ساي بالصمت جوابًا هذه المرة. لهذا يجيبه ليف قدر ما يستطيع. يبدأ قائلًا: «والداي يفعلان كل ما يُفترض بهما فعله. يدفعان الضرائب. يذهبان إلى الكنيسة. يصوّتان وفقًا لما يتوقعه أصدقاؤهما من شخصين مثلهما، ويفكران كما يُفترض بهما أن يفكرا، ويرسلاننا إلى مدارس تنشّئنا لنفكر مثلهما».

- لا أرى هذا بذلك السوء.

يشعر ليف بقلقه يتعاظم، يقول: «لم يكن كذلك، لكنهما أحبا الرب أكثر مما أحباني وأنا أكرههما لذلك. أظن أن هذا يعني أن الجحيم مصيري».

- إمم. انظر، عندما تصل إلى هناك احجز مكانًا من أجلي، اتفقنا؟

- لماذا؟ ما الذي يجعلك تظن أنك ذاهب إلى الجحيم؟

- لا أظن ذلك، لكن تحسبًا للأمر. على المرء أن يحتاط للطوارئ، أليس كذلك؟

بعد يومين يصلان إلى بلدة سكوتسبرج في إنديانا. أصبح ليف يدري أخيرًا في أي ولاية هما. يتساءل إن كانت هذه وجهة ساي-فاي، إذ إن ساي لم يقل شيئًا. بعد أن غادرا السكة الحديدية أخبر ساي-فاي ليف أن عليهما أن يجتازا طرقًا عامة متجهين جنوبًا، إلى أن يجدا قضبانًا تتقدم في ذلك الاتجاه.

يتصرف ساي-فاي بغرابة منذ وقت. بدأ الأمر في الليلة السابقة. ثمة غرابة في صوته، وفي عينيه أيضًا. في البداية ظن ليف أنه يتوهم، لكن الآن، في ضوء هذا اليوم الخريفي الشاحب، يتضح أن هذا ليس ساي-فاي. إنه يعجز عن اللحاق بليف بعد أن كان يتولى القيادة، واختفى الزهو في مشيته. أصبح يجر قدميه جرًا. يقلق ذلك ليف على نحو لم يشعر به منذ أن قابل ساي-فاي.

يظن ليف أن سلوك ساي الغريب قد يرجع إلى أنهما اقتربا من الوصول، ولهذا يسأله: «ألن تخبرني إلى أين نحن ذاهبان؟».

يتردد ساي-فاي، يزن صواب قول أي شيء، ثم يقول أخيرًا: «نحن ذاهبان إلى جوبلن. إنها مدينة تقع في جنوب غرب ميزوري. لا يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه».

يلحظ ليف أن ساي-فاي لم يعد يستخدم طريقة أمبر العالم القديم في الحديث. يتحدث الآن كأي فتى آخر عرفه ليف في بلدته، لكن صوته أجش وبه شيء مظلم أيضًا، وعيد غامض، كصوت مستذئب قبل أن يتحول.

يسأله ليف: «ما الذي ينتظرنا في جوبلن؟».

- لا شيء يستدعي قلقك.

لكن ليف بدأ يقلق، لأنه سيصبح بمفرده مرة أخرى عندما يصل ساي-فاي إلى وجهته. كانت هذه الرحلة أكثر يسرًا عندما لم يكن يعرف وجهتهما.

بينما يسيران يبدو لليف أن عقل ساي في مكان آخر، ربما في جوبلن. ما عساه يكون هناك؟ هل انتقلت حبيبته إلى هناك؟ ربما تعقب أمه البيولوجية. لقد توصل ليف إلى عشرات الأسباب الممكنة لبدء ساي-فاي هذه الرحلة. يبدو أن هناك عشرات الأسباب الأخرى الممكنة التي لم يفكر فيها.

هناك شارع رئيس في سكوتسبرج يبدو مبتذلًا رغم محاولات جعله فاخرًا. إنهما يقطعان البلدة في وقت الظهيرة، إذ تتجهز المطاعم لتجمُّع الغداء.

يسأله ليف: «إذًا هل ستستغل سحرك في الحصول على وجبة مجانية لنا، أم حان دوري لأجرب؟».

يلتفت إلى ساي، لكنه لا يجده. يلقي ليف نظرة سريعة على المتاجر خلفه، فيرى باب متجر يتأرجح، ثم ينغلق. إنه أحد متاجر عيد الميلاد، نوافذه مزيَّنة باللونين الأخضر والأحمر، والرنات البلاستيكية، والثلج القطني. لا يظن ليف أن ساي دخل هذا المتجر، لكنه عندما يختلس النظر عبر النافذة يجده يتجول في المتجر كزبون. نظرًا إلى غرابة تصرفات ساي-فاي مؤخرًا فإن ليف لا يسعه سوى أن يلحق به.

المتجر دافئ، ويعبق برائحة الصنوبر الصناعي. إنها الرائحة التي يستخدمونها في معطرات الجو الورقية. تملأ المتجر أشجار عيد الميلاد الصناعية المشذبة، التي تعرض جميع أنواع زينة عيد الميلاد، ولكل شجرة مظهر مميز. في زمان ومكان مختلفين سيسعد ليف بالتجول في متجر مثل هذا.

تنظر إليهما إحدى البائعات نظرة ارتياب من خلف منضدة البيع.

يمسك ليف بكتف ساي، ويقول: «هيا، لنذهب من هنا».

لكن ساي يبعده، ويذهب إلى شجرة مزيَّنة باللون الذهبي اللامع. يبدو مأخوذًا بالأضواء والزينة. ثمة اختلاجة طفيفة أسفل عينه اليسرى.

يهمس ليف قائلًا: «ساي، هيا، علينا أن نذهب إلى جوبلن. أتذكر ذلك؟ جوبلن».

لكن ساي لا يتحرك.

تأتي البائعة، ترتدي سترة العطلة، وتبتسم ابتسامة العطلة قائلة: «هل أساعدكما في العثور على شيء؟».

يقول ليف: «لا، سنغادر الآن».

يقول ساي: «كسارة بندق. أنا أبحث عن كسارة بندق لأمي».

- إن كسارات البندق بالقسم الخلفي.

تلتفت المرأة لتنظر إلى الجهة الأخرى من المتجر. عندئذ يلتقط ساي كرة ذهبية تتدلى من الشجرة المتلألئة، ويضعها في جيبه. تجمِّد الدهشة ليف في مكانه. يتجاهل ساي ليف تمامًا، ويتبع المرأة إلى القسم الخلفي، حيث يتحدثان عن كسارات البندق.

هناك ذعر يختمر بداخل ليف الآن، ويشق طريقه إلى السطح ببطء.

يستمر حديث ساي والمرأة بضع ثوانٍ أخرى، ثم يشكرها ساي ويعود إلى مقدمة المتجر.

يقول ساي بصوت لا يشبه صوت ساي: «يجب أن أحضِر المزيد من النقود من المنزل. أظن الزرقاء ستعجب أمي».

ليس لديك أم، هذا ما يريد ليف قوله، لكنه لا يفعل، لأن كل ما يكترث له الآن هو أن يغادرا هذا المتجر.

تقول البائعة: «حسنًا، طاب يومك!».

يغادر ساي، ويحرص ليف على أن يكون خلفه مباشرة، في حال أن انتابته رغبة مفاجئة في أن يعود إلى المتجر ليأخذ شيئًا آخر.

حالما ينغلق الباب خلفهما ينطلق ساي-فاي. يندفع راكضًا وكأنه يحاول أن ينسلخ من جلده. يركض عبر الرصيف، ومنه إلى الشارع، ثم يعود إلى الرصيف ثانية. تطلق السيارات أبواقها، وتوشك شاحنة أن تصدمه. يندفع في اتجاهات عشوائية كنفّاخة تفقد الهواء، ثم يختفي في زقاق بعيد.

ليس من المعقول أن تكون كرة عيد الميلاد الذهبية السبب وراء ما حدث الآن. إن ساي-فاي يعاني انهيارًا، نوبة مفاجئة لا يستطيع ليف فهم طبيعتها. يفكر ليف: *عليَّ أن أدعه يرحل، دعه يرحل، ثم اركض في الاتجاه المعاكس ولا تنظر خلفك*. يستطيع ليف النجاة وحده الآن. لقد اكتسب خبرة كافية بحياة الشارع. يستطيع النجاة دون مساعدة ساي-فاي. لكن اليأس الذي علا

وجه ساي قبل أن يركض يذكِّره بوجه كونر عندما سحبه خارج سيارة والده المريحة. لقد خذل ليف كونر، لكنه لن يخذل ساي-فاي.

يعبر ليف الطريق بخطى تفوق خطى ساي-فاي ثباتًا، ويتجه إلى الزقاق.

ينادي بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه ساي، لكنه لا يجذب الانتباه: «ساي-فاي».

يلقي نظرة على حاويات القمامة والأبواب: «ساي! سايرس، أين أنت؟».

يصل إلى نهاية الزقاق، ويلتفت يسارًا ويمينًا. لا أثر له. عندما يوشك أن يفقد الأمل يسمع من يقول: «صوص؟».

يلتفت برأسه وينصت مجددًا.

- هنا يا صوص.

هذه المرة يعلم من أين يأتي الصوت. إنه قادم من ساحة اللعب عن يمينه، خلف زحلوقة من البلاستيك الأخضر، وقوائم من الصلب مطلية بدهان أزرق. لا يوجد أطفال بساحة اللعب. الإشارة الوحيدة الدالة على وجود حياة بها هي طرف حذاء ساي-فاي، الذي يبرز من خلف الزحلوقة. يمر ليف عبر سياج، ويخطو في الرمال التي تحيط بساحة اللعب، ثم يدور حول الزحلوقة حتى يصل إلى ساي-فاي.

ما يراه ليف يجعله يرغب في أن يبتعد فزعًا. إن ساي منكفئ على نفسه، يضم ركبتيه إلى صدره كرضيع. يختلج جانب وجهه الأيسر، ترتجف يده اليسرى كالهلام، ويعبس وجهه كما لو أنه يتألم.

- ماذا هناك؟ ما بك؟ أخبرني. ربما يمكنني أن أساعدك.

يهمس ساي-فاي قائلًا: «لا شيء. سأكون بخير».

لكن ليف يراه كالمُحتضر.

يمسك ساي-فاي كرة الزينة التي سرقها بيده اليسرى المرتعشة. يقول: «أنا لم أسرق هذه».

- ساي...

- **قلت إنني لم أسرق هذه!**

يضرب جانب رأسه بعقب يده اليمنى، ثم يقول: «**لم أكن أنا!**».

- حسنًا كما تقول.

يلتفت ليف حوله ليتحقق أن لا أحد يراهما.

يهدأ ساي قليلًا. ينظر إلى الدليل في يده، ويقول: «إن سايرس فينش لا يسرق. لم يفعل ذلك قط ولن يفعله أبدًا. هذا ليس من شيمي».

ثم يختفي هذا الدليل في لحظة، يرفع ساي-فاي قبضته اليمنى ويضرب بها راحة يده اليسرى مهشّمًا الكرة. يتناثر الزجاج على الأرض محدِثًا جرسًا. ينز الدم من راحة يده اليسرى ومفاصل يده اليمنى.

- ساي، يدك...

يقول: «لا تقلق بشأن ذلك. أريدك أن تفعل شيئًا من أجلي يا صوص. افعله قبل أن أغير رأيي».

يومئ ليف.

- أترى معطفي هناك؟ أريدك أن تبحث في جيوبه.

معطف ساي-فاي الثقيل مُلقى فوق مقعد أرجوحة على بعد بضع ياردات. يذهب ليف إلى الأرجوحة ويتناول المعطف. يمد يده داخل جيب داخلي ليجد، من بين كل الأشياء، قداحة سجائر ذهبية، ويخرِجها.

- هل هذا ما تريد يا ساي؟ تريد سيجارًا؟

إن كان ما سيخرِج ساي-فاي من هذه الحالة سيجار، فسيكون ليف أول من يشعلها له. هناك ما هو غير مشروع أكثر من السجائر على أي حال.

- فتش الجيوب الأخرى.

يبحث ليف في الجيوب الأخرى عن علبة سجائر، لكنه يجد كنزًا دفينًا صغيرًا بدلًا منها، أقراطًا مرصّعة بالجواهر، ساعات، قلادة ذهبية، وسوارًا من الألماس، أشياء تبرق وتتلألأ رغم هذا الضوء الخافت.

- ساي، ماذا فعلت؟

يقول: «لقد أخبرتك بالفعل، لم أكن أنا! الآن خذ هذه الأشياء وتخلص منها. لا تدعني أرى أين وضعتها».

ثم يغطي عينيه كما لو أنهما يلعبان الغميضة. يضيف: «اذهب قبل أن يغيِّر رأيه!».

يخرِج ليف كل ما يحويه الجيب، يحمله بين ذراعيه، ويركض نحو الطرف الأقصى لساحة اللعب. يحفر الرمال الباردة، ويلقي الأشياء بداخلها،

ثم يغطيها بالرمال. عندما ينتهي يسوِّي الرمال بجانب حذائه، ويلقي بعض أوراق الشجر فوقها. يعود إلى ساي-فاي، الذي يجلس حيث تركه ليف، تغطي يداه وجهه.

يقول ليف: «انتهى الأمر. يمكنك أن تنظر الآن».

يبعِد ساي يديه عن وجهه فيبدو ملطَّخًا بدماء جروح يديه. يحدق ساي إلى يديه، ثم ينظر إلى ليف عاجزًا مثل... مثل طفل أصيب للتو في ساحة اللعب. لن يُفاجأ ليف إن شرع ساي في البكاء.

يقول ليف: «انتظر هنا. سأذهب لإحضار بعض الضمادات».

يعلم ليف أنه سيضطر إلى سرقتها. يتساءل ما عساه يقول القس دان عن كل ما قد سرقه مؤخرًا. مكتبة سُر مَن قرأ

يقول ساي: «شكرًا لك يا صوص. لقد فعلت خيرًا. لن لا أنسى ذلك».

عادت النبرة الأمبرية القديمة التي تميِّز حديثه، وتوقف الاختلاج.

يقول ليف بابتسامة مطَمئنة: «على الرحب».

ثم ينصرف ليجد إحدى الصيدليات.

لا يدري ساي-فاي أن ليف قد احتفظ بسوار من الألماس، وأخفاه في واحد من الجيوب الداخلية لمعطفه الأبيض، الذي لم يعد ناصعًا.

يعثر ليف على غرفة في نُزل ليقضيا فيها تلك الليلة. إنها أفضل ما حصلا عليه حتى الآن. ولم يكن العثور عليها بتلك الصعوبة. ظل ليف يبحث عن نزل متهالك، السيارات المصفوفة أمامه ليست بالكثيرة. ثم تطلب الأمر أن يعثر على نافذة مرحاض غير مقفَلة في حجرة شاغرة. لن يدري أحد بوجودهما هناك ما دامت الستائر مسدَلة والأضواء مطفأة.

يخبره ساي-فاي: «إن مصاحبتي تزيدك ذكاء».

لقد عاد ساي القديم، وكأن ما حدث صباحًا لم يكن. لكنه كان *بالفعل*، وكلاهما يدرك ذلك.

يسمعان باب سيارة يُفتح. يتأهب ليف وساي للفرار إذا أدخل أحدهم مفتاحًا في قفل غرفة النُزل التي يشغلانها، لكنهما يسمعان بابًا آخر يُفتح، يبعد عنهما بضع غرف. يستعيد ساي هدوءه، لكن ليف لا يزال قلِقًا.

يقول ليف: «أخبرني عما حدث اليوم».

لم يكن هذا أمرًا، بل طلبًا.

يبدو ساي غير مكترث. يقول: «أمر مضى. دعك من الماضي ولتعش اللحظة. هذه حكمة يمكنك أن تدفنها في قبر، وتنبشه لتسترجعها عند الحاجة!».

- ماذا لو نبشته الآن؟

يتوقف ليف لحظة ليدرك ساي-فاي ما قاله تمامًا، ثم يمد يده داخل جيبه ويخرِج السوار الألماسي. يرفعه أمام ساي-فاي، ويحرص على أن يصل ضوء الشارع، الذي يتسرب عبر شق في الستائر، إلى الألماس حتى يتلألأ.

يقول ساي-فاي بصوت قد فقد كل المرح الذي حمله قبل لحظات: «من أين حصلت على هذا؟».

يقول ليف في ثبات: «احتفظت به. ظننت أنه قد يصبح ذا نفع».

- طلبت منك أن تتخلص منه.

- لم يكن ملكك لتتخلص منه. لقد قلت بنفسك **إنك** لم تسرقه.

يدير ليف السوار حتى تكسر ألماسة بريق الضوء، ليسقط على عين ساي-فاي مباشرة. لا يستطيع ليف أن يرى الكثير في ظلمة الغرفة، لكنه يجزم بأنه يرى وجنة ساي-فاي تختلج.

يقف ساي، ويميل نحو ليف متوعدًا. يقف ليف أيضًا، يبدو أقصر من ساي بقدم تقريبًا.

يقول ساي-فاي: «خذ هذا بعيدًا عن وجهي، وإلا فسأضربك إلى أن أصنع منك وجبة خفيفة».

قد يفعل ليف به الشيء نفسه أيضًا. يقبض ساي-فاي كفيه. تلف الضمادات يديه فيبدو كملاكم قبل أن يرتدي القفازات، لكن ليف لا يتراجع. يؤرجح السوار فيرسل أضواء صغيرة متلألئة تحلق بالغرفة، ككرة مرقص كسول.

- سأبعده إن أخبرتني كيف انتهى هذا السوار وباقي الأشياء الأخرى إلى جيوبك.

- أبعده أولًا، ثم سأخبرك.

- هذا معقول.

يعيد ليف السوار إلى جيبه وينتظر، لكن ساي-فاي يظل صامتًا. لهذا يرشده ليف سائلًا: «ماذا كان اسمه؟ أم أنه كان فتاة؟».

يشعر ساي-فاي بالهزيمة. ترتخي كتفاه وينهار على أحد المقاعد. لا يستطيع ليف رؤية وجهه في الظلام، لهذا ينصت إلى صوته. ما دام يتحدث كساي فهذا يعني أن ساي بخير. يجلس ليف على حافة السرير على بعد بضعة أقدام من ساي، ويستمع إليه.

يقول ساي: «كان فتى. لا أعلم اسمه. لا بد أنه حفظه في جزء آخر من عقله. لقد حصلت على الفص الصدغي من مخه وحسب. يمثّل ذلك ثُمن القشرة المخية فقط. لهذا سبعة أثمان من ذاتي تمثلني والثُمن المتبقي يمثله».

- استنتجت أن الأمر هكذا.

أدرك ليف ما كان يعانيه ساي قبل أن يسرق الضمادات من الصيدلية. دلّه ساي بنفسه عندما قال: «اذهب قبل أن يغير رأيه».

- إذًا... كان سارقًا؟

- كانت لديه بعض... المشكلات. أظن أن تلك المشكلات هي السبب الرئيس الذي دفع والديه إلى أن يُفكّكاه. الآن أصبحت إحداها مشكلتي.

- هذا سيئ.

يضحك ساي-فاي بمرارة. يقول: «أجل يا صوص. إنه كذلك».

يقول ليف: «يشبه الأمر ما حدث مع أخي راي. ذهب إلى مزاد حكومي، واشترى عشرة أفدنة تطل على بحيرة بثمن بخس، ثم اكتشف أن قطعة الأرض تحتوي على حاوية تملؤها مواد كيميائية سامة تتسرب إلى الأرض. ولأنه يملك قطعة الأرض أصبحت تلك المشكلة مشكلته. كلفه التخلص من المواد الكيميائية ما يقارب عشرة أضعاف تكلفة شراء الأرض».

يقول ساي: «أحمق».

- أجل. لكن تلك المواد الكيميائية لم تكن في عقله.

يخفض ساي بصره بضع لحظات، ثم يقول: «هذا الفتى ليس سيئًا. إنه يتألم، يتألم بشدة».

يتحدث ساي كما لو أن ذلك الفتى لا يزال هنا، في هذه الغرفة معهما.

- لديه هذه الرغبة في أن ينتزع الأشياء، كإدمان، أتفهم؟ بخاصة الأشياء البراقة. ليس الأمر وكأنه يريدها حقًا، بل هناك ما يدفعه إلى تخطُّفها. أعتقد أنه مصاب بالكليبتومانيا. هذا يعني... آه، أجل، أنت تعلم ما يعنيه ذلك.

- إذًا هل يتحدث إليك؟

- لا، ليس تمامًا. لم أحصل على الجزء الذي يستخدم الكلمات في عقله. جل ما ينتابني مشاعر. أرى صورًا في بعض الأحيان، لكن المعتاد مشاعر فقط. رغبات مُلحة. عندما تنتابني رغبة لا يمكنني تفسيرها أدرك أنها منه. كتلك المرة عندما رأيت كلب الساطر الأيرلندي بالشارع، وأردت أن أذهب إليه لأداعبه. لست مولعًا بالكلاب، لكنني فجأة أُجبرت على مداعبة ذلك الكلب.

بعد أن بدأ ساي يتحدث عن الأمر لم يعد بإمكانه التوقف. تتدفق كلماته تدفق المياه عبر السد.

- إن مداعبة ذلك الكلب شيء، والسرقة شيء آخر. تجعلني السرقة أحتدم غضبًا. أعني هذا ما أنا عليه، أنا مواطن يلتزم بالقانون. لم آخذ ولا شيء لا أملكه قط، والآن أنا عالق مع هذا. هناك من هم مثل تلك السيدة في متجر عيد الميلاد، عندما يرون فتى أمير مثلي يفترضون على الفور أنني لا أنوي خيرًا. الآن، بسبب ذلك الفتى، أصبحوا محقين. أتعلم ما المضحك؟ كان هذا الفتى سيبنا مثلك، شعره أشقر وعيناه زرقاوان.

يتفاجأ ليف عند سماعه ذلك. لا يفاجئه الوصف، بل حقيقة أن ساي يعرف مواصفات الفتى.

- أتعلم كيف كان يبدو؟

يومئ ساي-فاي. يقول: «يمكنني رؤيته. هذا صعب، لكنني أستطيع أن أراه في بعض الأحيان. أغمض عينيَّ وأتخيل أنني أنظر في مرآة. عادة ما أرى انعكاس صورتي، لكن بين الحين والآخر أستطيع أن أراه. يدوم ذلك لحظة فقط، مثلما يحاول نظرك اللحاق بصاعقة برق بعدما رأيت الوميض بالفعل. لكن الآخرين لا **يرونه** عندما يسرق، بل يرونني، يرون **يديَّ** تسرقان».

- لكن من يهمك أمرهم يعلمون أن من يفعل ذلك ليس أنت. أبواك...

يقول ساي: «إنهما لا يدريان بالأمر! يعتقد أبواي أنهما أحسنا صنعًا بإلصاق قطعة المخ هذه بي. إن أخبرتهما بالأمر سيشعران بالذنب طوال حياتيهما. لهذا لا يمكنني أن أخبرهما».

يعجز ليف عن الرد. يتمنى لو أنه لم يشِر إلى الأمر. يتمنى لو أنه لم يصر على أن يعرف. يتمنى لو أن ساي لم يُضطر إلى أن يعيش هذا. إنه فتى جيد يستحق ما هو أفضل.

يقول ساي: «ثم إن ذلك الفتى لا يدري أنه جزء مني، كالأشباح التي لا تدري أنها ميتة. يظل يحاول أن يكون نفسه، ولا يدري أين ذهب باقيه».

الآن يدرك ليف الأمر. يقول: «عاش ذلك الفتى في جوبلن، أليس كذلك؟».

يطول صمت ساي. هكذا يدرك ليف أنه محق.

يقول ساي أخيرًا: «هناك أمور تخصه محجوبة داخل عقلي ولا يمكنني الوصول إليها. كل ما أعرفه هو أنه يجب عليه الذهاب إلى جوبلن، لهذا عليَّ أن أذهب إلى هناك أيضًا. ربما يدعني وشأني عندما نصل إلى هناك».

يحرِّك ساي-فاي كتفيه، لا يبدو غير مبالٍ بل منزعجًا، كأنه يشعر بحكة في ظهره أو رعشة مفاجئة.

يقول: «لا أريد أن أتحدث عنه بعد الآن. يتعاظم الثُّمن الذي يمثله كثيرًا عندما أمضي الوقت متسكعًا في المادة الرمادية الخاصة به».

يريد ليف أن يحيط كتف ساي بذراعه كأخٍ أكبر ليطمئنه، لكنه لا يجسر على فعل ذلك، لهذا يسحب ملحف السرير ويدثِّر ساي به.

- لمَ فعلت ذلك؟

يقول ليف: «لتتدفآ كلاكما، (ثم يضيف) لا تقلق بشأن أي شيء. كل الأمور تحت سيطرتي».

يضحك ساي-فاي، ويقول: «أنت؟ تظن أنك ستعتني بي في حين أنك لا يمكنك الاعتناء بنفسك حتى؟ لولاي لظللت تقتات بقمامة الآخرين في المجمع».

- هذا صحيح، لكنك ساعدتني. حان دوري لأن أفعل الشيء مثله من أجلك، سأوصلك إلى جوبلن.

***

22. ريسا

تراقب ريسا ميجان وورد كل شيء حولها بانتباه وحذر. لقد رأت ما يكفي في ملجأ الولاية لتدرك أن النجاة تعتمد على مدى يقظة المرء.

ظلت تُنقَل مع كونر، ومجموعات مختلفة من المُفكَّكين، من مخبأ إلى آخر مدة ثلاثة أسابيع. يبعث هذا الوضع على الجنون لأنه لا توجد نهاية قريبة، فيما يبدو، لطريق الهروب الطويل ذلك.

يُنقَل عشرات المراهقين، لكن لا يمكث في أي مخبأ ما يزيد على خمسة أو ستة منهم في كل مرة، وقلما ترى ريسا الوجه نفسه مرتين. لقد استطاعت هي وكونر أن يبقيا معًا لأنهما يتظاهران بأنهما ثنائي. يخدم هذا التظاهر مصالحهما كليهما وقد أثبت نفعه. ماذا يُقال؟ الشيطان الذي تعرفه خير من الشيطان الذي تجهله؟

تُركا أخيرًا في مستودع كبير فارغ، يقع في نطاق منطقة نقل جوي صاخبة. إنه عقار متواضع لإخفاء المراهقين الذين لا يرغب فيهم أحد، بناء بسيط ذو سطح من الصلب المتعرج، يهتز بقوة عندما تمر طائرة من فوقه. لن تتفاجأ ريسا إن تقوض.

عند وصولهما كان هناك ثلاثون مراهقًا تقريبًا، صادف كونر وريسا الكثير منهم في خلال الأسابيع القليلة الماضية. تدرك ريسا أن هذا المكان يُعَد حاوية، يُودَع فيها المراهقون جميعًا استعدادًا لبدء رحلة أخيرة. ثمة سلاسل على الأبواب تبقي المتطفلين بالخارج، ومن يبدي تمردًا بالداخل. هناك مدافئ صغيرة عديمة الجدوى، لأن حرارتها تتبدد نظرًا إلى علو سطح المستودع. توجد دورة مياه واحدة قفلها مُحطَّم، وعلى النقيض من الكثير من المخابئ، لا تحتوي على موضع للاستحمام. هكذا عُلقت أمور النظافة الشخصية منذ أن وصلا. ضع جماعة من المراهقين الخائفين والغاضبين في

ظروف كتلك، وستحصل على برميل بارود جاهز للانفجار. ربما لهذا يحمل من يديرون المكان أسلحة.

يتولى أمرهم أربعة رجال وثلاث نساء، هم النسخ العسكرية ممن يقومون على إدارة المخابئ مثل سونيا. يدعوهم الجميع الجنود المنهَكين، لأنهم يفضّلون ارتداء الملابس العسكرية الكاكية، ودائمًا ما يبدون مرهَقين. على الرغم من ذلك، فإنهم يُبدون ثباتًا يروق لريسا.

تصل حفنة من المراهقين كل يوم تقريبًا. تراقب ريسا الوافدين باهتمام، وتلحظ أن كونر يفعل الشيء نفسه، وهي تعلم السبب وراء ذلك.

تقول له أخيرًا: «أنت أيضًا تبحث عن ليف، أليس كذلك؟».

يهز كتفيه في غير اكتراث، يقول: «ربما أبحث عن إوُول آكرون الذي يبحث عنه الجميع».

تضحك ريسا ضحكة خافتة عند قوله ذلك. لقد انتشرت شائعات في المخابئ عن إوُول من آكرون، هرب من أحد ضباط شرطة الأحداث، بعد أن خدر الشرطي بمسدس التخدير الخاص به.

يتهامس المراهقون قائلين: «*ربما* يكون *في طريقه إلى هنا!*» كما لو أنهم يتحدثون عن أحد المشاهير. لا تعلم ريسا كيف انتشرت الشائعة رغم أن ما حدث لم تنشره الأخبار قط، وهي منزعجة قليلًا لأن الشائعة لم تذكرها. كان يجب أن تتناول الشائعة ثنائيًا كالمجرمين الشهيرين بوني وكلايد. لا شك أن مروّجي الشائعات متحيزون جنسيًا.

تسأل كونر بصوت خفيض: «ألن تخبرهم أنك إوُول آكرون؟».

– لا أريد ذلك النوع من الاهتمام. ثم إنهم لن يصدقوني على أي حال. إنهم يظنون إوُول آكرون بطلًا خارقًا بوف. لا أريد أن أخيِّب آمالهم.

لا يصل ليف مع دفعات الوافدين الجدد، الذين لا يجلبون سوى المزيد من التوتر. بلغ عددهم في نهاية الأسبوع الأول ثلاثة وأربعين، ولا يزال هناك دورة مياه واحدة فقط، دون موضع للاستحمام، أو جواب عن المدة التي سيستغرقها ذلك الوضع. يسود الأجواء اضطراب يماثل رائحة الأجساد شدة.

يبذل الجنود المنهَكون قصارى جهدهم ليوفّروا لهم الطعام وليشغلوا وقتهم، للحد من وقوع مناوشات بينهم. هناك بضعة صناديق ألعاب، ومجموعات غير مكتملة من أوراق اللعب، وكتب مهترئة لم ترضَ بها أي

مكتبة. لكن لا توجد إلكترونيات، أو كرات، لا يوجد شيء قد يثير الضجيج أو يعين على إثارته.

كثيرًا ما يذكِّرهم الجنود المنهَكون قائلين: «إن سمعكم من بالخارج فقد انتهى أمركم».

تتساءل ريسا إن كان لدى الجنود المنهَكين عمل آخر بعيدًا عن إنقاذ المُفكَّكين، أم أن هذه المهمة هي عملهم الرئيس.

سألت ريسا إحدى الجنديات المنهَكات في خلال الأسبوع الثاني: «لماذا تفعلون هذا من أجلنا؟».

ردت الجندية جوابًا بدا أنها تحفظه عن ظهر قلب، وكأنها تقدم إفادة مقتضبة إلى مراسلة: «إنقاذكم وإنقاذ من هم مثلكم هو عمل يمليه الضمير. مكافأتنا هي القيام به».

جميع الجنود المنهَكين يتحدثون هكذا، حديث الصورة الكبرى كما تدعوه ريسا. يرون الكل فقط لا أجزاءه. لا يبدو ذلك في حديثهم فقط، بل في أعينهم أيضًا. عندما ينظرون إلى ريسا تدرك أنهم لا يرونها حقًّا. إنهم فيما يبدو لا يرون حشد المُفكَّكين كجماعة من المراهقين القلِقين، بل يرون ما يرمزون إليه. لهذا تفوتهم الاضطرابات الاجتماعية الدقيقة التي تقلقل الأوضاع بقوة، كما تقلقل الطائرات السطح.

بحلول نهاية الأسبوع الثاني أصبحت ريسا تدرك أين تختمر المشكلة. إنه ذلك الفتى الذي كانت تأمل ألا تراه مرة أخرى، لكنه وصل بعد فترة وجيزة من وصولهما.

رونالد.

إنه أكثر الموجودين هنا خطرًا. ما يقلقها هو أن كونر لم يكن بذلك الثبات العاطفي في خلال الأسبوع المنصرم.

كان على ما يُرام في المخابئ. لم يكن سلوكه مندفعًا أو غير عقلاني، لكنه الآن، وسط هذا الحشد، أصبح مختلفًا. حاد المزاج وحرونًا. يثور لأتفه الأسباب. لقد خاض عشرات المشاجرات بالفعل. لا بد أن والديه قررا أن يُفكِّكاه لهذا السبب. قد يدفع ذلك المزاج الناري بعض الآباء إلى اتخاذ إجراءات حاسمة.

يخبرها عقلها أن تبتعد عنه. لقد كان تحالفهما ضرورة، ولم يعد هناك سبب لاستمرار هذا التحالف. لكنها يومًا بعد يوم تجد أنها منجذبة إليه، وتقلق بشأنه.

تقترب منه بعد إفطار أحد الأيام، لتتنبَّه إلى خطر جليٍّ يحدق به. إنه يجلس بمفرده، ينقش صورة بمسمار صدئ على الأرضية الخرسانية. تتمنى ريسا لو استطاعت أن تقول إن رسمه رائع، لكن كونر ليس بالفنان. يثير هذا استياءها، لأنها ترغب بشدة في أن تعثر على واحدة من خصاله الجيدة. إن كان فنانًا فسيجمعهما الإبداع. قد تحدِّثه عن شغفها بالموسيقى، وسيتمكن من فهمها. في الواقع لا تظن ريسا أنه يعرف أنها تعزف البيانو، أو قد يكترث بذلك.

تسأله: «من ترسم؟».

يجيب: «فتاة أعرفها من بلدتي».

تكبح ريسا شعورها بالغيرة في هدوء وتدفعه بعيدًا: «هل كنت تهتم لأمرها؟».

- تقريبًا.

تمعن ريسا النظر في الرسم، تقول: «عيناها كبيرتان مقارنة بوجهها».

- ربما لأن عينيها هما أكثر ما أتذكره.

- وجبهتها ضيقة أيضًا. وفقًا لهذا الرسم، لن يكون هناك متسع لدماغها.

- أجل، لم تكن بتلك النباهة.

تضحك ريسا فيبتسم كونر. عندما يبتسم، يصعب تصور أنه الفتى نفسه الذي خاض كل تلك المشاجرات. تحاول ريسا أن تخمن ما إن كان سيتقبل سماع ما ستقوله أم لا.

ينحِّي بصره عنها قائلًا: «هل هناك ما تريدينه، أم أنكِ اليوم تؤدين دور الناقد الفني؟».

- أنا... أتساءل لم تجلس بمفردك.

- أوه، إذًا أنتِ طبيبتي النفسية أيضًا.

- من المفترض أننا ثنائي. لنحافظ على هذه الصورة يجب ألا تشمل عزلتك الجميع.

يوجِّه كونر نظره إلى جماعات المراهقين، المنشغلين بأنشطة الصباح المختلفة. تتبع ريسا نظره. منهم جماعة تبغض العالم، وتمضي اليوم بأكمله ساخطة. هناك فتى يتنفس عبر فمه، لا يفعل شيئًا سوى قراءة كتاب القصص المصورة نفسه مرارًا. تلازم ماي فتى كئيبًا يُدعى فنسنت، شعره قصير يقف كالشوك، يرتدي الملابس الجلدية، وتملأ الثقوب جسده. لا بد أنها وجدت به توءم روحها، لأنهما يتبادلان القبلات طوال اليوم، هكذا يجذبان انتباه مجموعة من المراهقين، الذين ينصرفون إلى مراقبتهما.

يقول كونر: «لا أريد أن أخالط أحدًا. لا يعجبني الجمع هنا».

تسأله ريسا: «لماذا؟ إنهم يشبهونك كثيرًا».

- إنهم حمقى.

- أجل، هذا ما أعنيه.

ينظر كونر إليها متظاهرًا بالغضب، ثم يخفض نظره إلى الصورة التي نقشها، لكنها تعلم أنه لا يفكر في الفتاة. إن عقله في مكان آخر.

- ما دمت وحدي فلن أتشاجر مع أحد.

يضع المسمار، ويتوقف عن النقش. يضيف: «لا أدري ما الذي يدفعني إلى التصرف على هذا النحو. ربما يرجع ذلك إلى تداخل كل هذه الأصوات معًا، أو حركة كل هذه الأجساد حولي. يجعلني ذلك أشعر كما لو أن هناك نملًا يزحف داخل عقلي، يجعلني أريد الصراخ. أحتمل الأمر طويلًا، ثم أنفجر. كان هذا يحدث في المنزل عندما نتجمع حول طاولة الطعام، ويتحدث الجميع في الوقت نفسه. ذات مرة، جاءت عائلة لزيارتنا، وأثار حديثهم جنوني. قذفت خزانة الآنية الخزفية بطبق، وتناثر الزجاج في كل مكان. سألني والداي ما الذي انتابني، لكنني لم أستطع أن أجيبهما».

يسعدها أن كونر يشارك هذا الأمر معها. هكذا تشعر أنها أكثر قربًا منه. ربما الآن، بعد أن صارحها ببعض ما يشعر، سيستمع إلى ما يجب أن تخبره به.

- هناك شيء أريد أن أحدِّثك بشأنه.

- ما هو؟

تجلس ريسا بجانبه، وتقول بصوت خافت: «أريدك أن تراقب المراهقين الآخرين، أين يذهبون، ومع من يتحدثون».

- جميعهم؟

- أجل، واحدًا تلو الآخر. بعد فترة ستلحظ بعض الأشياء.

- مثل ماذا؟

- مثل أن من يحصلون على الطعام أولًا هم من يقضي معهم رونالد معظم وقته، لكنه لا يذهب إلى مقدمة صف الطعام أبدًا. مثل كيف يندس أقرب أصدقائه بين باقي الجماعات، ليوقِعوا الخلاف بينهم فيتفرقوا. مثل أن رونالد يلاطف الصبية الذين يشفق عليهم الجميع، إلى أن ينتهي هذا الإشفاق، ثم يستغلهم.

- يبدو أنكِ اخترتِ رونالد موضوع بحثك.

- أنا جادة فيما أقول. لقد شهدت هذا من قبل. إنه متعطش للسيطرة، ولا يرحم، وهو ذكي للغاية.

يضحك كونر، يقول: «رونالد؟ إنه يغرق في شبر ماء».

- لا، قد يخدع الجميع ليظنوا ذلك حتى يحقق ما يريد.

يصمت كونر، ويفكر في الأمر. تفكر ريسا: جيد، يجب *أن* يفكر. يجب *أن يخطط*.

- لماذا تخبرينني بذلك؟

- لأنك أكبر تهديد له.

- أنا؟

- أنت لا تهاب القتال، الجميع يدري ذلك. ويعلمون أيضًا أنك لا تسمح لأحد بأن يسيء إليك. ألم تسمعهم يتمتمون بأن على أحدهم أن يُوقِف رونالد؟

- أجل.

- يقولون ذلك فقط عندما تكون قريبًا بما يكفي لتسمعهم. يتوقعون منك أن تتصدى له، ورونالد يعرف ذلك.

يلوِّح بيده رافضًا الفكرة، لكنها تجادله قائلة: «أصغِ إليَّ لأنني أعلم جيدًا ما أتحدث عنه. في ملجأ الولاية، لطالما كان هناك فِتية خطرون أحكموا سيطرتهم تنمرًا. استطاعوا فعل ذلك لأنهم عرفوا بالضبط بمن يجب أن

يطيحوا، ومتى يطيحون به. كان الفتى الأقدر على الإطاحة **بهم** هو من يطيحون به بأقسى ما يمكنهم».

ترى كونر يقبض يده اليمنى. إنه لا يفهم ما تقصده بقولها. إنها تخفق في إيصال رسالتها.

- إن كان يريد قتالًا فسيحصل عليه.

- لا! لا تبتلع الطُّعم! إن هذا ما يريده! سيفعل كل ما في وسعه ليستدرجك إلى قتال، لكن يجب عليك ألا تسمح بحدوث ذلك.

يكز كونر على أسنانه، يقول: «تظنين أنني لا أستطيع أن أغلبه إن تقاتلنا؟».

تمسك بقبضته وتشد عليها، وتقول: «لا يريد فتى مثل رونالد أن يقاتلك، بل يريد أن يقتلك».

***

23. كونر

يبغض كونر الإقرار بذلك، لكن ريسا كانت محقة في الكثير من الأشياء. لقد أنقذهما صفاء ذهنها مرات عدة. والآن، بعد مراقبته ما يجري، تأكد له أن ملاحظتها حول هيكل السيطرة السري لروناند صحيحة تمامًا. يبرع رونالد في تنظيم ما حوله من أجل مصلحته الخاصة. لا يعينه في ذلك تنمره الظاهر، بل تلاعبه الخفي بالوضع. ذلك التنمر ليس إلا غطاء لما يحدث حقًّا. ما دام الآخرون يرونه فتى خشنًا جامدًا، فلن ينتبهوا إلى مَكره في بعض الأمور، مثل تقربه إلى أحد الجنود المنهَكين، بأن يحرص على أن يراه الجندي يعطي طعامه إلى أحد الصبية الأصغر سنًّا. تخدم كل خطوة يتخذها رونالد غرضًا، كلاعب شطرنج بارع، حتى وإن لم يتضح غرضه على الفور.

لم تكن ريسا محقة بشأن رونالد فقط، بل وبشأن ليف أيضًا، على الأقل فيما يشعر به كونر حيال ذلك الفتى. لم يستطع كونر أن يتوقف عن التفكير في أمر ليف. ظل يقنع نفسه أن السبب في ذلك هو رغبته في الانتقام، كما لو أنه لا يطيق صبرًا حتى يجازيه على ما فعل. لكنه في كل مرة تصل مجموعة جديدة من المراهقين ولا يظهر ليف بينهم، يشعر باليأس يتملكه. يُغضِب ذلك الشعور كونر، ويظنه أحد الأسباب التي تقوده إلى خوض المشاجرات.

لم يبلغ ليف الشرطة عنهما فقط، لقد أبلغ عن نفسه أيضًا. هذا يعني أن ليف على الأرجح قد رحل، فُكِّك وانتهى. قُطِّع بدنه، وعظامه، ومخه ليعاد تدويرهم. يصعب على كونر أن يتقبل هذا. لقد خاطر كونر بحياته لإنقاذ ليف، مثلما فعل من أجل الرضيعة التي صادفوها على عتبة باب المنزل.

أُنقذت الرضيعة، لكن ليف فُكِّك. على الرغم من أنه يدرك أنه ليس مسؤولًا عن تفكيك ليف، فإنه يشعر أن ما حدث خطؤه. لهذا في كل مرة تصل مجموعة جديدة من الوافدين، ينتظره سرًّا، ويراوده أمل يائس في أن يجد ذلك الفتى المعتد بنفسه، المزهو بها، المزعج ليف لا يزال حيًّا.

***

24. ريسا

يتأخر الجنود المنهَكون عن موعد وصولهم ساعة، ويتأخر معهم عشاء أمسية عيد الميلاد المجيد. إنه الطعام غير الشهي نفسه، لكن الجنود المنهَكين يعتمرون قبعات بابا نويل. يسود نفاد الصبر الأمسية لأن الجميع جائعون، ويتزاحمون عند توزيع الطعام محدِثين جلبة، كما لو أنهم في مجاعة. ما يزيد الأمر سوءًا هو أن الليلة يوجد جنديان منهَكان فقط لتوزيع الوجبات بدلًا من أربعة كالمعتاد.

يصيح الجنديان المنهَكان قائلين: «صف واحد! صف واحد! يوجد ما يكفي الجميع».

لكن شدة الجوع الليلة تجعلهم يطلبون الحصول على الطعام *الآن*، ولا يبالون بكفايته أو عدمها. إن ريسا جائعة مثل الجميع، لكنها تدرك أن وقت توزيع الوجبات هو أفضل وقت للحصول على بعض الخصوصية في دورة المياه، دون أن يقتحم أحدهم الباب غير المقفَل، أو يظل يدقه يتعجل خروجها. لا يوجد أحد بالقرب من دورة المياه الليلة لأن الجميع يطالبون بعشاء العيد، لهذا ترجئ ريسا التفكير في جوعها، وتبتعد عن الزحام متجهة إلى هناك.

تضع اللافتة مشغول على مقبض الباب حال أن تدخل دورة المياه، ثم تغلق الباب. تتوقف لتتفحص صورتها في المرآة قليلًا. لا تعجبها الفتاة رثة الهيئة ذات الشعر الأشعث التي تراها، لهذا لا تطيل النظر إليها. تغسل وجهها، وتجففه بطرف قميصها لأنه لا توجد مناشف. قبل أن تتجه إلى المرحاض تسمع الباب يُفتح خلفها.

تلتفت لتُفاجأ بأن رونالد هو من دخل دورة المياه، والآن يغلق الباب خلفه ببطء. تدرك ريسا خطأها على الفور، لم يكن عليها المجيء إلى هنا وحدها.

تقول: «اخرج!».

تتمنى لو بدا صوتها أكثر قوة الآن، لكنه فاجأها: «لا حاجة إلى أن تكوني بتلك الحدة».

يخطو رونالد نحوها خطوات بطيئة كمفترس. يقول: «جميعنا هنا أصدقاء، أليس كذلك؟ والآن، بينما الجميع يتناولون طعام العشاء، لدينا بعض الوقت ليتعرف أحدنا إلى الآخر».

- لا تقترب مني!

تفكر ريسا كيف يمكنها التصرف في هذه المساحة الضيقة، ذات الباب الواحد، دون وجود أي شيء تستخدمه كسلاح، لكنها تدرك أن خياراتها محدودة.

يدنو منها على نحو خطر. يقول: «في بعض الأحيان أفضِّل تناول الحلوى قبل العشاء. ماذا عنكِ؟».

حالما يقتحم مساحتها الحميمية تحاول أن تصفعه، أو تضربه بركبتها، أو تصيبه بأي ألم يكفي ليصرف انتباهه حتى تندفع خارج الغرفة، لكن استجاباته سريعة للغاية. يمسك بيديها، ويدفعها إلى الخلف فتصطدم بالحائط ذي البلاط الأخضر، ويقيِّدها بثقله حتى لا تستطيع أن تركله. يبتسم كما لو أن الأمر كان في غاية السهولة. تلمس يده وجنتها الآن. يبعد القرش الموشوم على ذراعه عنها بضع بوصات، ويبدو على وشك الهجوم.

- إذًا ما رأيكِ في أن نحظى ببعض المرح ونمنحكِ تسعة أشهر دون تفكيك؟

لم تكن ريسا كثيرة الصراخ قط، لطالما رأت الصراخ ضعفًا، علامة على الهزيمة. لكن الآن عليها أن تقر بالهزيمة، لأنه على الرغم من أن لديها خبرة كبيرة في إبعاد الأوغاد، فإن خبرة رونالد في أن يكون وغدًا أكبر.

لهذا تصرخ، تطلق صرخة مريعة بأعلى صوتها، لكن هذه الصرخة تخرج في أسوأ وقت ممكن، لأنه في تلك اللحظة، تمر طائرة فوق المستودع، يهز الجدران هديرها، وتبتلع صرختها كليًّا.

يقول رونالد: «عليكِ أن تتعلمي كيف تستمتعين بالحياة. ليكن هذا درسكِ الأول».

عندئذ ينفتح الباب، وترى كونر من فوق كتف رونالد يقف عند المدخل، عيناه تتقدان. لم تسعد ريسا برؤية أحد هكذا من قبل.

- كونر! أوقفه!

يراه رونالد أيضًا، يرى صورته التي تعكسها مرآة دورة المياه، لكنه لا يفلت ريسا.

يقول رونالد: «حسنًا، **هذا** محرج، أليس كذلك؟».

يقف كونر على عتبة الباب، ولا يأخذ أي خطوة لينتزع رونالد بعيدًا عنها. لا تزال عيناه غاضبتين، لكنه لا يقبض كفيه، بل تتدلى يداه بجانبه فقط. ما خطبه؟

يغمز رونالد بعينه إلى ريسا، ويلتفت بوجهه ليهتف بكونر قائلًا: «من الأفضل لك أن تخرج حتى لا تقع في مشكلة».

يجتاز كونر عتبة الباب، لكنه بدلًا من أن يتقدم نحوهما يذهب إلى الحوض.

يقول: «هل تمانع إن غسلت يديَّ قبل تناول العشاء؟».

تنتظره ريسا أن يباغت رونالد بحركة عنيفة مفاجئة، لكنه لا يفعل، بل يغسل يديه فقط.

يقول رونالد: «نظرات فتاتك تلاحقني منذ أن كنا في قبو سونيا. تدري بذلك، أليس كذلك؟».

يجفف كونر يديه في بنطاله. يقول: «يمكنكما أن تفعلا ما يحلو لكما. لقد انفصلنا أنا وريسا صباح اليوم. هل أطفئ الضوء عندما أغادر؟».

لم تتوقع ريسا أن يخونها هذه الخيانة التامة، ولا تدري من عليها أن تكره أكثر، رونالد أم كونر.

يرخي رونالد قبضته عليها، ويقول: «حسنًا، لقد خرب المزاج، أليس كذلك؟».

ثم يتركها. يضيف: «كنت أمزح على أي حال. لم أكن لأفعل أي شيء».

يبتعد مبتسمًا الابتسامة ذاتها مجددًا، ويقول: «ما رأيكِ في أن ننتظر حتى تصبحي جاهزة؟».

ثم يختال في مشيه خارجًا بوقاحة كما دخل، ويصطدم بكتف كونر في طريقه للخروج ككلمة أخيرة.

تصب ريسا كامل حيرتها وسخطها على كونر. تدفعه إلى الحائط، وتهزه قائلة: «ماذا كان هذا؟ كنت ستتركه يفعل ما يريد؟ كنت ستقف هكذا وتدع الأمر يحدث؟».

يبعدها كونر عنه قائلًا: «ألم تحذريني من ابتلاع الطُّعم؟».

- ماذا؟

- لم يتبعكِ إلى دورة المياه فقط، بل ودفعني في طريقه أولًا. **أراد أن يعلِمني بأنه يتبعكِ إلى هنا.** لم يفعل ذلك ليوقع بكِ، بل ليوقع بي، كما قلتِ بالضبط. **أرادني** أن ألحق به. أراد أن يغضِبني ويثير جنوني، لهذا لم أبتلع الطُّعم.

تهز ريسا رأسها، لا ترتاب فيما يقول، بل تذهلها الحقيقة.

- لكن... لكن ماذا لو... ماذا لو حاول...

- لكنه لم يفعل، أليس كذلك؟ والآن لن يفعل. إن اعتقد أننا انفصلنا، فسيحاول أن ينال رضاك لأن هذا يخدم مصلحته. من الآن فصاعدًا، أؤكد لك أنه سيلاحقك ليغمرك بلطفه فقط.

تحتشد جميع المشاعر التي تمور بداخل ريسا في عينيها، وتنفجر باكية. يقترب كونر منها يحاول تهدئتها، لكنها تدفعه بالقوة نفسها التي لو استطاعت لدفعت بها رونالد.

تصرخ قائلة: «اخرج! اخرج الآن!».

يرفع كونر يديه مستاء، ويقول: «حسنًا. ربما كان يجب عليَّ الذهاب لتناول العشاء بدلًا من أن آتي إلى هنا».

يغادر كونر، وتغلق ريسا الباب خلفه، رغم صف المراهقين المنتظرين أمام دورة المياه. تجلس على الأرض، يستند ظهرها إلى الباب، حتى لا يستطيع أحد الدخول ريثما تضبط مشاعرها.

لقد فعل كونر الصواب. للمرة الأولى كانت رؤيته للوضع أكثر وضوحًا منها. ما فعله قد ضمن ألا يعتدي عليها رونالد مرة أخرى، أو على الأقل لبعض الوقت. لكن هناك جزءًا بداخلها لا يستطيع أن يسامحه على وقوفه متفرجًا. لا يتصرف الأبطال بهذه الطريقة، بل يقاتلون حتى وإن عرَّض ذلك حياتهم للخطر.

عندئذ تدرك ريسا أنه على الرغم من جانب كونر المظلم، فإنها تراه بطلًا.

***

25. كونر

قد يكون أقسى ما اضطر كونر إلى فعله على الإطلاق هو تمالك أعصابه في دورة المياه تلك. حتى الآن، بينما يندفع مبتعدًا عن ريسا، يريد أن يوسع رونالد ضربًا. لكن اللحظة الحالية لا تستلزم الغضب الأعمى، وكونر يعلم ذلك. إن ريسا محقة. يريد رونالد قتالًا ضاريًا نهائيًّا. لقد أخبر أحد الفتية كونر أن رونالد قد صنع لنفسه سكينًا من قطعة معدنية وجدها بالمستودع. إن اندفع كونر يكيل له اللكمات، فقد يجد رونالد طريقة لإنهاء الأمر بطعنة واحدة. سيدَّعي أنه فعل ذلك دفاعًا عن نفسه، وهكذا سينجو بفعلته.

لا تتعلق المسألة بما إن كان كونر يستطيع هزيمته في قتال أم لا. قد يستغل كونر سلاح رونالد ضده، وقد يغلبه قبل أن تُتاح له الفرصة لاستخدامه. المسألة هي كالتالي: هل يقبل كونر خوض معركة لا بد أن تنتهي بموت أحدهما؟ قد تكون خصال كونر السيئة كثيرة، لكنه ليس قاتلًا، لهذا يتمالك أعصابه، ويتظاهر بعدم الاكتراث.

إن كونر حديث عهد بهذا المضمار. يحتج المقاتل الذي بداخله، لكن هناك جانبًا منه يزداد قوة، ويستمتع بممارسة هذه السلطة الهادئة. وهي حقًّا سلطة، لأن رونالد يتصرف كما يريده كونر وريسا بالضبط. يراه كونر يقدِّم حلواه إلى ريسا في تلك الليلة كاعتذار. لا تقبلها ريسا بالطبع، لكن ذلك لا يغير حقيقة أنه عرض الحلوى. يبدو الأمر وكأن رونالد يظن أن التظاهر بالندم قد يمحو اعتداءه عليها. لا يفعل ذلك لأنه آسف حقًّا لما فعل، بل لأن التلطف في معاملتها يخدم مصالحه الآن. لا يدري رونالد أن كونر وريسا يقودانه بزمام خفي. لكن كونر يدرك أن رونالد، عاجلًا أو آجلًا، سيلحظ هذا الزمام.

***

الجزء الرابع

وجهات

فيما يلي رد من شركة إيباي eBay، يتعلق بمحاولة بائع عرض روحه للبيع بمزاد عبر الإنترنت في عام 2001.

أشكرك على بذل بعض من وقتك لمراسلة إيباي بتساؤلاتك. يسعدني أن أكون ذا عون لك.

إن لم يكن للروح وجود، فإن إيباي لن تسمح بعرضها للبيع بالمزاد، لأنه لن يكون هناك شيء للبيع. وإن كان للروح وجود فإننا، وفقًا لسياسات إيباي المتعلقة بأعضاء الجسد البشري وبقاياه، لن نسمح بعرض الروح البشرية للبيع بالمزاد، إذ ستُعَد الروح من بقايا الجسد البشري. وعلى الرغم من أن صفحة سياسات الشركة لا تنص على ذلك على وجه التحديد، فإن عرض الأرواح البشرية للبيع عبر إيباي ليس مسموحًا به. لهذا أزيل طلبك كما ينبغي، ولن يُعاد إلى العرض. رجاءً لا تدرج هذا الغرض بموقعنا مرة أخرى مستقبلًا.

يمكنك الاطلاع على سياساتنا عبر الرابط التالي:

http://pages.ebay.com/help/policies/remains.html.

يسرني أن أقدم لك العون. أشكرك على اختيارك إيباي.

26. المسترهِن

ورث المسترهِن متجر الرهونات عن أخيه الذي تُوفي إثر أزمة قلبية. لم يرد الاحتفاظ بالمتجر، لكنه كان عاطلًا عن العمل عندما ورثه، لهذا قرر أن يديره حتى يجد عملًا أفضل. حدث ذلك قبل عشرين عامًا. الآن يدرك أنه في سجن مدى الحياة.

ذات مساء، قبل موعد الإغلاق، يدخل المتجر فتى لا يشبه زبائنه المعتادين. يأتي الكثيرون إلى متجر الرهونات، عندما يتعثر حظهم، لمقايضة القليل من النقود الفورية بأي شيء يملكونه، من أجهزة التلفاز إلى الموروثات العائلية. يفعل البعض ذلك من أجل المخدرات، والبعض الآخر تدفعه لذلك أسباب أكثر مشروعية. في كلتا الحالتين، يقوم عمل المسترهِن على بؤس الآخرين، لكن هذا لم يعد يزعجه. لقد اعتاده.

بالطبع يأتيه صبية يأملون في إبرام صفقة حول أغراض لا يستردونها أبدًا، لكن هذا الفتى مختلف، هيئته توحي بذلك. يبدو حسن المظهر بالمقارنة مع الفتية الذين عادة ما يراهم في متجره. يسير بخفة وتؤدة، ويبدو الرقي والتهذيب في سلوكه، كما لو أنه قد عاش حياته أميرًا، والآن يتظاهر بأنه صعلوك. يرتدي سترة منتفخة بيضاء، لكنها متسخة قليلًا. ربما هو حقًا صعلوك.

هناك تلفاز على منضدة البيع يعرض مباراة كرة قدم، لكن المسترهِن لم يعد يتابعها. عيناه على التلفاز، لكن انتباهه مع ذلك الفتى الذي يتجول في المتجر، وينظر إلى المعروضات وكأنه قد يشتري شيئًا. وبعد بضع دقائق، يقترب الفتى من منضدة البيع.

يعيره المسترهِن اهتمامه سائلًا: «كيف يمكنني أن أساعدك؟».

- هذا متجر رهونات، أليس كذلك؟

- ألم ترَ اللافتة قبل أن تدخل؟

- هذا يعني أنك ترهن الأغراض مقابل المال، صحيح؟

يتنهد المسترهِن. إنه فتى عادي آخر، ربما هو فقط أكثر سذاجة من باقي الفتية، الذين يأتون إلى هنا لرهن ما يملكونه من بطاقات كرة القاعدة أو ما شابه، وعادة ما يريدون المال من أجل السجائر أو الكحول، أو شيء آخر يخفونه عن آبائهم. رغم ذلك، لا يبدو هذا الفتى من ذلك النوع.

يخبر الفتى: «نحن **نقرِض** المال مقابل أي غرض قيِّم كضمان، ولا نتعامل مع القاصرين. هنا يمكنك الشراء لا الرهن، لهذا خذ بطاقات كرة القاعدة خاصتك وارحل من هنا».

- مَن قال إن بحوزتي بطاقات كرة القاعدة؟

يدخِل الفتى يده في جيبه، ويخرِج سوارًا من الألماس والذهب. تكاد عينا المسترهِن تقفزان من محجريهما حينما يتدلى السوار من أصابع الفتى، ثم يضحك.

- ماذا فعلت؟ هل سرقت هذا من أمك يا فتى؟

يظل الفتى ثابت الجأش، يقول: «كم ستعطيني مقابله؟».

- ماذا عن ركلة خارج المتجر؟

لا يبدو الفتى خائفًا أو خائب الأمل. يضع السوار على منضدة البيع الخشبية البالية باللياقة الأميرية نفسها.

- ما رأيك في أن تعيد هذا الشيء إلى مكانه وتعود إلى المنزل؟

- أنا مُفكَّك.

- ماذا؟

- لقد سمعتني.

يندهش المسترهِن للكثير من الأسباب. أولًا، لا يعترف المُفكَّكون الهاربون من التفكيك الذين يأتون إلى هذا المتجر بهذا أبدًا. ثانيًا، دائمًا ما يبدون يائسين وغاضبين، وأفضل ما يعرضونه للبيع رديء. لا يكونون بهذا الهدوء، ولا يبدون بهذه ... الملائكية.

- هل أنت مُفكَّك؟

يومئ الفتى، يقول: «هذا السوار مسروق من مكان بعيد عن هنا».

لا يقر المُفكِّكون بأن أغراضهم مسروقة أيضًا. يختلق المراهقون الآخرون قصصًا مسهبة حول هوياتهم، ولماذا اضطُروا إلى الرهن. يستمع المسترهِن إلى قصصهم ليتسلى. يطردهم فقط إن رأى القصة جيدة، ويهاتف الشرطة لتلقي القبض عليهم إن لم تعجبه. لا يختلق هذا الفتى قصة، بل يقول الحقيقة. لا يعلم المسترهِن كيف يواجه الحقيقة.

يقول الفتى: «إذًا هل أنت مهتم؟».

يهز المسترهِن كتفيه يتظاهر بأنه لا يكترث للأمر، ويقول: «من تكون لا يعنيني، وكما قلت، أنا لا أتعامل مع القاصرين».

- لكل قاعدة استثناء.

يفكر المسترهِن في أمر الفتى، يفكر في السوار، ثم ينظر إلى الباب ليتحقق من ألا أحد قادم.

- قل ما عندك.

- أريد خمسمائة دولار نقدًا. الآن. ثم سأغادر كأننا لم نتقابل قط، ولتحتفظ بالسوار.

يضع المسترهِن قناع الوجه الجامد بمهارة ويقول: «هل تمزح معي؟ قطعة الخردة هذه؟ المطلية بالذهب، المرصعة بالزركون لا الألماس، ذات الصناعة السيئة؟ سأعطيك مائة دولار فقط لا غير».

لا يحيد نظر الفتى عن المسترهِن، يقول: «أنت تكذب».

لا شك أن المسترهِن يكذب، لكنه ينزعج من الاتهام.

- ماذا لو سلمتك إلى ضباط شرطة الأحداث الآن؟

يمد الفتى يده ليأخذ السوار عن المنضدة، ويقول: «تستطيع فعل ذلك، لكن عندئذ ستحصل الشرطة على هذا، لا أنت».

يُمسِّد المسترهِن لحيته. ربما هذا الفتى ليس ساذجًا كما يبدو.

يقول الفتى: «لو كان قطعة خردة لما عرضت مائة دولار، لم تكن لتعرض أي شيء».

ينظر إلى السوار الذي يتدلى من يده ويضيف: «لا أدري حقًا كم تبلغ قيمة شيء كهذا، لكنني واثق من أنه يساوي الآلاف. كل ما أطلبه هو خمسمائة دولار. هذا يعني أنه مهما تكن قيمته، فإنك ستبرم صفقة رابحة».

يختفي قناع الجمود الذي وضعه المسترهِن، لا يستطيع أن يكف عن التحديق إلى السوار، ويبذل وسعه كي لا يسيل لعابه من أجله. إنه يعلم قيمة هذا الشيء جيدًا، أو على الأقل يمكنه تخمينها. يعلم أين يمكنه أن يبيعه تاجر مسروقات مقابل خمسة أضعاف ما يطلبه الفتى. سيكفي ذلك ليصطحب زوجته في عطلة طويلة كما أرادت دائمًا، وهكذا سيحظيان ببعض التغيير.

- مائتان وخمسون دولارًا. هذا عرضي الأخير.

- خمسمائة دولار. أمامك ثلاث ثوانٍ، ثم سأرحل. واحد... اثنان...

- اتفقنا.

يتنهد المسترهِن كما لو أنه قد هُزم. يقول: «أنت مساوم صعب المراس يا فتى».

هكذا تُدار الأمور. اجعل الفتى يعتقد أنه ربح في حين أنه تعرض للسرقة! يمد المسترهِن يده ليأخذ السوار، لكن الفتى يبعده عن متناول يده.

- المال أولًا.

- الخزنة في الغرفة الخلفية. سأعود بعد قليل.

- سآتي معك.

يسمح المسترهِن للفتى بالمجيء معه. بالطبع لا يثق الفتى به. لو وثق بالآخرين لكان قد فُكِّك بالفعل. في الغرفة الخلفية، يحرص المسترهِن على ألا يرى الفتى، الذي يقف خلفه، شفرة الخزنة. حالما يفتح المسترهِن الباب يضرب رأسه شيء صلب ثقيل. تتشوش الأفكار في ذهنه، يغيب عن الوعي، ويصطدم بالأرض.

يعود المسترهِن إلى وعيه في وقت لاحق. يعاني الصداع، ويذكر أنه وقع خطأ ما. يلزمه بضع لحظات ليستجمع قواه ويتذكر ما حدث بالضبط. لقد احتال عليه ذلك الوحش الصغير! جعله يفتح الخزنة، وفور أن فتحها ضربه ليفقده الوعي، وسرق كل ما في الخزنة.

الخزنة مفتوحة بالفعل، لكنها ليست فارغة تمامًا. بداخلها السوار، يزداد ذهبه وألماسه ألقًا وسط قباحة الخزنة الفولاذية الرمادية الفارغة. كم من المال كان داخل الخزنة؟ ألف وخمسمائة دولار على الأكثر. لا تقل قيمة هذا السوار عن ثلاثة أضعاف ذلك المبلغ. لا تزال صفقة رابحة، والفتى يدرك ذلك.

يدلّك المسترهِن تورمًا برأسه الذي يؤلمه. إنه غاضب من الفتى، لكن يعجبه ذلك النبل الذي نفذ به جريمته. لو كان بهذا الذكاء، وهذا النبل، وأبدى تلك الشجاعة عندما كان يافعًا، ربما ما انتهى به الحال إلى أن يصبح محض مسترهِن.

***

27. كونر

في الصباح التالي لواقعة دورة المياه، يوقظهم الجنود المنهَكون قبل الفجر: «ليستيقظ الجميع! الآن! أسرعوا! أسرعوا!».

إنهم صاخبون ومتوترون، وأول ما يلحظه كونر هو أن أقفال الأمان في أسلحتهم مفتوحة. ينهض كونر، لا يزال لم يفق تمامًا، ويبحث عن ريسا. يرى جنديين منهَكين يقودانها نحو باب ضخم ذي مصراعين كان دائمًا مقفلًا، والآن قفله مفتوح.

- اتركوا أشياءكم! تحركوا! أسرعوا! أسرعوا!

عن يمينه، يدفع فتى حاد المزاج جنديًّا منهَكًا لأنه نزع عنه غطاءه. يضرب الجندي المنهَك كتف الفتى بعجز بندقيته، لا ليؤذيه، بل ليفهم الفتى وسائر المراهقين أنهم جادون. يجثو الفتى ممسكًا بكتفه، ويطلق السباب، أما الجندي المنهَك فيذهب ليقود الآخرين. يبدو الفتى راغبًا في الشجار رغم ألمه. عندما يمر كونر به يمسك بذراعه ليساعده على الوقوف.

يقول كونر: «اهدأ. لا تزِد الأمر سوءًا».

يتخلص الفتى من قبضة كونر، يقول: «ابتعد عني! لا أريد مساعدتك الكريهة».

ثم يندفع مبتعدًا عن كونر. يتساءل كونر هازًّا رأسه هل اعتاد أن يكون بتلك العدوانية؟

يرى أمامه الباب ذي المصراعين قد انفتح، ليكشف عن غرفة أخرى بالمستودع لم يرَها المُفكَّكون من قبل. تملأ هذه الغرفة حاويات تعبئة جوية صُمِّمت، شكلًا ومتانة، لنقل البضائع عن طريق الشحن الجوي. يدرك كونر

في الحال الغرض منها، ولماذا حشدوه والآخرين في مستودع بالقرب من أحد المطارات. سيذهبون إلى وجهتهم، أيًّا كانت، كبضائع مشحونة جوًّا.

- الفتيات إلى اليسار، والفتية إلى اليمين. أسرعوا! أسرعوا!

يتذمر البعض، لكن لا يوجد من يرفض الانقياد. يتساءل كونر من منهم يدرك ما يحدث هنا.

- أربعة في كل حاوية! الفتية وحدهم والفتيات وحدهن. أسرعوا! أسرعوا!

يبدأ الجميع يتدافعون لينضموا إلى رفقاء السفر المفضَّلين لديهم، لكن الجنود المنهَكين لا يملكون صبرًا أو وقتًا لذلك. لهذا يكوِّنون مجموعات من أربعة كيفما اتُّفق، ويدفعونهم نحو الحاويات.

عندئذ يلحظ كونر كم هو قريب من رونالد. ليس هذا من قبيل المصادفة. لقد اقترب رونالد منه عمدًا. يستطيع كونر تصور ما سيكون عليه الوضع، ظلمة حالكة في مساحة شديدة الضيق. إن شارك رونالد أحدها فسيقتله قبل أن يقلعوا.

يحاول كونر أن يبتعد، لكن جنديًّا منهَكًا يجمعه مع رونالد واثنين من معاونيه.

- أنتم الأربعة إلى ذلك الصندوق هناك!

يحاول كونر أن يسيطر على ذعره حتى لا يراه رونالد. لا بد أن رونالد الآن يخفي سلاحه معه. كان يجب على كونر أن يجهز سلاحه الخاص. كان يجب عليه أن يتجهز لمواجهة مصيرية حتمية، لكنه لم يفعل، وخياراته المتاحة الآن محدودة.

لا يملك كونر الوقت ليتمعن في الأمر، لهذا يدع حدسه يقوده وينصاع لغرائزه القتالية. يتجه نحو أحد تابعي رونالد، ويلكم وجهه بقوة تكفي لتدميه، وقد تكسر أنفه. يدور الفتى حول نفسه من شدة اللكمة، وقبل أن يتمكن من أن يشن هجومًا معاكسًا على كونر، يجذب جندي منهَك كونر ويدفعه نحو الحائط الخرساني. لا يدرك الجندي المنهَك أنه فعل ما أراده كونر *بالضبط*.

يثبِّت الجندي المنهَك كونر إلى الحائط ببندقيته، ويقول: «لقد اخترت اليوم الخطأ لفعل ذلك يا فتى».

- ما الذي ستفعله؟ ستقتلني؟ ظننت أنكم تحاولون إنقاذنا.

يتوقف الجندي المنهَك ليعيد النظر فيما يفعل.

يصيح جندي منهَك آخر قائلًا: «دعك منه! علينا شحنهم».

ثم يجذب فتى آخر لينضم إلى رونالد ومعاونيه، ويوجههم نحو واحدة من الحاويات. لا يبالي أحد بأنف الفتى النازف.

يقول الجندي المنهَك الذي يثبِّت كونر إلى الحائط ببندقيته هازئًا: «لنضعك داخل أحد الأقفاص ليتولى أمرك غيرنا».

يقول كونر: «جورباك رائعان».

يقحمون كونر في حاوية طولها أربعة أقدام وعرضها ثمانية أقدام، بداخلها ثلاثة فتية ينتظرون رابعهم. تُغلَق الحاوية قبل أن يتمكن كونر من أن يرى من بالداخل معه. لا بأس بذلك ما دام رونالد ليس هنا.

يقول فتى أخن: «سنموت جميعًا هنا».

ثم يستنشق مخاطه استنشاقًا لا يزيل انسداد أنفه. يعرف كونر هذا الفتى من مخاطه. لا يتذكر اسمه بالضبط، إذ يدعوه الجميع الفم الأحمق، لأن المخاط يملأ أنفه دائمًا. اسمه المختصر إمبي. إنه الفتى الذي يلح في قراءة كتاب القصص المصورة نفسه، لكنه لا يستطيع فعل ذلك هنا.

يقول كونر: «لا تقل ذلك. لو أراد الجنود المنهَكون قتلنا لفعلوا ذلك قبل وقت طويل».

رائحة نفَس الفم الأحمق كريهة وتملأ الحاوية كلها.

يقول: «ربما اكتُشف أمرهم. ربما ضباط شرطة الأحداث في طريقهم إلى هنا، والطريقة الوحيدة لإنقاذ أنفسهم هي تدمير الأدلة!».

يضيق كونر ذرعًا بالشكائين. يذكره ذلك بأخيه الصغير، الذي فضَّل والداه الإبقاء على حياته.

يقول: «اصمت يا إمبي وإلا أقسم إنني سأنزع جوربي، وسأحشو به فمك كريه الرائحة، لتُجبَر على أن تجد طريقة تمكِّنك من التنفس عبر أنفك!».

يسمع صوتًا يأتي من أمامه مباشرة يقول: «أخبرني إن احتجت إلى جورب إضافي. مرحبًا يا كونر. أنا هايدن».

- مرحبًا هايدن.

يمد كونر يده، يجد حذاء هايدن فيضغطه، كأقرب ما يكون إلى تحية في هذا الظلام الخانق.

يقول: «إذًا من المحظوظ رقم أربعة؟».

لا جواب. يضيف: «يبدو أننا نسافر مع أحد الممثلين الصامتين».

بعد وقفة طويلة يسمع كونر صوتًا عميقًا به لكنة يقول: «دييجو».

يقول هايدن: «لا يتحدث دييجو كثيرًا».

- هذا واضح.

ينتظرون في صمت، يتخلله استنشاق الفم الأحمق مخاطه.

يتمتم إمبي قائلًا: «أحتاج إلى الذهاب إلى دورة المياه».

يقول هايدن مقلِّدًا الأمهات: «كان يجب عليك أخذ هذا بعين الاعتبار قبل أن تغادر. اذهب إلى دورة المياه قبل الصعود إلى حاوية الشحن. كم مرة يجب علينا أن نخبرك بذلك؟».

يسمعون حركة بالخارج، ثم يشعرون بالحاوية تتحرك.

يشتكي إمبي قائلًا: «أنا لا يعجبني ذلك».

يقول هايدن: «نحن نُنقل».

يقول كونر: «على الأرجح أنها رافعات شوكية». لا بد أن الجنود المنهَكين غادروا منذ وقت طويل. ما الذي قاله الجندي المنهَك؟ *لنضعك داخل أحد الأقفاص ليتولى أمرك غيرنا.*

على الأرجح أن من استُؤجر لشحنهم لا فكرة لديه عما بداخل الحاويات. قريبًا سيصبحون على متن إحدى الطائرات قاصدين وجهة مجهولة. عندئذ يفكر كونر في عائلته ورحلتهم إلى جزر الباهاما، التي خططوا لأخذها فور أن يُفكَّك كونر. يتساءل: هل أخذوا تلك العطلة رغم أن كونر هرب من التفكيك؟ بالطبع فعلوا. لقد خططوا لأخذها حال أن يُفكَّك. لمَ قد يمنعهم هروبه؟ ألن يكون مضحكًا إن اتضح أنهم يُشحَنون إلى جزر الباهاما أيضًا؟

يقول الفم الأحمق: «سنختنق! أنا متأكد!».

يقول كونر: «هلا تصمت؟ أنا واثق من أن الهواء هنا يكفينا».

- كيف يمكنك أن تجزم بذلك؟ أنا أتنفس بمشقة بالفعل. ثم إنني أعاني الربو. قد أصاب بنوبة ربو هنا وأموت!

يقول كونر: «جيد. سينقص مستهلكو الهواء هنا واحدًا».

يخرس إمبي، فيشعر كونر بالسوء لقوله ذلك.

يقول: «لن يموت أحد. اهدأ».

يقول هايدن: «على الأقل الموت أفضل من التفكيك، أم أنه ليس كذلك؟ لنجرِ استطلاعًا للرأي. هل تفضّل أن تموت أم أن تُفكَّك؟».

يقول كونر: «لا تطرح مثل هذه الأسئلة. لا أريد أن أفكر في الأمرين».

في موضع خارج حاويتهم الصغيرة، يسمع كونر صوت باب معدني يُغلَق، وتشعر قدماه بالذبذبات عندما تبدأ الطائرة تقطع المسار المؤدي إلى مدرج الإقلاع. يترقب كونر ما سيحدث. تدور المحركات، يشعر بذبذباتها، ثم يُدفع إلى الخلف حينما تزداد سرعة الطائرة. يصطدم هايدن به فينزاح قليلًا، ليستوي هايدن في جلسة مريحة.

يصرخ إمبي قائلًا: «ما الذي يحدث؟ ما الذي يحدث؟».

- لا شيء. إن الطائرة تقلع بنا.

- ماذا! نحن على متن **طائرة**؟

يشيح كونر بنظره في ظلام لا يُرى فيه شيء.

هذا الصندوق كالكفن. هذا الصندوق كالرحم. لا يمضي الزمن هنا، فيما يبدو، كما يمضي بالخارج، وتملأ المطبات الجوية المفاجئة هذه المساحة المظلمة بتوتر دائم.

حالما أصبحوا في الهواء توقف الفتية عن الحديث فترة طويلة، نصف ساعة أو ساعة، يصعب الجزم بذلك. جميعهم عالقون في شبكة أفكارهم المضطربة. تصطدم الطائرة بمطب جوي، ويهتز كل ما حولهم مقعقعًا. يتساءل كونر إن كانت توجد حاويات فوقهم، أو أسفلهم، أو على جانبيهم بداخلها سائر المراهقين. إن كانوا هناك فإن أصواتهم لا تصل إليه. يشعر كونر حيث يجلس أن الكون يخلو من كل شيء سوى أربعتهم. يبول إمبي في صمت. يدرك كونر ذلك لأنه يستطيع شم الرائحة، يستطيعون جميعهم شمها، لكن لا أحد يقول أي شيء. يمكن لأي منهم أن يُضطر إلى فعل الشيء نفسه بالسهولة نفسها في خلال هذه الرحلة، التي قد تطول.

أخيرًا، بعد دهر، يتحدث أكثرهم هدوءًا، يقول دييجو: «أُفكَّك. أفضِّل أن أُفكَّك».

على الرغم من أن هايدن قد طرح سؤاله قبل مدة طويلة، فإن كونر يدرك في الحال ما الذي يشير إليه. *هل تفضِّل أن تموت أم أن تُفكَّك*؟ يبدو الأمر كما لو أن السؤال ظل عالقًا في ظلام هذا الصندوق الضيق طوال هذا الوقت، في انتظار جواب.

يقول إمبي: «لا أفضِّل ذلك. على الأقل إن مت فستذهب إلى الجنة».

يفكر كونر: *الجنة*؟ على الأرجح أنهم سيذهبون إلى المكان الآخر، إن لم يردهم آباؤهم هنا فمن سيريدهم في الجنة؟

يسأل دييجو إمبي: «ما الذي يجعلك تظن أن المُفكَّكين لا يذهبون إلى الجنة؟».

- لأن المُفكَّكين لا يموتون حقًّا. يظلون أحياء... تقريبًا. أقصد يجب أن تُنقل جميع أعضائنا إلى الآخرين، أليس كذلك؟ هذا ما يفرضه القانون.

ثم يطرح هايدن السؤال. ليس سؤالًا عاديًّا، بل *السؤال* الذي يحظر طرحه بين من اتُّخذ قرار تفكيكهم. إنه ما يفكر فيه الجميع، ولا يجرؤ أحد على النطق به.

يقول هايدن: «إذًا إن ظل كل عضو من أعضائك حيًّا، لكن بداخل شخص آخر، هل تُعَد حيًّا أم تُعَد ميتًا؟».

ها هو هايدن يمرر يده فوق اللهب مرة أخرى. قريبًا بما يكفي ليشعر بحرارتها فقط، لا ليحترق. لكنه لا يحرك يده فقط الآن، بل أيدي الجميع. هذا يزعج كونر.

يقول كونر: «يبدد التحدث الأكسجين. لنتفق على أن التفكيك مريع، ولنترك الأمر عند هذا الحد».

يصمت الجميع بضع دقائق، ثم يتحدث إمبي.

يقول: «لا أعتقد أن التفكيك سيئ. أنا فقط لا أريده أن يحدث لي».

يريد كونر أن يتجاهله لكنه لا يستطيع. لا يحتمل كونر أن يؤيد أحد المُفكَّكين التفكيك: «إذًا الأمر جيد عندما يحدث لنا وسيئ عندما يحدث لك؟».

- لم أقل ذلك.

- بل فعلت.

يقول هايدن: «أووه. المتعة قادمة».

يقول إمبي: «إنهم يقولون إنه ليس مؤلمًا»، كما لو أن في ذلك أي عزاء.

يقول كونر: «حقًّا؟ حسنًا، لم لا تذهب لتسأل أعضاء همفري دنفي كم كان الأمر مؤلمًا؟».

يتحول الاسم إلى صقيع حولهم، تزداد الاهتزازات والقعقعة التي يسبِّبها الاضطراب الجوي حدة.

يقول دييجو: «إذًا... هل سمعتم بهذه الحكاية أيضًا؟».

يقول إمبي: «لا يعني وجود حكايات كتلك أن التفكيك بهذا السوء. إنه يساعد الناس».

يقول دييجو: «تتحدث كأنك عُشر».

يشعر كونر بأن في هذه الكلمات إهانة له. يقول: «لا، إنه ليس كذلك. لأنني أعرف عُشرًا. ربما كانت أفكاره غريبة بعض الشيء، لكنه لم يكن غبيًّا».

عندما يذكر ليف تجتاحه موجة من اليأس. لا يقاومها كونر، بل يدعها تغمره، ثم تنحسر. إنه لا يعرف عُشرًا. لقد عرف عُشرًا لا بد أنه قد لقي حتفه.

يقول إمبي: «هل تنعتني بالغباء؟».

- هذا ما فعلته للتو.

يضحك هايدن ويقول: «إن الفم الأحمق على حق. التفكيك يساعد الناس حقًّا. لولا التفكيك لعاد الفتية ذوو الأوشام مجددًا. ألن يكون ذلك مريعًا؟».

يضحك دييجو ضحكة خافتة، لكن كونر لا يجد ذلك مضحكًا على الإطلاق.

- إمبي، لم لا تقدم لنا جميعًا معروفًا وتستخدم فمك في التنفس لا التحدث حتى نصل، أو تسقط بنا الطائرة، أو أيًّا كان؟

يقول إمبي: «قد تظن أنني غبي، لكن هناك سببًا وجيهًا لرأيي. عندما كنت صغيرًا، شُخِّصت إصابتي بالتليف الرئوي. كنت سأموت لأن رئتيَّ أوشكتا على التوقف عن العمل. لهذا أزالوا رئتيَّ المحتضرتين، وزرعوا رئة مُفكَّك بدلًا منهما. السبب الوحيد في بقائي على قيد الحياة هو أن ذلك الفتى فُكِّك».

يقول كونر: «إذًا هل حياتك أكثر أهمية من حياته؟».

- كان قد فُكِّك بالفعل. أنا لم أتسبب في أن يحدث له ذلك. لو لم أحصل على تلك الرئة لحصل عليها شخص آخر.

يغضب كونر فيعلو صوته على الرغم من أن إمبي يبعد عنه قدمين فقط: «لولا التفكيك لقل عدد الجراحين وازداد عدد الأطباء. لولا التفكيك لعادوا إلى محاولة علاج الأمراض بدلًا من استبدال أعضاء شخص بأعضاء آخر».

يعلو صوت الفم الأحمق في حدة تفاجئ كونر قائلًا: «انتظر حتى تصبح من يُحتضر لترى حينها ماذا سيكون رأيك».

يصيح كونر قائلًا: «أفضِّل الموت على أن أحصل على قطعة من مُفكَّك!».

يحاول الفم الأحمق أن يكمل صياحه، لكن نوبة سعال تصيبه وتستمر دقيقة كاملة. يقلق كونر لأن سعاله يزداد سوءًا وكأنه سيسعل رئته المزروعة.

يسأله دييجو: «هل أنت بخير؟».

يقول إمبي محاوِلًا السيطرة على سعاله: «أجل. كما قلت، هذه الرئة تعاني الربو. كانت أفضل ما بوسعنا تحمل كلفته».

تنتهي نوبة سعاله، ولم يعد هناك داعٍ لقول شيء سوى التالي.

يسأله هايدن: «إن احتمل والداك كل ذلك العناء فلمَ يُفكِّكانك؟».

يصمت إمبي بضع لحظات. يبدو أن هذا الأمر يشق عليه أكثر من جل المُفكَّكين.

يقول إمبي أخيرًا: «لم يوقِّع **والداي** على الأمر. تُوفي والدي عندما كنت صغيرًا، وتُوفيت أمي قبل شهرين، لهذا أصبحت تحت وصاية عمتي. تركت أمي لي بعض المال، لكن عمتي لديها ثلاثة أبناء عليها أن تدبر نفقاتهم الجامعية، لهذا...».

ليس في حاجة إلى أن يكمل، فقد فهموا الأمر.

يقول دييجو: «هذا مزرٍ».

يقول كونر الذي تحول غضبه من إمبي إلى عمة إمبي: «أجل».

يقول هايدن: «دائمًا ما يدور الأمر حول المال. عندما انفصل والداي تنازعا حول المال حتى تبدد. ثم تنازعا حول الوصاية عليَّ. لهذا هربت قبل أن أتبدد أيضًا».

يعم الصمت مجددًا، لا يسمعون سوى أزيز المحرك وقعقعة الحاويات. الهواء رطب، ويشق عليهم التنفس. يتساءل كونر إن كان الجنود المنهَكون قد أخطؤوا في تقدير حجم الهواء هنا. *سنموت جميعًا هنا*. هذا ما قاله إمبي. يضرب كونر برأسه الجدار خلفه بشدة، يأمل أن يتخلص من الأفكار السلبية التي تتشبث بعقله. لا يُحبَّذ أن تنفرد بأفكارك في مكان كهذا. ربما لهذا السبب يلجأ هايدن إلى الحديث.

يقول هايدن: «لم يجِب عن سؤالي أحد. يبدو أن لا أحد يملك الشجاعة».

يسأله كونر: «أيهم تقصد؟ إنك تطلق الأسئلة كإطلاق الريح في عيد الشكر».

- كنت أسأل ما إن كان التفكيك يقتلك، أم يتركك على قيد الحياة بطريقة ما. هيا، لا شك أننا قد فكرنا في ذلك.

لا يقول إمبي شيئًا. يبدو أن السعال والحديث أتعباه. لا يكترث كونر بالجواب أيضًا.

يقول دييجو: «يتوقف الأمر على أين تصبح روحك بعد أن تُفكَّك».

عادة ما يتجاهل كونر محادثات كتلك لأنه يكترث بالماديات فقط، الأشياء التي يمكن رؤيتها، أو سماعها، أو لمسها. لطالما رأى الرب والروح وما إلى ذلك سرًّا مخفيًّا داخل صندوق أسود لا يستطيع أن يتفحصه، والابتعاد عنه أكثر سهولة. لكنه الآن بداخل ذلك الصندوق الأسود.

يسأله هايدن: «ما رأيك يا كونر؟ ماذا يحدث لروحك عندما تُفكَّك؟».

- من قال إنني أملك واحدة؟

- لنفترض أنك تملك روحًا لنكمل النقاش.

- من قال إنني أود خوض نقاش؟

- إلهي! فقط أعطه جوابًا يا رجل، وإلا فلن يدعك وشأنك.

يتململ كونر، لكنه لا يستطيع أن يتملص من هذا الصندوق: «كيف يمكنني أن أعرف ما الذي يحدث لها؟ ربما تتجزأ إلى قطع صغيرة مثل أجسادنا».

يقول دييجو: «لكن الروح ليست كذلك. إنها لا تتجزأ».

يقول هايدن: «إن كانت لا تتجزأ فربما تتمدد روح المُفكَّك، كنفَّاخة عملاقة تصل بين جميع أعضائه باختلاف أماكنها. هذا شاعري للغاية».

قد يجد هايدن هذا شاعريًا، لكن كونر يراه مخيفًا. يحاول أن يتصور نفسه قد رقَّت وتمددت حول العالم. يتخيل روحه شبكة تربط بين آلاف من تلقوا يديه، وعينيه، وقطع مخه، التي لم يعد أي منها تحت سيطرته، بل استحوذت عليها أجساد وإرادات الآخرين. هل يمكن أن يظل الوعي قائمًا في حالة كتلك؟ يتذكر سائق الشاحنة الذي أدى حيلة ورقة اللعب أمامه بيد مُفكَّك. هل ما زال الفتى، الذي امتلك تلك اليد سابقًا، يشعر بالرضا عند أداء تلك الحيلة؟ هل لا تزال روحه تامَّة، على نحو يتعذر تفسيره، رغم أن جسده قد بُعثر كأوراق اللعب؟ أم أنه قد مُزِّق فلم يعد له إدراك، أو جنة، أو جحيم، أو أي شيء أبدي؟ لا يدري كونر إن كان للروح وجود أم لا، لكنه يوقن أن الوعي موجود. إن كان كل جزء من المُفكَّك يظل حيًّا، فإن وعيه يجب أن يذهب إلى مكان ما، أليس كذلك؟ يلعن كونر هايدن في صمت لأنه جعله يفكر في ذلك، لكن هايدن لم ينتهِ بعد.

يقول هايدن: «استمعوا إلى ما سيثير أعصابكم. عرفت فتاة في بلدتي. عندما تتحدث يجذبك حديثها إلى الاستماع لما تقول، لكنني لا أدري إن كانت متزنة أم مضطربة عقليًا. كانت تعتقد أنه إن فُكِّك شخص بالفعل، فإن هذا يعني أنه لم يملك روحًا منذ البداية. قالت إن الرب يعلم من سيُفكَّك ولا يمنحه روحًا».

يبدي دييجو اعتراضه قائلًا: «لا يعجبني هذا التصور».

يكمل هايدن: «وضعت الفتاة تفسيرًا كاملًا للأمر وصدقته. كانت تعتقد أن المُفكَّكين مثل الأجنة».

يخرج إمبي عن صمته أخيرًا قائلًا: «انتظر لحظة. تملك الأجنة أرواحًا. تملك أرواحًا منذ لحظة تكونها. هذا ما ينص عليه القانون».

لا يرغب كونر في أن يخوض الأمر نفسه مع إمبي مجددًا، لكنه لا يستطيع منع نفسه: «ما ينص عليه القانون ليس بالضرورة صحيحًا».

- حسنًا، ما ينص عليه القانون ليس بالضرورة خطأ أيضًا. يصدر القانون بعد أن يمعن الكثير من الناس النظر فيه ويجدونه منطقيًا.

يقول دييجو: «ما يقوله الفم الأحمق منطقي».

ربما يكون كذلك، لكن كونر لا يراه مقنعًا بما يكفي: «كيف يمكنك أن تضع قوانين حول أشياء لا يدركها أحد؟».

يقول هايدن: «هذا ما يفعلونه طوال الوقت. ما القوانين إلا تخمينات مدروسة حول الصواب والخطأ».

يقول إمبي: «وأنا أتفق مع ما ينص عليه القانون».

يسأله هايدن: «لكن إن تعطل القانون، فهل ستظل تؤمن بما ينص عليه؟ شاركنا رأيك الشخصي يا إمبي. أرِنا أن تلك الجمجمة تحتوي على شيء آخر غير المخاط».

يقول كونر: «لا تضِع وقتك. لا يوجد شيء آخر».

يقول هايدن: «امنح صديقنا ذا الأنف المحتقن فرصة».

ينتظرون. يتغير صوت المحركات. يشعر كونر أن الطائرة تهبط ببطء، ويتساءل إن كان الباقون يشعرون بذلك أيضًا.

يقول إمبي: «الأجنة... إنهم يرضعون أصابعهم في بعض الأحيان، أليس كذلك؟ ويركلون. ربما يُعَدون مجموعة خلايا أو ما شابه قبل حدوث ذلك فقط، لكنهم يستطيعون رضع أصابعهم والركل حالما يملكون روحًا».

يقول هايدن: «أحسنت! أعطيت رأيًا! كنت أعلم أنك تستطيع فعل ذلك».

يشعر كونر بالدوار. هل سبب ذلك ميل الطائرة جانبًا أم نقص الأكسجين؟

- كونر، تقبل الأمر. عثر إمبي على رأي في مكان ما في مادته الرمادية المشكوك فيها. حان دورك لتعطي رأيك.

يتنهد كونر، لم يعد لديه طاقة للجدال. يتذكر الرضيعة التي تولى أمرها هو وريسا فترة وجيزة: «إن كان هناك ما يُدعى روحًا -وأنا لا أقول إنه يوجد- فإن الطفل يملكها عندما يأتي إلى هذا العالم، لكنه قبل ذلك ليس سوى جزء آخر من الأم فقط».

يقول إمبي: «لا، إنه ليس كذلك!».

- لقد أراد رأيي فأدليت به.

- لكنه خطأ!

- أترى يا هايدن؟ أترى ما بدأته؟

يقول هايدن بحماس: «أجل! يبدو أننا على وشك أن نبدأ حرب جوهر أخرى مصغرة. من المؤسف أن الظلام هنا لا يمكّننا من مشاهدتها».

يقول دييجو: «إن أردتم رأيي فكلاكما مخطئ. أرى أن الأمر لا علاقة له بكل ذلك. إنه يتعلق بالحب».

يقول هايدن: «يا للهول! دييجو الرومانسي قادم. سأنتقل إلى الطرف الآخر من الحاوية».

- لا، أنا جاد. يظل المرء بلا روح حتى يُحَب. إن كانت الأم تحب طفلها -**تريد** طفلها- فإنه يملك روحًا منذ اللحظة التي تعلم فيها الأم بحملها. عندما يحبك أحدهم تحظى بروحك. نقطة!

يقول كونر: «حقًّا؟ ماذا عن الرضع المنقولين، وجميع أطفال ملاجئ الولايات؟».

- فليأملوا أن يحبهم أحد يومًا ما.

يستخف كونر بهذا القول، لكنه، رغمًا عنه، لا يستطيع تجاهله كليًّا. لا يستطيع تجاهل سائر ما سمعه اليوم. يفكر في والديه. هل أحباه؟ بالطبع أحباه عندما كان صغيرًا، لكن توقفهما عن حبه لا يعني أن روحه سُرقت منه، رغم أنه في بعض الأحيان شعر أن هذا ما حدث. أو على الأقل مات جزء منها عندما وقَّع والداه على أمر التفكيك.

يقول هايدن بصوته الساخر: «دييجو، إن هذا لطيف حقًّا. ربما يجدر بك أن تكتب بطاقات التهنئة».

- ربما يجدر بي أن أكتبها على وجهك.

يضحك هايدن.

يقول كونر: «أنت تسخر دائمًا من آراء الآخرين. لم لا تعطينا آراءك أبدًا؟».

يقول إمبي: «أجل».

- ودائمًا تتلاعب بمن حولك لتتسلى. حان دورك الآن **لتسلينا**.

يقول إمبي: «أجل».

يقول كونر: «إذًا أخبرنا. وفقًا **للعالم كما يراه هايدن**، متى نكون؟».

يصمت هايدن طويلًا، ثم يقول بصوت خافت مضطرب: «لا أدري».

يقول إمبي: «لا يُعَد هذا جوابًا».

يمد كونر يده ويمسك بذراع إمبي ليسكِته، لأن إمبي ليس محقًّا. لا يرى كونر وجه هايدن، لكنه يسمع الحقيقة في صوته. لم يكن هناك أي تهرب في

كلمات هايدن، بل صدق تام، بعيدًا عن مراوغات هايدن المعتادة. ربما كان هذا الجواب أول شيء صادق حقًّا سمعه كونر يقوله.

يقول كونر: «بل إنه جواب. ربما هو أفضل أجوبتنا. لو أقر المزيد من الناس بأنهم لا يعلمون لربما ما قامت حرب الجوهر أصلًا».

يشعرون باهتزازة مفاجئة أسفلهم. يشهق إمبي.

يقول كونر: «إنها عدة الهبوط».

- أجل، صحيح.

سيصلون في خلال خمس دقائق إلى هناك، أينما كان هناك. يحاول كونر أن يخمن المدة التي قضوها في الهواء. تسعون دقيقة؟ ساعتان؟ يستحيل أن يعرفوا إلى أين توجهت الطائرة، ومن الممكن أن يهبطوا في أي مكان. أو ربما كان إمبي محقًّا. ربما هذه الطائرة دون طيار، وسيلقون بها في المحيط ليتخلصوا من الأدلة. أو ماذا لو كان الأمر أكثر سوءًا من ذلك؟ ماذا لو... ماذا لو...

يقول إمبي: «ماذا لو كانت وجهتنا إلى أحد مخيمات الحصاد في نهاية المطاف؟». لا يطلب منه كونر أن يصمت هذه المرة لأنه يفكر في الشيء نفسه.

يقول دييجو: «إن كان هذا صحيحًا، فأنا أود أن تذهب أصابعي إلى نحات، ليشكِّل بهم شيئًا سينال الخلود».

يفكرون جميعًا في الأمر. يقول هايدن: «إن فُكِّكت أود أن تذهب عيناي إلى مصوِّر فوتوجرافي يصوِّر عارضات الأزياء الشهيرات. هذا ما أريد أن تراه هاتان العينان».

يقول كونر: «لتذهب شفتاي إلى نجم روك».

- ستذهب هاتان الساقان إلى الألعاب الأوليمبية بالتأكيد.

- لتذهب أذناي إلى قائد أوركسترا.

- لتذهب معدتي إلى ناقد أطعمة.

- لتذهب عضلتا ذراعيَّ الأماميتان إلى لاعب كمال أجسام.

- لا أتمنى أن يحصل أحد على جيوبي الأنفية.

يضحكون جميعًا حينما تلامس إطارات الطائرة الأرض.

***

28. ريسا

لا تعلم ريسا ماذا جرى في حاوية كونر. تفترض أنهم كفتية سيتحدثون عن أمور تهم الفتية. إنها لا تدري أن ما جرى في حاويته هو نفسه ما جرى في حاويتها، وفي كل حاوية أخرى على متن الطائرة تقريبًا، خوف، هواجس، أسئلة يندر أن تُطرح، وحكايات يندر أن تُروى. تختلف التفاصيل باختلاف الأشخاص بالطبع، لكن المضمون نفسه. لن يناقشوا هذه الأمور مرة أخرى. لن يقروا بأنهم ناقشوها مطلقًا، لكن بسببها تكونت بينهم روابط خفية. تعرفت ريسا إلى فتاة بدينة تنزع إلى البكاء، وفتاة حادة المزاج لأنها لم تحصل على النيكوتين منذ أسبوع، وفتاة تحت وصاية الولاية مثل ريسا، ضحية غير مقصودة لتخفيض الميزانية مثلها أيضًا. اسمها تينا. أخبرتها الأخريان باسميهما، لكنها لا تتذكر سوى تينا.

قالت تينا في وقت ما في أثناء الرحلة: «لقد عشنا الحياة نفسها. نحن كالتوأمين»، وعلى الرغم من أن تينا أمبر فإن ريسا تتفق معها. يواسيها أن تعلم أن هناك من يعيش الظروف نفسها، لكن يزعجها أن ترى أن حياتها ليست سوى واحدة من آلاف النسخ المكررة. تختلف وجوه مُفكّكي ملاجئ الولايات، لكن قصصهم تتشابه. ثم إنهم يحملون اللقب نفسه. تلعن ريسا في صمت من قرر أن يُسمّوا جميعًا وورد، كما لو أن وصمة كونهم كذلك ليست كافية.

تلامس الطائرة الأرض، وينتظرن.

تقول فتاة النيكوتين نافدة الصبر: «لمَ كل هذا التأخير؟ لا أطيق ذلك!».

تقول الفتاة البدينة: «ربما ينقلوننا إلى شاحنة، أو طائرة أخرى».

تقول ريسا: «ليس هذا ممكنًا. لا يوجد ما يكفي من الهواء هنا لرحلة أخرى».

تسمع صوتًا، يوجد شخص خارج الحاوية. تقول ريسا: «صمتًا! اسمعن».

هناك وقع أقدام. قرع. ثمة من يتحدث، لكن ريسا لا تستطيع تفسير ما يُقال، ثم يسحب أحدهم قفل باب الحاوية ويفتحه. يتسرب هواء ساخن جاف إلى الحاوية. يسطع خيط الضوء الرفيع الذي يصل إليهن من مخزن الطائرة، بعد ساعات من الظلام، كالشمس.

- هل الجميع بالداخل بخير؟

إنه صوت فتى لا جندي منهَك، تدرك ريسا ذلك في الحال.

تقول: «نحن بخير. هل يمكننا الخروج من هنا؟».

- ليس بعد. يجب أن نفتح باقي الحاويات أولًا ليستنشق الجميع بعض الهواء النقي.

يبدو الفتى في عمر ريسا، وربما يصغرها سنًّا. يرتدي قميصًا ضيقًا بلا أكمام بيج اللون وسروالًا كاكيًّا. إنه متعرق وبوجنتيه سُمرة. لا، ليست سُمرة، بل لفحتهما الشمس.

تسأله تينا: «أين نحن؟».

يقول الفتى: «في المقبرة».

ثم ينتقل إلى حاوية أخرى.

يُفتح باب الحاوية على مصراعيه بعد بضع دقائق، ويتحررن. تتطلع ريسا إلى مرافقات رحلتها. تختلف الفتيات الثلاث كثيرًا عما تتذكره عندما رأتهن أول مرة. عندما تتعرف إليهن في ظلمة حالكة يتغير انطباعها عنهن. الفتاة ممتلئة الجسد ليست بهذه البدانة. ليست تينا بهذا الطول. فتاة النيكوتين ليست قبيحة.

هناك مهبط يقود من مخزن الطائرة إلى الخارج. تنتظر ريسا دورها في صف طويل من المراهقين الذين يغادرون حاوياتهم. بدأت الشائعات تنتشر بالفعل. تلقي ريسا السمع، وتحاول أن تميِّز الحقيقة من الوهم.

- مات بعض الصبية.

- لا يمكن.

- سمعت أن نصف الصبية ماتوا.

- لا يمكن!

- انظر حولك يا أحمق! هل يبدو أن نصفنا قد مات؟

- هذا ما سمعت.

- مات الجميع في إحدى الحاويات.

- أجل! يقول أحدهم إنهم فزعوا وأكل بعضهم بعضًا كجماعة دونر[1].

- لا، لقد اختنقوا فقط.

- كيف علمت ذلك؟

- لأنني رأيتهم يا صاح، في الحاوية المجاورة لي. كان بها خمسة شباب بدلًا من أربعة. جميعهم اختنقوا.

تلتفت ريسا إلى الفتى الذي قال ذلك. تسأله: «هل هذا صحيح أم أنك تختلقه؟».

يخبرها وجه الفتى المضطرب بأنه صادق.

- لم أكن لأمزح في شيء كهذا.

تبحث ريسا عن كونر، لكنها لا تستطيع أن ترى سوى من حولها في الصف. تجري حسابًا سريعًا. كان هناك ستون فتى تقريبًا. اختنق خمسة منهم. احتمال أن يكون كونر أحدهم هو واحد إلى اثني عشر. لا، لقد قال الفتى الذي نظر داخل الحاوية إنه رأى بها *شبابًا*. احتمال أن يكون كونر أحدهم هو واحد إلى ست. هل كان ضمن آخر من دخلوا الحاويات؟ هل دُفع داخل إحدى الحاويات المكدَّسة؟ لم تلحظ ذلك. إن الارتباك الذي انتابها عندما أيقظوهم هذا الصباح، لم يمكِّنها من الانتباه لنفسها، أو لأي شخص آخر. *رجاءً يا إلهي، ليكن كونر سالمًا. ليكن كونر سالمًا.* كانت كلماتها الأخيرة له غاضبة. على الرغم من أنه أنقذها من رونالد، فإنها كانت حانقة عليه. لقد صرخت فيه قائلة: اخرج من هنا! لا تحتمل أن يموت ويكون هذا آخر ما قالته له. لا تحتمل أن يموت.

---

(1) جماعة من المستوطنين الأمريكيين، حاصرتهم الثلوج في نطاق جبال سييرا نيفادا في شتاء 1846-1847، ولجأ بعضهم إلى أكل لحوم البشر للبقاء على قيد الحياة. م

يصطدم رأسها بفتحة مخزن البضائع الواطئة في طريقها إلى الخارج.

يقول أحد الفتية المسؤولين: «انتبهي لرأسك».

تقول ريسا: «أجل، شكرًا».

يبتسم لها الفتى ابتسامة متكلفة. إنه يرتدي الزي العسكري نفسه، لكنه لا يمكن أن يكون بوف، لأنه نحيف جدًّا.

- من أين حصلتم على هذه الملابس؟

يقول الفتى: «إنها فائض الجيش. ملابس مسروقة من أجل أرواح مسروقة».

خارج المخزن، يسطع ضوء النهار، وتجتاح ريسا حرارة المنطقة اللاهبة. ينحدر المهبط إلى الأسفل، فتحدق إلى قدميها كي لا تتعثر. عندما تطأ الأرض، تجد عينيها قد تكيفتا مع الضوء بما يكفي لترى ما حولها. إن الطائرات في كل مكان. لا توجد علامة على وجود مطار. هناك طائرات فقط، صف تلو آخر، على مدى البصر. يتبع العديد من تلك الطائرات شركات طيران لم تعد قائمة. تلتفت لتنظر إلى الطائرة التي أوصلتهم إلى هنا. تحمل الطائرة شعار شركة فيديكس، لكنها في حالة سيئة. تبدو في طريقها إلى ساحة الخردة، تفكر ريسا: *أو إلى المقبرة*.

يتذمر فتى يقف بجوار ريسا قائلًا: «هذه حماقة. إن الطائرة ليست خفية. سيعلمون إلى أين ذهبت الطائرة بالضبط. سيتعقبوننا إلى هنا!».

تقول ريسا: «ألم تفهم؟ لقد أُخرجت هذه الطائرة من الخدمة. هكذا يقومون بالأمر. ينتظرون طائرة أُخرجت من الخدمة، ثم يحمّلونها بنا كالبضائع. كانت هذه الطائرة قادمة إلى هنا على أي حال. لن يتعقبها أحد».

ترقد الطائرات على أرض صلدة كستنائية اللون، وتبرز جبال حمراء في البعيد. إنهم في مكان ما بالجنوب الغربي.

هناك صف من المراحيض المتنقلة ينتظر أمامه حشد مضطرب. يحصي الفتية الذين يقودونهم عددهم، ويحاولون الحفاظ على النظام رغم الارتباك.

يحمل أحدهم مكبر صوت. يقول: «رجاءً، ابقوا أسفل جناح الطائرة إن كنتم لا تستخدمون المراحيض. لقد وصلتم إلى هنا سالمين، لا نريدكم أن تلقوا حتفكم إثر ضربة شمس».

الآن بعد أن غادر الجميع الطائرة، تلح ريسا في البحث عن كونر وسط الحشد حتى تجده أخيرًا. حمدًا للرب! تريد أن تذهب إليه، لكنها تتذكر أنهما أنهيا علاقتهما الغرامية الوهمية رسميًّا. هناك عشرات المراهقين يفصلون بينهما، لكن أعينهما تتلاقى، ويتبادلان إيماءة خفية. تقوم هذه الإيماءة بالحديث. تقول إن ما حدث بينهما بالأمس قد مضى، واليوم بداية جديدة.

ثم ترى رونالد هناك أيضًا. ينظر إليها ويبتسم. تقول تلك الابتسامة بعض الأشياء أيضًا. تشيح بوجهها، تتمنى لو كان في حاوية الاختناق. تنظر فيما إن كان يجب عليها أن تشعر بالذنب لتمنيها هذه الأمنية البغيضة، ثم تجد أنها لا تشعر بالذنب على الإطلاق.

تصل عربة جولف تمر بصفوف الطائرات، تثير غبارًا أحمر اللون في أعقابها. يقودها فتى بجانبه رجل يبدو عسكريًّا حقيقيًّا، لا فائضًا. يرتدي الرجل الأزرق الداكن بدلًا من الأخضر أو الكاكي، ويبدو معتادًا الحرارة. لا يتعرق، فيما يبدو، رغم زيه الرسمي الخانق. تتوقف العربة أمام حشد اللاجئين الأحداث. يغادر سائقها أولًا، وينضم إلى المراهقين الأربعة الذين تولوا قيادتهم.

يرفع الفتى الصاخب مكبر الصوت قائلًا: «هل لي أن أحظى بانتباهكم؟ سيوجِّه الأدميرال إليكم خطابًا الآن. يجدر بكم الإنصات».

يغادر الرجل عربة الجولف. يقدِّم الفتى إليه مكبر الصوت، لكنه يلوِّح بيده رافضًا. لا يحتاج صوته إلى تضخيم.

- أود أن أكون أول من يرحب بكم في المقبرة.

تخطى الأدميرال الستين من عمره، وتملأ الندوب وجهه. الآن تدرك ريسا أن الزي الرسمي الذي يرتديه من أزياء الحرب. لا تدري إن كانت تلك الألوان تخص القوات المناهِضة للإجهاض أم المؤيِّدة له، لكن هذا لا يهم. لقد خسر الجميع.

- سيصبح هذا المكان منزلكم إلى أن تبلغوا الثامنة عشرة، أو حتى نؤمِّن راعيًا ثابتًا يزوِّر هوياتكم. يجب أن تدركوا أن ما نفعله هنا غير قانوني بالمرة، لكن هذا لا يعني أننا لا نتبع حكم القانون، **قانوني الخاص**.

يتوقف قليلًا، وينظر إلى أعين أكبر عدد ممكن من الحشد. ربما يرغب في أن يستذكر وجوههم قبل أن ينهي خطابه. عيناه حادتان ونظره ثاقب. تعتقد

ريسا أنه يستطيع النفاذ إلى أعماق كل منهم عبر تحديقه إليهم. يخيفها ذلك ويطمئنها في الآن نفسه؛ لن يضيع أحد في عالم الأدميرال.

- لقد اتُّخذ قرار تفكيككم جميعًا، لكنكم تمكنتم من الهروب، وبمساعدة الكثيرين من أعواني، استطعتم الوصول إلى هنا. لا يهمني كيف كنتم. لا يهمني كيف ستكونون بعد أن تغادروا هذا المكان. ما يهمني هو كيف ستكونون وأنتم هنا. في أثناء وجودكم هنا ستفعلون ما يُطلب منكم.

ترتفع يد وسط الحشد. إنه كونر. تتمنى ريسا لو كان أحدًا آخر غيره.

يدقِّق الأدميرال النظر في وجه كونر، ثم يقول: «أجل؟».

- إذًا من أنت تحديدًا؟

يقول الأدميرال: «إن اسمي هو شأني الخاص. يكفي أن أقول إنني أدميرال سابق بالقوات البحرية الأمريكية».

ثم يبتسم، ويضيف: «يمكنك القول إنني سمكة تركت المياه. لقد قادني المناخ السياسي الحالي إلى الاستقالة. يجبرني القانون على أن أتغاضى عما يحدث، لكنني لم أفعل ذلك، ولن أفعله».

ثم يلتفت إلى الحشد ويعلو صوته قائلًا: «لن يُفكَّك أحد ما دمت على رأس عملي».

يهتف الحشد، ويشاركهم الهتاف الفتية ذوو الثياب الكاكية، الذين يشكِّلون جزءًا من جيش الأدميرال الصغير. يبتسم الأدميرال ابتسامة عريضة. تظهِر ابتسامته أسنانه المنمقة البيضاء التي تبرق، على نحو غريب، في حين أن الإنهاك قد نال من سائر جسده.

- لقد أقمنا هنا مجتمعًا. ستطلِعون على القواعد، وستتبعونها، أو ستواجهون العواقب، كما يحدث في أي مجتمع. هذه ليست ديمقراطية، بل دكتاتورية. أنا دكتاتوركم. يجب أن يتم الأمر بهذه الطريقة لأنها الأنجع لإبقائكم متوارين، وأصحاء، وتامِّين.

يوجِّه إليهم الابتسامة نفسها ثانية: «آمل أن أكون ديكتاتورًا خيِّرًا. يمكنكم أن تقرروا ذلك بأنفسكم».

لقد فحص بنظره الحشد بأكمله الآن. يشعرون جميعًا كما لو أنهم بقالة على منضدة الدفع مُسِحت ضوئيًا، مُسِحت وعُويِنت.

- ستنامون الليلة في مهاجع المستجَدين. غدًا ستخضع مهاراتكم للتقييم، وستنضمون إلى فرقكم الدائمة. تهانينا. لقد وصلتم!

يتوقف قليلًا، يمنحهم بعض الوقت لاستيعاب ما قال، ثم يتجه إلى عربة الجولف التي تبتعد به، وتخلِّف سحابة التراب الأحمر نفسها.

يقول أحد الظرفاء: «هل لا تزال هناك فرصة للعودة إلى الحاوية».

يضحك البعض.

يقول الفتى ذو مكبر الصوت: «اسمعوا. سنقودكم إلى طائرة الإمدادات، حيث ستحصلون على الملابس، والطعام، وكل ما ستحتاجون إليه».

يُلقَّب الفتى الذي يحمل مكبر الصوت بـ أمب[1]، أما سائق الأدميرال فيُلقَّب بـ جيفز[2].

يقول أمب: «أمامنا سير طويل. فليخبرنا من لا يستطيع ذلك. وليرفع يده من يريد الماء الآن».

ترتفع الأيدي كلها تقريبًا.

- حسنًا، اصطفوا هنا.

تصطف ريسا مع الباقين. يغمغم المراهقون ويتهامسون، لكنهم ليسوا يائسين كالأسابيع الماضية، بل يبدون كطلاب ينتظرون في صف للحصول على الوجبات المدرسية.

بينما يُقادون إلى الملابس والطعام، تُسحب الطائرة التي أحضرتهم إلى هنا إلى مثواها الأخير في ساحة الخردة مترامية الأطراف. الآن تأخذ ريسا نفسًا عميقًا، وتزفر توترًا دام شهرًا. الآن يتسع لها الأمل.

***

(1) أمب = Amp: اختصار لكلمة مكبر الصوت. م

(2) جيفز = Jeeves: الوصيف. م

29. ليف

على بعد ما يزيد على ألف ميل، يوشك ليف أن يصل إلى جوبلن أيضًا. لكن تلك الوجهة ليست وجهته، بل وجهة سايرس فينش.

يقول ساي-فاي: «موطن صقور ثانوية جوبلن، أبطال الولاية في كرة السلة للفتيات».

- أنت تعرف الكثير عن هذا المكان.

يتذمر ساي-فاي قائلًا: «أنا لا أعرف أي شيء عن هذا المكان. **هو** يعرف. أو **عرف**. أو أيًّا كان».

إنهما يملكان المال الآن بفضل صفقة ليف في متجر الرهونات، لكنه لم ييسِّر رحلتهما، إذ لا يفيد المال في شيء سوى شراء الطعام. لا يمكنهما أن يقطعا تذاكر القطار، أو تذاكر الحافلة حتى، لأنه لا شيء أكثر إثارة للريبة من قاصرين يدفعان أجرتهما بنفسهما.

في واقع الأمر، لا تزال علاقة ليف وساي-فاي تسير بالشكل نفسه، ما عدا أمرًا جوهريًّا ملحوظًا، ربما لا يزال ساي-فاي يلعب دور القائد، لكن ليف هو المسؤول الآن. يشعر ليف بالذنب، لأن معرفته أن ساي-فاي سينهار إن لم يكن بجواره تسعده.

يفصلهما عن جوبلن عشرون ميلًا فقط، ويزداد اختلاج ساي سوءًا حتى إن السير يشق عليه. لم يعد ساي يختلج، بل يرتجف جسده كأنه يمر بنوبة صرع.

يقدم ليف سترته إليه، لكن ساي يدفعه قائلًا: «أنا لا أشعر بالبرد، بل يضطرب عقلي كما لو أن بداخله زيتًا وماءً».

لا يملك ليف أي فكرة عما سيفعله ساي عندما يصل إلى جوبلن، والآن يدرك أن ساي لا يعلم ذلك أيضًا. يتعذر على ساي فهم ما يجبره ذلك الفتى

-أو ذلك *الجزء* من الفتى- القابع في عقله على القيام به. يأمل ليف أن يكون مقصده خيرًا لا شرًّا، رغم أن ليف لا يسعه سوى أن يظن أن ما يريده الفتى سيئ. سيئ للغاية.

يسأله ساي-فاي بعد إحدى نوبات ارتجاف جسده: «لم لا تزال ترافقني يا صوص؟ كان سيرحل أي فتى سليم العقل قبل أيام».

- من قال إنني سليم العقل؟
- أنت سليم العقل يا صوص. أنت سليم العقل لدرجة تخيفني. أنت سليم العقل بدرجة **غير معقولة**.

يتأمل ليف سؤاله بعض الوقت. يريد أن يمنح سايرس جوابًا حقيقيًا لا أن يتجاهله.

يقول ليف في تمهل: «أنا باقٍ لأنه يجب على أحدهم أن يشهد ما سيحدث في جوبلن. يجب على أحدهم أن يدرك أسباب ما ستفعله، مهما يكن».

يقول ساي-فاي: «أجل، هذا صحيح. يلزمني شاهد».

يقول ليف: «أنت تسبح كسمكة سلمون عكس التيار. ثمة شيء بداخلك يدفعك إلى فعل ذلك، وثمة شيء بداخلي يدفعني إلى مساعدتك على الوصول إلى هناك».

يستغرق ساي في التفكير، ثم يقول: «سلمون. رأيت ذات مرة ملصقًا عن سمكة سلمون تقفز إلى أعلى شلال حيث يوجد دب، كانت السمكة تقفز في فم الدب مباشرة. وصحبها تعليق -من المفترض أنه مضحك- يقول: في بعض الأحيان قد تنتهي رحلة الألف ميل على نحو سيئ للغاية».

يخبره ليف: «لا توجد دببة في جوبلن».

لا يحاول ليف أن يأتي بأي تشبيهات أخرى للتسرية عن ساي، لأن ساي ذكي للغاية، ويمكنه أن يجعل أي شيء يقوله يبدو غير موفَّق. لا يستطيع ليف منافسة مائة وثلاثين نقطة ذكاء مكرَّسة لتنسج قدرًا مشؤومًا.

تمر الأيام، ويقطعان ميلًا تلو الآخر، وبلدة تلو الأخرى، إلى أن يمرا في ظهيرة أحد الأيام بلافتة تقول: الآن تدخلون جوبلن. عدد السكان 45,504 نسمة.

***

30. ساي-تاي

لا يهدأ عقل ساي-فاي. لا يدري الصوص مدى سوء الوضع. لا يدرك الصوص كيف تصدمه المشاعر، كأمواج تقودها العواصف تضرب سدًّا متصدعًا. سينهار السد قريبًا، وعندما يحدث ذلك، سيفقد ساي السيطرة على نفسه. سيفقد كل شيء. سينسكب عقله من أذنيه إلى مصارف شوارع جوبلن. إنه واثق من ذلك.

يرى اللافتة: الآن تدخلون جوبلن. إن قلبه ملكه، لكنه يخفق داخل صدره بقوة، يوشك أن ينفجر. ألن يكون ذلك جيدًا؟ سيهرعون به إلى أحد المستشفيات، ليمنحوه قلب مُفكَّك آخر، ليضاف *ذلك* المُفكَّك إلى مشكلاته.

لا يتحدث الفتى المنزوي في عقله بالكلمات، بل يشعر، وينفعل. إنه لا يدرك أنه ليس سوى جزء من فتى آخر. يشبه الأمر ما يعيشه المرء داخل الحلم، يعرف بعض الأشياء، ويجهل أشياء أخرى لا بد أنه يعرفها. يعلم هذا الفتى أنه هنا، لكنه لا يعلم أنه ليس هنا كليًّا. لا يعلم أنه جزء من شخص آخر. يظل يبحث في عقل سايرس عن أشياء ليست موجودة. ذكريات. صلات. يظل يبحث عن كلمات، لكن رموز الكلمات داخل عقل سايرس مختلفة. لهذا يلفظ الفتى غضبه، وذعره، وألمه. تضرب الأمواج السد، ومن الأسفل، يجذب التيار ساي إلى الأمام. يجب أن يحدث شيء ما هنا لا يعلمه سوى هذا الفتى.

يسأله الصوص: «هل سيفيدك النظر في خريطة؟».

يُغضِب هذا السؤال ساي. يقول: «لن تفيدني الخريطة في شيء. يجب أن أرى الأشياء، وأن **أذهب** إلى الأماكن. ما الخريطة إلا رسم لا يعني أنني **حاضر** في المكان».

يقفان عند ناصية في ضواحي جوبلن. يبدوان وكأنهما يستكشفان مواقع المياه الجوفية. لا شيء مألوف.

يقول ساي: «إنه لا يعرف هذا المكان. لنجرب شارعًا آخر».

ينتقلان من بناء إلى آخر، ويمران بتقاطع تلو آخر. لا شيء. ليست جوبلن بلدة صغيرة بما يكفي ليعرف المرء جميع أنحائها. يصلان أخيرًا إلى شارع رئيس، تملؤه المتاجر والمطاعم كأي بلدة بهذه المساحة، لكن...

- انتظر!

- ماذا هناك؟

يقول ساي: «إنه يعرف هذا الشارع. هناك! متجر المثلجات. أستشعر مذاق مثلجات بنكهة قرع العسل. أنا أكره المثلجات بنكهة قرع العسل».

- كيف **يمكنه** أن يحبها؟

يومئ ساي قائلًا: «كانت المفضلة لديه. الأحمق».

يشير بإصبعه إلى متجر المثلجات، ويحرك ذراعه ببطء إلى اليسار.

يقول: «يأتي سائرًا من هذا الاتجاه...».

ثم يحرك ذراعه ببطء إلى اليمين، ويضيف: «وعندما ينتهي يذهب في هذا الاتجاه».

- إذًا هل نتتبع من أين يأتي أم إلى أين يذهب؟

يقرِّر ساي الاتجاه يسارًا، ويجد أمامه ثانوية جوبلن، موطن الصقور. عندئذ تطوف بخياله صورة سيف، ويدرك الأمر على الفور.

- مبارزة. كان الفتى ضمن فريق المبارزة هنا.

يقول الصوص: «إن السيوف تبرق».

لو لم يكن محقًّا لرمقه ساي بنظرة غاضبة. إن السيوف، حقًّا، تبرق. يتساءل إن سرق الفتى سيوفًا من قبل، ثم يدرك أنه على الأرجح قد فعل. إن سرقة سيوف الفرق المنافسة من تقاليد المبارزة العريقة.

يتولى الصوص القيادة قائلًا: «من هنا. لا بد أنه غادر المدرسة إلى متجر المثلجات، ومنه إلى المنزل. سنذهب إلى المنزل، أليس كذلك؟».

تُجيب ساي رغبة ملحة عنيفة داخل عقله. إنه لا يشبه سمكة سلمون، بل سمكة سيف علقت بصنارة صيد تسحبها نحو...

- المنزل... صحيح.

الآن تغرب الشمس. يملأ الفتية الشارع، ومصابيح معظم السيارات مضاءة. يبدو ليف وساي كفتيين من الحي، يتجهان إلى حيث يتجه فتيان الحي. لا ينتبه إليهما أحد. هناك سيارة شرطة في الأمام. كانت متوقفة، لكنها الآن تتحرك.

بينما يمران بمتجر المثلجات، يشعر سايرس بتحول في داخله. تتبدل مشيته، وهيئته. يشعر بنقاط التوتر العضلي في وجهه تتغير. ينخفض جفناه، وينفرج فكه قليلًا. *أنا لم أعد نفسي؛ يتحكم بها الفتى الآخر الآن.* هل يجب على ساي أن يقاوم الأمر أم يدعه يحدث؟ إنه يعلم أن الوضع تخطى المقاومة. لكي ينهيه يجب عليه أن يسمح له بالحدوث.

يقول الفتى الذي يسير بجواره: «ساي؟».

ينظر إليه ساي. على الرغم من أن جزءًا منه يعلم أن هذا ليف، فإن جزءًا آخر منه يجفل، وهو يدرك لماذا يحدث هذا. يغمض عينيه، يحاول إقناع الفتى داخل رأسه أن الصوص صديق لا خطر منه. يبدو أن الفتى فهمه، إذ إنه يهدأ قليلًا.

يصل ساي إلى ناصية ويتجه يسارًا، كما لو أنه قد فعل ذلك مئات المرات. بينما يحاول اللحاق بفصه الصدغي العازم، يرتجف سائر جسده. الآن ينتابه شعور ما، إنه قلِق، وغاضب. يعلم أن عليه إيجاد طريقة ليعبِّر عن هذا الشعور بالكلمات.

- سأتأخر. سيغضبان. إنهما دائمًا غاضبان.

- ستتأخر على ماذا؟

- العشاء. يجب أن يتناولاه في الموعد المحدد، أو سأتلقى توبيخًا عنيفًا. يمكنهما أن يتناولاه من دوني، لكنهما لن يفعلا ذلك. لا يفعلان ذلك أبدًا، بل يغضبان، ويبرد الطعام. هذا خطئي، إنه دائمًا خطئي. يجب عليَّ أن أجلس هناك ليسألاني: كيف كان يومي؟ جيد. ما الذي تعلمته؟ لا شيء. أي خطأ ارتكبت هذه المرة؟ كل شيء.

ليس هذا صوته. هذان الحبلان الصوتيان ملكه، لكن ما يصدر عنهما ليس صوته. نغمته نفسها، لكن نبرته ولهجته مختلفتان. إنه يتحدث كما لو أنه عاش طوال حياته في جوبلن، موطن الصقور.

عندما ينعطفان عند ناصية أخرى يرى ساي سيارة الشرطة ذاتها خلفهما، تتبعهما ببطء. إنها تتبعهما بلا شك. لا يقتصر الأمر على ذلك فقط، هناك سيارة شرطة أخرى أمامهما تنتظر إزاء منزله. منزلي. إن ساي، في نهاية المطاف، سمكة السلمون، وسيارة الشرطة هي الدب. لكنه لا يستطيع التوقف. يجب أن يصل إلى ذلك المنزل، أو يموت في سبيل ذلك.

بينما يقترب من مدخل المنزل، يغادر شخصان سيارة تويوتا تبدو مألوفة، صُفَّت بالجهة المقابلة من الشارع. إنهما الأبوان. ينظران إليه. يبدو عليهما الارتياح، والألم أيضًا. لقد علما إلى أين سيذهب. كانا يعلمان منذ البداية.

يناديه أحدهما قائلًا: «سايرس».

يريد أن يركض إليهما. يريدهما أن يأخذاه إلى المنزل، لكنه يكبح نفسه. لا يمكنه الذهاب إلى المنزل. ليس بعد. يتجهان نحوه. يعترضان سبيله، لكنهما لا يقولان شيئًا.

يقول بصوت يعلم أنه لا يشبهه أبدًا: «يجب أن أفعل ذلك».

عندئذ يغادر ضباط الشرطة السيارتين، ويمسكون به. لا تكفي قوته ليبعدهم، لهذا ينظر إلى الأبوين.

يكرر: «يجب أن أفعل ذلك. لا تصبحا دبي».

ينظر أحدهما إلى الآخر، لا يفهمان ما يقصده. أو ربما يفهمان، إذ يتنحيان جانبًا ويقولان لضباط الشرطة: «اتركوه».

يندهش سايرس عندما يرى الصوص على استعداد للمخاطرة بسلامته ليسانده الآن.

يقول: «هذا ليف. لا أحد يقترب منه أيضًا».

ينظر الأبوان إلى الصوص، ثم يعيدان انتباههما سريعًا إلى سايرس.

يفتش ضباط الشرطة ساي ليتحققوا أنه لا يحمل سلاحًا، ثم يفلتونه ليذهب إلى المنزل. لكن **هناك** سلاحًا. شيء حاد وثقيل. إنه منزوٍ في زاوية بعقله الآن، لكنه لن يكون كذلك في خلال بضع لحظات. يشعر ساي بالخوف، لكنه لا يستطيع التوقف.

يقف ضابط شرطة عند باب المنزل الأمامي، يتحدث بصوت خافت إلى رجل وامرأة يقفان عند عتبة الباب. يلقيان نظرة سريعة نحو ساي. يبدوان قلقين.

يعلم الجزء الذي بداخل ساي، الغريب عنه، هذين الزوجين الكهلين جيدًا. تضربه صاعقة عنيفة من المشاعر، تجعله يشعر أنه سيحترق.

بينما يتجه نحو الباب، يشعر بالطريق المرصوف بالبلاط الحجري يتموج أسفل قدميه كأرضية مدينة العجائب. ثم يصل إليهما أخيرًا. يبدو عليهما القلق، والصدمة. يُسعِد ذلك جزءًا منه، ويُحزِن آخر، وهناك جزء ثالث يتمنى لو كان في أي مكان غير هنا، لكنه لا يستطيع التفرقة بينها. يفتح فمه ليتحدث، يحاول أن يترجم ما يشعر به إلى كلمات.

يقول: «أعطياه لي! أعطه لي يا أمي. أعطه لي يا أبي».

تغطي المرأة فمها بيدها وتنظر بعيدًا. تذرف دمعًا سخينًا كما لو أنها إسفنجة في قبضة يد.

يقول الرجل: «تايلر؟ تايلر، هل هذا أنت؟».

الآن يملك سايرس اسمًا لذلك الجزء منه. *تايلر. أجل. أنا سايرس، لكنني تايلر أيضًا. أنا ساي-تاي.*

يقول ساي-تاي: «أسرعا! أعطياه لي. أنا أريده الآن!».

تقول الأم باكية: «ماذا تقصد يا تايلر؟ ما الذي تريده منا؟».

يحاول ساي-تاي أن يجيبها، لكنه لا يستطيع أن يعثر على الكلمة، لا ترده صورتها. إنه شيء. سلاح. لا يستطيع أن يرى صورته بعد، لكنه يعرف كيف يعمل. يبدأ في محاكاة شيء ما. يميل إلى الأمام، ويمد ذراعًا إزاء الأخرى. إنه يحمل شيئًا طويلًا، يوجِّهه إلى الأسفل، ثم يدفع بذراعيه تجاه الأرض. الآن يدرك أن ما يبحث عنه ليس سلاحًا، بل أداة، لأنه يفهم ما الذي يحاكيه. إنه يحفر.

يلتقط أنفاسه قائلًا: «مجرفة! أريد المجرفة».

يتبادل الرجل والمرأة النظر. يومئ ضابط الشرطة بجوارهما.

يقول الرجل: «إنها في المخزن بالخارج».

يتجه ساي-تاي إلى المنزل مباشرة، ثم يخرج من الباب الخلفي يتبعه الجميع، الزوجان، وضباط الشرطة، والأبوان، والصوص. يذهب إلى المخزن، يأخذ المجرفة، التي عرف موضعها بالضبط، ثم يتجه نحو زاوية بالفناء، حيث تبرز بعض الأغصان من الأرض. لقد عُقِصت تلك الأغصان لتشكِّل صلبانًا مائلة.

يعرف ساي-تاي هذه الزاوية من الفناء، يشعر بها. هنا دفن حيواناته الأليفة. إنه لا يعرف أسماءها، أو أنواعها، لكنه يخال أن أحدها كان كلب ساطر أيرلنديًا. يرى صورًا لما حدث لكل واحد منها. أحدها هاجمه قطيع كلاب شرسة، والآخر صدمته حافلة، والثالث أصابته الشيخوخة. يأخذ المجرفة، ويضرب بها الأرض بعيدًا عن القبور؛ لم يكن ليزعجها قط، بل يحفر التربة الرطبة على بعد ياردتين منها.

يدفع ساي-تاي المجرفة لاهثًا، ويلقي التراب جانبًا. في الأسفل، على بعد قدمين فقط، ترتطم المجرفة بشيء فيصدر صوتًا مكتومًا. يهبط على يديه وركبتيه، ويجرف التربة بيديه.

يمد يده بعد أن أزال التراب، يمسك بمقبض، ويسحبه إلى أن يخرج. إنها حقيبة ملفات رطبة يغطيها الوحل. يضعها على الأرض، ويفتح قفليها.

عندما يرى ساي-تاي ما بداخلها يتجمد عقله، ويتعطل عن العمل. لا يستطيع أن يتحرك، أو أن يفكر. تملأ الحقيبة أشياء مصقولة، تبرق وتلمع في أشعة الشمس الحمراء المائلة. لا يستطيع أن يتحرك، لكنه يجب أن يتحرك. عليه أن ينهي الأمر.

يقحم يديه في الحقيبة الملأى بالحلي، يشعر بالسلاسل الذهبية تنساب على يديه، ويسمع المعدن يحك بعضه بعضًا. هنا الألماس، والياقوت، والزركون، والبلاستيك، مزيج من البخس والنفيس. إنه لا يذكر من أين أو متى سرق أيًا من هذا. يدرك فقط أنه الفاعل. لقد سرقها، اكتنزها، وخبأها. وضعها في قبرها الصغير لينبشه عندما يحتاج إليها. لكن إن استطاع إعادتها فربما...

بيدين تكبلهما سلاسل ذهبية بقوة، تفوق قوة الأصفاد المعلَّقة بأحزمة ضباط الشرطة، يتجه متعثرًا نحو الرجل والمرأة. تسقط خواتم، ودبابيس، وقطع متفرقة من الكومة المتشابكة على أرض الفناء. ينفلتون من بين أصابعه، لكنه يتشبث بما يستطيع إلى أن يصل إلى الرجل والمرأة، اللذين يتشبث بعضهما ببعض الآن خوفًا، كما لو أنهما في طريق إعصار. يجثو

على ركبتيه، يُسقِط كومة الأشياء اللامعة عند أقدامهما، ويتأرجح إلى الأمام والخلف يتوسل إليهما.

يقول: «رجاءً، أنا آسف. أنا آسف. لم أقصد ذلك!».

يقول: «رجاءً، خذاها. أنا لا أحتاج إليها. أنا لا أريدها».

يقول: «رجاءً، افعلا أي شيء، **لكن لا تُفكِّكاني**».

يدرك ساي بغتة أن تايلر لا يدري بالأمر. إن الجزء الذي يدرك الزمان والمكان من ذلك الفتى ليس هنا، ولن يكون هنا أبدًا. لا يستطيع تايلر أن يفهم أنه قد رحل بالفعل، ولا يوجد شيء يستطيع ساي فعله ليجعله يعي ذلك. لهذا يواصل النواح: «رجاءً لا تُفكِّكاني. سأفعل أي شيء تريدانه. رجاءً لا تُفكِّكاني. رجااااااااءً...».

ثم يسمع صوتًا يأتي من خلفه.

***

31. ليف

يقف ليف بالجوار يملؤه غضب يشعر أنه سيشق الأرض.

يقول: «أخبراه بما يحتاج إلى سماعه!».

لقد أخبر ساي أنه سيشهد الأمر، لكنه لا يستطيع أن يشهده دون أن يتدخل.

لا يزال والدا تايلر متلاصقين يهدئ بعضهما بعضًا بدلًا من تهدئة ساي. يؤجج هذا غضب ليف.

يصيح قائلًا: «**أخبراه أنكما لن تُفكِّكاه!**».

ينظر الرجل والمرأة إليه كأحمقين. يأخذ المجرفة الملقاة على الأرض، ويؤرجحها إلى الخلف فوق كتفه كمضرب كرة القاعدة.

- **أخبراه أنكما لن تُفكِّكاه، وإلا أقسم إنني سأدق رأسيكما التافهين!**

لم يتحدث ليف إلى أحد بهذه الطريقة قط. لم يهدد أحدًا قط. إنه يعلم أن هذا ليس تهديدًا فقط، بل سيفعلها. اليوم لن يرفق بأحد.

يمد ضباط الشرطة أيديهم إلى حافظات أسلحتهم ويخرِجون مسدساتهم، لكن ليف لا يبالي.

يصيح أحدهم قائلًا: «اترك المجرفة!».

إن مسدسه موجَّه إلى صدر ليف، لكن ليف لن يترك المجرفة. *ليطلق النار. إن فعل فسيظل بإمكاني أن أُوجِّه ضربة واحدة إلى والدي تايلر قبل أن أسقط. قد أموت، لكنني سآخذ أحدهما معي.* لم يشعر ليف بهذا قط. لم يكن بهذا القرب من الانفجار قط.

- **أخبراه! أخبراه الآن!**

يظل ليف ممسكًا بالمجرفة، وضباط الشرطة موجِّهين مسدساتهم إليه، إلى أن ينهي الرجل والمرأة الأمر. ينظران إلى الفتى الذي يتأرجح إلى الأمام والخلف، منتحبًا أمام قطع الحلي المتشابكة التي تركها عند أقدامهما.

- لن نُفكِّك يا تايلر.

- عِداه بذلك!

- لن نُفكِّك يا تايلر. هذا وعد. هذا وعد.

ترتخي كتفا ساي. لا يزال يبكي ارتياحًا، لا يأسًا.

يقول ساي: «شكرًا لكما. شكرًا لكما...».

يترك ليف المجرفة، ويخفِض ضباط الشرطة مسدساتهم. يلوذ الزوجان بأمان منزلهما. ويحل أبوا سايرس محلهما. يساعدان سايرس على النهوض، ويضمانه.

- لا بأس يا سايرس. سيكون كل شيء على ما يُرام.

يقول سايرس باكيًا: «أعلم ذلك. كل شيء بخير الآن. كل شيء بخير».

عندئذ يبتعد ليف. إنه يعلم أنه المتغير الوحيد المتبقي لتُحل هذه المعادلة، وسيدرك ضباط الشرطة ذلك في أي لحظة. لهذا بينما لا يزال انتباه ضباط الشرطة يشتته الزوجان المُدبِران، والفتى الباكي، والأبوان، والأشياء اللامعة على الأرض، يتراجع ليف ليختفي بين الظلال، ثم يستدير ويركض هاربًا. سيدركون أنه اختفى في خلال بضع لحظات، لكن بضع لحظات تكفيه. لأنه سريع الحركة. لطالما كان سريعًا. يقطع سياج الشجيرات إلى الفناء المجاور، ومنه إلى شارع آخر في عشر ثوانٍ.

لن ينسى ليف وجه ساي عندما أسقط الحلي عند أقدام هذين الزوجين البغيضين، وكيف تصرفا كما لو *أنهما* الضحية. إنه يدرك أن هذه اللحظة قد أثرت به عميقًا وغيرته على نحو مخيف. لم يعد يهمه إلى أين تأخذه رحلته لأنه قد بلغ نهايتها بالفعل. لقد أصبح مثل حقيبة الملفات التي واراها التراب، تملؤها الجواهر لكنها مظلمة، لا شيء يبرق، لا شيء يلمع.

رحلت أشعة ضوء النهار الأخيرة عن السماء الآن، وتصبغها زرقة داكنة يبهت عليها السواد. لم تُضَأ أعمدة الإنارة بعد، لهذا يركض ليف عبر الظلال السوداء الممتدة. هكذا يسهل عليه الهروب. هكذا يسهل عليه الاختباء. هكذا يختفي في الظلام الذي أصبح صديقه الآن.

الجزء الخامس

المقبرة

«تُعَد منطقة جنوب غرب أريزونا المقبرة المثالية للطائرات. تتميز تلك المنطقة بمناخ جاف خالٍ من الضباب، ما يساعد على تقليل التآكل إلى أدنى درجة ممكنة. وتربتها قلوية صلبة، يتحمل سطحها سحب الطائرات وصفًّها دون أن يغور.

إن مقبرة الطائرات ليست سياجًا يحيط بجثث الطائرات وأكوام الخردة المعدنية وحسب، بل مصدرًا يزوِّد الطائرات العاملة بقطع غيار، تبلغ قيمتها ملايين الدولارات، لتتمكن من مواصلة التحليق».

- جو زنتنر، مقابر الطائرات، desertusa.com

32. الأدميرال

تُقسّي الشمس الجارقة أرض أريزونا الصلدة نهارًا، وتنخفض الحرارة ليلًا. هناك ما يزيد على أربعة آلاف طائرة من كل حقبة من حقب تاريخ الطيران، تلمع في ضوء الشمس. تبدو صفوف الطائرات، من ارتفاع طائرة مُحلِّقة في السماء، كصفوف المحاصيل، إنها حصاد التقنيات المهجورة.

#1) تأتي بكم الضرورة إلى هنا، لكنكم تبقون طوعًا.

لا يستطيع أحد، من هذا الارتفاع، أن ينتبه إلى أن بعض هذه الطائرات المتوقِّفة عن العمل –ثلاث وثلاثون طائرة على وجه الدقة– ليست شاغرة. يمكن لأقمار التجسس الصناعية أن تلتقط الحركة، لكن التقاطها يختلف عن ملاحظتها، إذ يشغل محلِّلي البيانات لدى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA مسائلُ أكثر إلحاحًا من مجموعة من المُفكِّكين اللاجئين. هذا ما يُعوِّل عليه الأدميرال. لكن، تحسبًا للأمر، هناك قواعد صارمة تنظم المقبرة. تجري جميع الأنشطة داخل هياكل الطائرات أو تحت أجنحتها، ما لم تستلزم الضرورة القصوى الخروج إلى العراء. تساعد الحرارة على تطبيق هذا القرار.

#2) لقد اكتسبتم الحق في الاحترام بنجاتكم.

لا يملك الأدميرال المقبرة، لكن إدارته لها لا ينازعه فيها أحد، وهو ليس مسؤولًا أمام أحد سوى نفسه. تمت هذه الصفقة عبر مزيج من الذكاء التجاري، والخدمات التي أسداها سابقًا وحان وقت ردها، ورغبة الجيش في فعل أي شيء للتخلص من الأدميرال.

#3) تُدار الأمور بطريقتي.

إن المقبرة تجارة مزدهرة. يشتري الأدميرال الطائرات التي توقفت عن الخدمة، يبيعها كاملة أو أجزاء، وتتم المعاملات عن طريق شبكة الإنترنت. يتمكن الأدميرال من شراء طائرة متقاعدة واحدة كل شهر تقريبًا. بالطبع تأتي كل طائرة مُحمَّلة بشحنة سرية من المُفكِّكين. هذا هو عمل المقبرة الحقيقي، وهو يسير جيدًا.

#4) حياتكم هي هديتي لكم. حافظوا عليها.

يأتي المشترون، من حين إلى آخر، لمعاينة البضائع أو استلامها، لكن يسبق وصولهم الكثير من التحذيرات، إذ تبعد البوابة خمسة أميال عن الساحة. هكذا يحصل المراهقون على وقت كافٍ للاختفاء بالطائرات كالأشباح. يأتي زوار العمل أولئك مرة واحدة في الأسبوع تقريبًا. هناك من يتساءل كيف يقضي الأدميرال باقي وقته. يجيبهم الأدميرال بأنه ينشئ محمية للأحياء البرية.

#5) أنتم أفضل ممن يريدون تفكيككم. كونوا على قدر التحدي.

يوجد ثلاثة بالغين فقط في طاقم عمل الأدميرال، سكرتيران يقع مكتبهما في شاحنة بعيدة عن المُفكِّكين، وطيار مروحية. يُدعى الطيار كليفر ويؤدي وظيفتين، يأخذ المشترين المهمين في جولة حول المنطقة، ويصطحب الأدميرال في رحلات جوية حول المقبرة مرة واحدة أسبوعيًّا. لا يدري أحد من الموظفين بأمر جماعة المُفكِّكين، المعزولين في أقاصي المنطقة، سوى كليفر. ما يُدفع لكليفر أكثر من كافٍ ليحفظ السر، ثم إن الأدميرال يثق به تمام الثقة. يجب أن يثق المرء في طياره الشخصي.

#6) يشارك جميع من في المقبرة في العمل. لا يُستثنى أحد.

يعمل المُفكِّكون العمل الحقيقي في ساحة المقبرة. هناك فِرق كاملة منهم تتولى مهام إزالة طلاء الطائرات، وفرز أجزائها، وتجهيزها للبيع، كأي ساحة خردة لكن على نطاق أوسع. لا يُزال طلاء جميع الطائرات، يبقى بعضها كما هو إن رأى الأدميرال أن بإمكانه إعادة بيعه كاملًا. ويُستخدم بعضها كغرف إقامة للمراهقين الذين هم، حرفيًّا ومجازيًّا، تحت جناحها.

#7) دعوا تمرد المراهقين لأطفال المدارس في الضواحي، وتخطوا الأمر.

تُشكَّل فرق المراهقين وفقًا لما يناسب المهام التي سيؤدونها، وأعمارهم، واحتياجاتهم الشخصية. لقد مكَّنت خبرة الأدميرال الطويلة في خلق وحدة مقاتلة مترابطة من بوف الجيش من إنشاء مجتمع وظيفي من مراهقين غاضبين ومضطربين.

#8) لن تحكم الهرمونات صحرائي.

لا يجتمع الفتية والفتيات في فريق واحد أبدًا.

#9) لا شأن لي بكم بعد أن تبلغوا الثامنة عشرة.

هناك لائحة بقواعد الأدميرال العشر، معلَّقة داخل جميع الطائرات حيث يعيش المراهقون ويعملون. يسميها المراهقون الوصايا العشر. لا يكترث الأدميرال بماذا يسمونها ما داموا يدركونها جيدًا.

#10) ابذلوا جهدكم لتحظوا بحياة ناجحة. هذا أمر.

إن الحفاظ على صحة أربعمائة مراهق تقريبًا، وإبقاءهم متوارين وتأمين مهمة صعبة، لكن الأدميرال لا يتهرب من مواجهة أي تحدٍّ أبدًا. ومثل اسمه، يفضِّل الأدميرال ألا يفصح عن دافعه للقيام بذلك.

***

33. ريسا

تجد ريسا أيامها الأولى في المقبرة طويلة وقاسية. وتبدأ إقامتها بتدريب على التواضع.

يجب على كل وافد جديد أن يمثل أمام هيئة محكمة، تتكون من فتيين وفتاة في السابعة عشرة، يجلسون خلف مكتب بداخل هيكل طائرة واسعة مُفرَّغة. يُشكِّل هؤلاء الثلاثة ومعهم أمب وجيفز، اللذان قابلتهما ريسا عندما غادرت الطائرة أول مرة، نخبة مكوَّنة من خمسة، ويلقِّبهم الجميع بــ الذهبيين. إنهم أكثر من يحظى بثقة الأدميرال، لهذا هم المسؤولون.

يحين دور ريسا بعد أن أتموا مقابلة أربعين مراهقًا بالفعل.

يقول الفتى الذي يجلس جهة اليمين: «أخبرينا عن نفسك».

تدعوه ريسا فتى الميمنة لأنهم، في نهاية الأمر، بداخل مركبة.

يضيف: «ما الذي تتقنينه وما الذي يمكنك فعله؟».

كانت المحكمة الأخيرة التي مثلت أمامها ريسا في ملجأ الولاية، عندما حُكم عليها بالتفكيك. إنها واثقة من أن هؤلاء الثلاثة يشعرون بالملل ولا يكترثون بما تقول، ويريدون أن ينهوا الأمر لينتقلوا إلى التالي. تشعر أنها تبغضهم مثلما أبغضت المدير، عندما حاول أن يفسر لها لمَ أُلغيت عضويتها في الحياة.

لا بد أن الفتاة التي تجلس في المنتصف تدرك ما تشعر به ريسا، لأنها تبتسم لها وتقول: «لا تقلقي. هذا ليس اختبارًا. نحن فقط نريد أن نساعدك في إيجاد المكان الملائم لك هنا».

من الغريب قول ذلك لأي مُفكَّك، لأن المُفكَّكين لا يشعرون بأنهم يلائمون أي مكان.

تأخذ ريسا نفسًا عميقًا، تقول: «كنت أدرس الموسيقى في ملجأ الولاية».

ثم تندم من فورها لأنها أخبرتهم أنها نشأت في ملجأ ولاية، هناك تمييز وتراتبية بين المُفكَّكين أيضًا. وبالفعل يميل فتى الميمنة إلى الخلف ويعقد ذراعيه في استياء واضح، لكن فتى الميسرة يقول: «أنا وورد أيضًا. ملجأ ولاية فلوريدا رقم 18».

- أوهايو 23.

تسألها الفتاة: «ما الآلة التي تعزفينها؟».

- البيانو الكلاسيكي.

يقول فتى الميمنة: «عذرًا. لدينا ما يكفي من الموسيقيين، ولم تأتِ أي طائرة مُحمَّلة ببيانو».

تقول ريسا: «لقد اكتسبت الحق في الاحترام بنجاتي. هذا واحد من قوانين الأدميرال، أليس كذلك؟ لا أظن أن سلوكك هذا سيعجبه».

يتململ فتى الميمنة، ويقول: «هل يمكننا أن نكمل عملنا؟».

تبتسم لها الفتاة معتذِرة، وتقول: «يؤسفني أن أقر بذلك، لكننا، في الوقت الحالي، لا نحتاج إلى الفن بقدر ما نحتاج إلى مهارات أخرى. ما الذي يمكنك أن تفعليه غير ذلك؟».

تحاول ريسا أن تنهي الأمر قائلة: «أعطوني أي وظيفة وسأقوم بها. هذا ما ستفعلونه على أي حال، أليس كذلك؟».

يقول فتى الميمنة: «حسنًا، يحتاج العمل في المطبخ دائمًا إلى المزيد من الأيدي، وبخاصة بعد الوجبات».

تنظر الفتاة إلى ريسا طويلًا مناشِدة، ربما تأمل أن تقترح ريسا مهمة أفضل لتقوم بها، لكن ريسا تقول: «حسنًا. سأغسل الأطباق. هل انتهينا؟».

تستدير لتغادر، وتحاول جاهدة أن تخمد سخطها. بينما تتجه إلى الخارج يصل الفتى التالي. يبدو في حالة سيئة. أنفه متورم أرجواني اللون ينزف، ويلطخ الدم قميصه.

- ما الذي حدث لك؟

ينظر إليها، يدرك من هي، ويقول: «فتاك هو ما حدث لي. لكنه سينال جزاءه على ما فعل».

قد تسأله ريسا عشرات الأسئلة حول ذلك، لكن الفتى ينزف وتغطي الدماء قميصه. يجب إيقاف النزيف أولًا. يميل الفتى رأسه إلى الخلف.

تخبره ريسا: «لا، مِل إلى الأمام، وإلا فستغص بدمك».

يستجيب الفتى لما قالت. يغادر أعضاء المحكمة الثلاثة مكتبهم للمساعدة، لكن ريسا تتولى الأمر.

تخبره ريسا: «اقرصه هكذا وانتظر. عليك أن تتحلى بالصبر مع شيء كهذا».

تُري الفتى كيف يقرص أنفه بالضبط ليوقِف النزيف.

عندما يتوقف النزيف يقترب فتى الميسرة منها، يقول: «أحسنتِ صنعًا».

لقد ترقَّت ريسا على الفور من غاسلة أطباق إلى مسعفة. قد يبدو هذا غريبًا، لكن كونر تسبب في ذلك، بطريقة غير مباشرة، لأنه من كسر أنف الفتى في المقام الأول.

كُلِّف الفتى ذو الأنف النازف بغسل الأطباق.

***

إن محاولة ريسا أداء دور المسعفة دون أي تدريب حقيقي، في الأيام القليلة الأولى، مروِّعة. هناك عدد من المراهقين في الطائرة الطبية يبدون مهارة كبيرة بالمقارنة معها. سرعان ما تدرك ريسا أنهم زُجَّ بهم هنا عند وصلوهم، مثلما حدث معها بالضبط.

يخبرها كبير المسعفين الذي لا يزيد عمره على السابعة عشرة: «ستبلين بلاء حسنًا. أنتِ موهوبة بالفطرة».

إنه محق. ستتدرب إلى أن تتقن تقديم الإسعافات الأولية، وعلاج الأمراض الشائعة، حتى خياطة الجروح البسيطة كما تتقن عزف البيانو. تمضي الأيام سريعًا فإذا شهر قد مضى على وجودها هناك. بمُضي الأيام يزداد شعورها بالأمان. بدا الأدميرال غامضًا، لكنه فعل ما لم يستطع أحد فعله من أجلها منذ أن غادرت ملجأ الولاية. لقد أعاد إليها الحق في الحياة.

***

34. كونر

يجد كونر مكانه الملائم، مثل ريسا، مصادفة. لم يظن كونر أنه يجيد التعامل مع الآلات قط، لكنه لا يحتمل أن يرى جماعة من الحمقى يقفون عاجزين، يحدقون إلى شيء لا يعمل، ويتساءلون من سيصلحه. في خلال الأسبوع الأول، بينما تتدرب ريسا لتصبح طبيبة زائفة بارعة، يقرر كونر أن يستكشف كيف تعمل وحدة مكيف معطَّلة، ثم يجد قطعًا بديلة بكومة الخردة، ويجعلها تعمل مجددًا.

سرعان ما يدرك أن الأمر يسير بالطريقة نفسها مع كل آلة معطَّلة يصادفها. في البداية كان يجرب ويخطئ بالطبع، لكن أخطاءه تقل يومًا بعد يوم. هناك الكثير من الفتية الذين يزعمون أنهم ميكانيكيون، وهم بارعون في تفسير لمَ لا تعمل الآلات، لكن كونر يصلحها فعلًا.

هكذا يترك كونر مهام القمامة ويُنقل إلى فريق التصليح. ولأن الأشياء التي يجب تصليحها لا حصر لها، ينصرف انتباهه عن أشياء أخرى، مثل أنه لا يرى ريسا إلا قليلًا في عالم الأدميرال محكَم التنظيم، وأن رونالد يصعد درج التراتبية الاجتماعية بالمكان سريعًا.

نجح رونالد في أن يتولى واحدة من أفضل المهام في المقبرة. لقد مكَّنته خططه التلاعبية، والكثير من التملق، من أن يصبح مساعد الطيار. يقتصر عمله، في أغلب الأحيان، على تنظيف المروحية وملئها بالوقود، لكن مهمته يتخللها التلمذة عند الطيار.

ذات يوم يسمع كونر رونالد يخبر جماعة من المراهقين: «إنه يعلِّمني كيف أقودها».

يقشعر بدن كونر عندما يتصور رونالد خلف لوحة تحكم مروحية، لكن رونالد يثير إعجاب العديد من المراهقين. ترفع سنه مكانته، ويكسبه تلاعبه بمن حوله خوف الكثير منهم أو احترامهم. يستمد رونالد طاقته السلبية من المراهقين المحيطين به، ومن يسمحون له بذلك كثر.

لا يشكِّل التلاعب الاجتماعي إحدى نقاط قوة كونر. يراه فريقه غامضًا، ولا يعبث المراهقون به لأنهم يعلمون أنه لا يطيق الاستفزاز والحماقة. لكنهم لا يفضِّلون أن يحصلوا على دعم أحد سواه.

يقول هايدن: «تكسِبك نزاهتك إعجاب الآخرين رغم أنك صعب المراس».

يضحك كونر عند سماعه ذلك. هو؟ نزاهة؟ سيختلف الكثيرون ممن يعرفهم كونر مع هذا الرأي. لكن كونر يتغير. قلَّ عدد المشاجرات التي يخوضها. ربما يحدث ذلك لأن المكان هنا أكثر رحابة من المستودع. أو ربما لأنه يدرِّب عضلة عقله لتسيطر على اندفاعه. يرجع الفضل في كثير من ذلك إلى ريسا، لأنه في كل مرة يجبر فيها نفسه على أن يفكر قبل أن يتصرف، يسمع صوتها في عقله يخبره أن يتمهل. يريد كونر أن يخبرها بذلك، لكنها دائمًا منهمِكة في العمل في الطائرة الطبية. ثم إنه ليس من المعتاد أن تذهب إلى أحدهم فقط لتقول: لقد أصبحت شخصًا أفضل لأنك تشغل فكري.

لا تزال ريسا تشغل فكر رونالد أيضًا، وهذا يقلق كونر. في البداية كانت أداة لدفع كونر إلى قتاله، لكن رونالد الآن يراها جائزة. الآن، بدلًا من استخدام قوته الغاشمة ضدها يحاول سحرها في كل فرصة.

يسألها كونر ذات يوم، في إحدى المرات النادرة التي استطاع أن ينفرد بها: «لستِ منجذبة إليه، أليس كذلك؟».

تجيبه وقد أثار سؤاله اشمئزازها: «سأتظاهر بأنك لم تطرح هذا السؤال».

لكن كونر لديه أسباب تجعله يتساءل حول ذلك.

يقول: «في الليلة الأولى التي قضيناها هنا، عندما قدَّم لك ملحفه أخذتِه».

- لأن هذا سيجعله يشعر بالبرد.

- وعندما يعرض عليك طعامه تأخذينه.

- لأن هذا سيبقيه جائعًا.

يجد كونر هذا منطقيًا ويظهِر درجة عالية من ضبط النفس. من الرائع أنها تستطيع تنحية مشاعرها جانبًا، وتماثل رونالد مكرًا، فتغلِبه في لعبة هو سيدها. هذا سبب آخر يجعل كونر يعجب بها.

- نداء العمل!

يتجمع المُفكَّكون من أجل نداءات العمل مرة واحدة في الأسبوع تقريبًا أسفل مظلة الاجتماع. إنها البناء الوحيد في المقبرة الذي لا يشكِّل جزءًا من طائرة، وهي الموضع الوحيد بها الذي يسع 423 مراهقًا. إن نداء العمل فرصة للخروج إلى العالم الحقيقي، فرصة لتعيش الحياة. تقريبًا.

لا يحضر الأدميرال نداءات العمل أبدًا، لكن مظلة الاجتماع تشتمل على كاميرات مراقبة مثبَّتة، كما هو الحال في جميع أنحاء الساحة، حتى يدرك الجميع أنه يراقب ما يحدث. لا أحد يدري إن كانت تلك الكاميرات تُلاحَظ باستمرار أم لا، لكن احتمال أنهم مراقَبون قائم دائمًا. لم يرق الأدميرال لكونر عندما قابله أول مرة. وزادته رؤية كاميرات الفيديو بعد ذلك بقليل استياء منه. يبدو أنه بمرور الأيام يقوى شعور كونر بالسخط على هذا الرجل.

يقود أمب نداء العمل بمكبر الصوت ولوح كتابة.

يقول: «يحتاج رجل في أوريجن إلى فريق من خمسة فتية لقطع أشجار بضعة أفدان من غابة. ستُمنَحون المأكل والمسكن، وستُدرَّبون على استخدام أدوات العمل. ستستغرق المهمة بضعة أشهر، وفي النهاية ستحصلون على بطاقات هوية جديدة. بطاقات هوية بعمر الثامنة عشرة».

لا يخبرهم أمب أجر المهمة لأنه لا أجر لهم، بل يتقاضاه الأدميرال، يقبض الأدميرال ثمن البيع.

- هل من متقدمين؟

هناك دائمًا متقدمون. ترتفع عدة أيادٍ. معظمهم في السادسة عشرة. يرى من في السابعة عشرة أن الأمر لا يستحق العناء لأنهم قريبون من الثامنة عشرة، أما الصِّبية الأصغر سنًا فيتهيبون الأمر.

- سنبلِغ الأدميرال بعد هذا الاجتماع ليتخذ القرار النهائي بشأن من يذهب.

تثير نداءات العمل غضب كونر. لا يرفع يده حتى وإن وجد شيئًا قد يود فعله. يقول للمراهقين حوله: «إن الأدميرال يستغلنا. ألا ترون ذلك؟».

لا يعلِّق أحدهم بشيء، لكن هايدن بينهم، وهو لا يفوت أي فرصة للإدلاء بحكمته الفريدة أبدًا.

يقول هايدن: «أفضِّل أن أُستغل تامًّا لا مُقطَّعًا».

ينظر أمب إلى لوح الكتابة ويرفع مكبر الصوت من جديد قائلًا: «يلزم ثلاثة منكم لخدمات التنظيف المنزلي، يُفضَّل أن يكونوا فتيات. لا توجد بطاقات هوية مزوَّرة، لكن الموقع آمن وبعيد. ستكن في مأمن بعيدًا عن ضباط شرطة الأحداث إلى أن تبلغن الثامنة عشرة».

لا يريد كونر أن ينظر حتى. يقول: «رجاءً أخبرني ألا أحد رفع يده».

يقول هايدن: «ست فتيات تقريبًا. جميعهن فيما يبدو في السابعة عشرة. أظن أنه لا تريد أي منهن أن تصبح خادمة لأكثر من عام».

- هذا المكان ليس مأوى، إنه سوق للعبيد. لمَ لا يرى الآخرون ذلك؟

- من قال إنهم لا يرون؟ المسألة أن التفكيك يجعل العبودية لا بأس بها، إنه أهون الشرَّين.

- لا أدري لمَ يجب أن يكون هناك شرَّان في الأساس.

عندما ينتهي الاجتماع يشعر كونر بيد أحدهم على كتفه. يعتقد أنها يد صديق، لكنها ليست كذلك. إنه رونالد. يتفاجأ كونر، حتى إنه يتوقف قليلًا قبل أن يأتي برد، ثم يدفع يد رونالد بعيدًا، ويقول: «أتريد شيئًا؟».

- التحدث قليلًا.

- أليس هناك مروحية يجب عليك تنظيفها؟

يبتسم رونالد، يقول: «قلَّ التنظيف وكثرَ الطيران؛ لقد جعلني كليفر مساعد الطيار غير الرسمي».

- يبدو أن كليفر لا يكترث لحياته.

لا يدري كونر أيهما يكره أكثر، رونالد، أم الطيار الذي خدعه.

ينظر رونالد حوله، يرى الحشد قد تفرق. يقول: «ما يقوم به الأدميرال هنا احتيال، أليس كذلك؟ لا يكترث جل الحمقى هنا بذلك، لكن الأمر يزعجك، أليس كذلك؟».

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنك لست الوحيد الذي يرى أن نظام عمل الأدميرال يحتاج إلى بعض... التحديث.

لا يروق كونر إلى أين يتجه هذا الحديث. يقول: «رأيي في الأدميرال هو شأني الخاص».

- بالطبع إنه كذلك. بالمناسبة، هل رأيت أسنانه؟
- ماذا بها؟
- يبدو واضحًا أنها ليست أسنانه. سمعت أنه يبقي صورة الفتى الذي حصل على أسنانه في مكتبه. كان الفتى مُفكَّكًا مثلنا، وبسببه لم ينجُ حتى الثامنة عشرة. يجعلك ذلك تتساءل ما قدر ما بجسده منا. يجعلك ذلك تتساءل إن تبقى شيء من الأدميرال الأصلي على الإطلاق.

هذا القدْر من المعلومات كثير ليحلِّله كونر هنا والآن. ونظرًا إلى مصدرها فإن كونر لا يريد أن يشغل باله بها بأي حال، لكنه يعلم أنه سيفعل.

- رونالد، دعني أوضح لك الأمر قدر المستطاع. أنا لا أثق بك. أنا لا أستلطفك. أنا لا أريد أن تكون لي أي علاقة بك.

يقول رونالد: «أنا لا أطيقك أيضًا».

ثم يشير إلى طائرة الأدميرال قائلًا: «لكن الآن عدونا واحد».

يبتعد رونالد قبل أن يلحظ أحد محادثتهما، تاركًا كونر يشعر بثقل في معدته. إن احتمال اتفاقه مع رونالد، بأي شكل من الأشكال، يجعله يشعر كما لو أنه قد ابتلع شيئًا نتنًا.

تنمو البذرة التي زرعها رونالد في عقل كونر على مدار أسبوع. لقد وجدت بذرته تربة خصبة لأن كونر لا يثق في الأدميرال بالفعل. الآن عندما يرى كونر الرجل يلحظ شيئًا، إن أسنانه مثالية، لا تشبه أسنان أحد المحارِبين المخضرَمين المسنين. عندما ينظر إليهم، يدقق النظر في أعينهم، كما لو أنه يقيس أبعادها باحثًا عن زوجين ملائمين له. والمراهقون الذين لا بد أنهم اختفوا في نداءات العمل، لأنهم لم يعودوا قط، من يدري أين ذهبوا؟ من يجزم بأنهم لم يُرسَلوا إلى التفكيك؟ يقول الأدميرال إن هدفه إنقاذ المُفكَّكين، لكن ماذا لو كان يملك أجندة مختلفة كليًّا؟ تبقي هذه الأفكار كونر مستيقظًا طوال

الليل، لكنه لن يشاركها أحدًا، لأنه إن فعل ذلك فسيغَد متحالفًا مع رونالد: لا يود كونر أن يعقد مثل ذلك التحالف أبدًا.

في أثناء أسبوعهم الرابع في المقبرة، بينما يقيم كونر دعوى ضد الأدميرال داخل عقله، تصل طائرة. إنها أول طائرة تصل بعد الطائرة الفيديكس القديمة التي نقلتهم إلى هنا. تأتي مثلها ملأى ببضائع حية. بينما يقود الخمسة الذهبيون الوافدين الجدد المغادرين الطائرة، يعمل كونر على تصليح مولِّد معطَّل. يراقبهم ببعض الاهتمام، يتساءل من منهم قد يفوقه في المهارة الميكانيكية، ويدفعه إلى مهمة أخرى لا يُحسد عليها.

بالقرب من نهاية صف المراهقين، يرى وجهًا يظن أنه يعرفه. هل هو فتى من بلدته؟ لا، إنه فتى آخر. ثم يدرك فجأة من هذا... إنه الفتى الذي لم يكن يخامره شك في أنه فُكِّك قبل أسابيع. إنه الفتى الذي اختطفه لينقذ حياته. إنه ليف!

يلقي كونر مفك الربط الذي يحمله ويركض نحوه، ثم يضبط فيض مشاعره المتضاربة قبل أن يصل إليه، ويدفنها أسفل سيره المتئد. هذا الفتى خدعه. هذا هو الفتى الذي أقسم يومًا إنه لن يسامحه أبدًا، لكن فكرة أنه فُكِّك لم تكن شيئًا يطيقه. لكن ليف لم يُفكَّك، إنه هنا، يتجه إلى طائرة الإمدادات. يشعر كونر بالسعادة. يشعر كونر بالغضب.

لم يرَه ليف بعد وهذا جيد، لأنه يمنح كونر بعض الوقت ليستوعب ما يراه. لم يعد هذا الفتى العُشر المهندَم الذي سحبه من سيارة والديه قبل أكثر من شهرين، شعره طويل مشعث ووجهه صارم. لا يرتدي هذا الفتى ثياب العُشر البيضاء، بل بنطال جينز ممزقًا وقميصًا أحمر قذرًا. يريده كونر أن يمر كي يحظى ببعض الوقت ليحلل تلك الصورة الجديدة، لكن ليف يراه، ويبتسم له من فوره. هذا أيضًا مختلف، لأنه في تلك الفترة الوجيزة التي قضياها معًا، لم يسُر ليف وجود كونر قط.

يتجه ليف نحوه.

يأمره أمب قائلًا: «ابقَ في الصف! طائرة الإمدادات في هذا الاتجاه».

يقول كونر: «لا بأس. أنا أعرفه».

يوافق أمب على مضض، يقول: «تأكد من ذهابه إلى طائرة الإمدادات».

ثم يعود إلى قيادة الباقين.

يقول ليف: «إذًا كيف الحال؟».

هكذا فجأة. كيف الحال. كما لو أنهما صديقان عادا من عطلة الصيف.

يعلم كونر ما يجب عليه فعله. إنه الشيء الوحيد الذي سيصلح بينه وبين ليف. يتبع حدسه مرة أخرى دون وقت للتفكير. إنه حدس لا رعونة، شعور عميق لا تهور. لقد أدرك كونر الفارق.

يبتعد قليلًا ليلكم عين ليف بقوة تكفي لتدير رأسه جانبًا، وأن تصيبه بكدمة دميمة، لا أن تطرحه أرضًا. قبل أن يتسنى لليف الفرصة للرد على ذلك يقول كونر: «**هذه** من أجل ما فعلته بنا».

وقبل أن يجيبه ليف، يفعل شيئًا مفاجئًا غير متوقَّع، يجذب ليف ناحيته ويحتضنه، كما احتضن شقيقه الصغير عندما حصل على المركز الأول في بطولة المدارس للسباق الخماسي العام الماضي.

يقول: «أنا حقًا **حقًا** سعيد لأنك على قيد الحياة يا ليف».

- أجل. أنا أيضًا.

يفلته كونر قبل أن يبدو الأمر غريبًا، ويرى عينه بدأت تتورم بالفعل. عندئذ تخطر له فكرة.

- هيا، سأصطحبك إلى الطائرة الطبية. أعرف من يمكنه الاعتناء بتلك العين.

في وقت لاحق من تلك الليلة، ينتبه كونر إلى كم تغير ليف حقًا. يهز أحدهم كونر ليستيقظ ليلًا. يفتح عينيه ليقابله ضوء كشاف يدوي مسلط على وجهه من قرب يؤلم عينيه.

- أنت! من هناك؟

يسمع صوتًا خلف الكشاف اليدوي يقول: «ششش. أنا ليف».

كان يجب على ليف أن يكون في طائرة الوافدين الجدد، حيث يبقون إلى أن تُحدَّد فِرقهم. هناك تعليمات مشدَّدة بألا يغادر أحد طائرته في الليل. يبدو واضحًا أن ليف لم يعد يبالي بالقوانين.

يقول كونر: «ما الذي تفعله هنا؟ هل تدرك المشكلة التي قد تقع فيها؟».

لا يزال لا يستطيع رؤية وجه ليف خلف الكشاف اليدوي.

يقول ليف: «لقد ضربتني ظهيرة اليوم».

- ضربتك لأن ما فعلته يستأهل ذلك.

- أعلم. لقد استحققت تلك اللكمة، ولا بأس بالأمر. لكن إياك أن تضربني مجددًا **أبدًا**، وإلا فستندم.

على الرغم من أن كونر لا نية لديه في لكم ليف مجددًا، فإن الإنذارات النهائية لا تروقه.

يقول كونر: «سأضربك عندما تستحق الضرب».

لا يصل إليه رد من خلف الكشاف اليدوي، ثم يقول ليف: «هذا معقول. لكن لتتحقق جيدًا أنني أستحقه».

ينطفئ الضوء ويغادر ليف، لكن كونر لا يستطيع العودة إلى النوم. لدى كل مُفكَّك قصة خاصة مؤلمة. يبدو أن ليف أصبح يملك قصته الآن.

يستدعي الأدميرال كونر بعد يومين من ذلك. يبدو أن هناك ما يلزمه تصليح. يقع مقر الأدميرال في طائرة بوينج 747 قديمة، كانت تُستخدم كطائرة رئاسية قبل أن يولَد جميع المراهقين هنا. لقد أُزيلت محركاتها والختم الرئاسي الذي يُطلَى عليها، لكن أثر الشعار أسفل الطلاء لا يزال من الممكن رؤيته.

يصعد كونر الدرج معه حقيبة المُعدات، يأمل أن يتمكن من إتمام الأمر، أيًّا يكن، سريعًا. إنه، مثل الجميع، ينتابه فضول شديد حول الرجل، ويتساءل كيف تبدو طائرة رئاسية قديمة من الداخل، لكن خضوعه لتدقيق الأدميرال يثير ذعره.

عندما يجتاز باب الطائرة يجد فتيين بالداخل ينظفانها. إنهما فتيان أصغر سنًّا لا يعرفهما كونر. لقد ظن أنه سيجد الذهبيين هنا، لكن لا وجود لهم، أما الطائرة فهي بعيدة كل البعد عن الفخامة التي توقعها كونر. المقاعد الجلدية مشقَّقة، والسجادة بالية. تبدو كمنزل متنقل قديم أكثر منها طائرة رئاسية.

- أين الأدميرال؟

يخرج الأدميرال من إحدى زوايا الطائرة البعيدة. على الرغم من أن عينَي كونر لا تزالان تتكيفان مع الضوء، فإنه يستطيع أن يرى الأدميرال يحمل مسدسًا.

- كونر! تسعدني رؤيتك هنا.

يجفل كونر عند رؤية المسدس، وعندما يجد أن الأدميرال يعرف اسمه. يقول كونر مشيرًا إلى المسدس: «فيمَ تحتاج إلى ذلك؟».

يقول الأدميرال: «أنا فقط أنظفه».

يتساءل كونر لمَ لمْ يزِل مخزن ذخيرة مسدس ينظفه، لكنه يقرر ألا يسأل عن الأمر. يضع الأدميرال المسدس في أحد الأدراج ويقفله، ثم يصرف الفتيين ويغلق باب الطائرة خلفهما. هذا بالضبط ما كان يخشاه كونر. الآن يشعر بالأدرينالين يوخز أصابع يديه وقدميه، ويزيده تيقظًا.

- هل تريدني أن أصلح شيئًا يا سيدي؟

- نعم، بالفعل. مكنة القهوة الخاصة بي.

- لم لا تأخذ واحدة من الطائرات الأخرى؟

يقول الأدميرال بهدوء: «لأنني أفضِّل تصليح هذه».

ثم يقود كونر عبر الطائرة التي تبدو أكبر من الداخل منها بالخارج، وتملؤها الكبائن، وقاعات الاجتماعات، والمكاتب.

يقول الأدميرال: «إن اسمك يصل إليَّ كثيرًا. أتدري بذلك؟».

لم يكن كونر يدري بذلك، ولا تسره معرفته.

- لماذا؟

- أولًا، بسبب الأشياء التي تصلحها، ثم الشجار.

يتوقع كونر تقريعًا وشيكًا. إن الشجارات التي خاضها هنا أقل من المعتاد، لكن الأدميرال يعتمد سياسة صارمة لا تتسامح في ذلك.

- آسف بشأن الشجار.

- لا داعي لذلك. إن طائرك يطير سريعًا لا شك، لكنك، في أغلب الأحيان، توجِّهه إلى الجهة الصحيحة.

- لا أفهم ما تعنيه يا سيدي.

يقول الأدميرال: «أرى أن كل مشاجرة خضتها، ربحتها أو خسرتها، قد عالجت إحدى المشكلات. على من الرغم من الشجار، فإنك تصلح الأمور».

ثم يمنح كونر ابتسامة تظهِر أسنانه اللامعة. يقشعر بدن كونر. يحاول أن يخفي ارتجافه، لكنه يعلم أن الأدميرال يلحظه.

يصلان إلى غرفة طعام صغيرة ومطبخ. يقول الأدميرال: «ها قد وصلنا».

تستقر مكنة القهوة القديمة على المنضدة. إنها جهاز بسيط. يوشك كونر أن يسحب مفك براغي ليفتح المكنة، لكنه يلحظ أنها ليست موصَلة بالمقبس الكهربائي. عندما يوصِلها يُشعَل ضوء المكنة، وتأخذ في صب القهوة في الإناء الزجاجي الصغير.

يقول الأدميرال مبتسمًا ابتسامته المريعة: «حسنًا، هذا مفاجئ».

- أنا لست هنا من أجل مكنة القهوة، أليس كذلك؟

يقول الأدميرال: «تفضل بالجلوس».

- أفضِّل ألا أفعل.

- اجلس على أي حال.

عندئذ يرى كونر الصورة. هناك عدة صور معلَّقة على الحائط، لكن ما يجذب انتباهه هو صورة فتى مبتسم في مثل عمره تقريبًا. تبدو ابتسامته مألوفة. في الواقع، إنها تشبه ابتسامة الأدميرال *تمامًا*. كما قال رونالد بالضبط!

يريد كونر أن يلوذ بالفرار من هذا المكان، لكنه يسمع صوت ريسا في عقله مجددًا، يخبره أن يمعن النظر في الخيارات المتاحة أمامه.

يستطيع الركض بالطبع. يستطيع الوصول إلى باب الطائرة قبل أن يوقِفه الأدميرال، لكن فتحه لن يكون سهلًا. يمكنه أن يضرب الأدميرال بواحدة من أدواته. قد يمنحه ذلك بعض الوقت للابتعاد. لكن إلى أين سيذهب؟ توجد المقبرة وسط صحراء واسعة. هكذا يدرك، في نهاية الأمر، أن خياره الأفضل هو أن يفعل ما طلبه الأدميرال، ويجلس.

يسأله الأدميرال: «أنت لا تستلطفني، أليس كذلك؟».

لا ينظر كونر إلى عينيه، يقول: «لقد أنقذت حياتي بإحضاري إلى هنا...».

- لن تتهرب من إجابة هذا السؤال. أنت لا تستلطفني، أليس كذلك؟

يقشعر بدن كونر مجددًا، ولا يحاول إخفاء الأمر هذه المرة: «بلى يا سيدي، أنا لا أستلطفك».

- أريد أن أعرف ما الذي يدفعك إلى ذلك.

يجيبه كونر بضحكة خافتة كئيبة.

يقول الأدميرال: «تظن أنني تاجر عبيد، وأستغل المُفكَّكين من أجل مصلحتي الخاصة؟».

- إن كنت تدري ما سأقول فلمَ تسألني؟

- أريدك أن تنظر إليَّ.

لكن كونر لا يريد أن يرى عينَي الرجل. أو بالأحرى لا يريد أن يرى الأدميرال عينيه.

- أخبرتك أن تنظر إليَّ!

يرفع كونر بصره على مضض ويحدق إلى عينَي الأدميرال، يقول: «ها أنا أفعل».

- أعتقد أنك فتى ذكي. أريد منك الآن أن تفكر. **فكر**! أنا أدميرال بالبحرية الأمريكية مُقلَّد بالأوسمة. هل تظن أنني بحاجة إلى بيع الصبية لأجني المال؟

- لا أدري.

- **فكر**! هل يبدو أنني أبالي بالمال أو الفاخر من الأشياء؟ أنا لا أعيش في قصر. لست في عطلة بجزيرة استوائية. أنا أقضي وقتي في هذه الصحراء الكريهة، وأعيش في طائرة خربة طوال العام. لمَ يحدث هذا في رأيك؟

- لا أدري!

- أعتقد أنك تدري.

على الرغم من نبرة صوت الأدميرال، فإن كونر يشعر أن ذعره منه يقل شيئًا فشيئًا. يقف كونر الآن، ويقرر أن يجيب سؤال الأدميرال، سواء أكان في ذلك حكمة أم اندفاع.

- أنت تفعل ذلك من أجل السلطة. أنت تفعل ذلك لأنه يجعل مئات المراهقين اليائسين تحت سيطرتك الكاملة. أنت تفعل ذلك لأنه يُمكّنك من انتقاء من سيُفكّك، وأي أجزاء ستحصل عليها.

يأخذ هذا الجواب الأدميرال على حين غرة. لقد أصبح مُهاجَمًا فجأة، وعليه أن يدافع عن نفسه.

يقول: «ماذا قلت؟».

- الأمر واضح! كل هذه الندوب وهذه الأسنان! إنها ليست أسنانك الحقيقية، أليس كذلك؟ إذًا ما الذي تريده مني؟ عينيَّ أم أذنيَّ؟ أو ربما يديَّ اللتين تجيدان تصليح الأشياء؟ هل لهذا السبب طلبت مجيئي إلى هنا؟ هل هذا صحيح؟

يهدر صوت الأدميرال قائلًا: «لقد تماديت كثيرًا».

- لا، لقد تماديت **أنت** كثيرًا.

لا يخيف الغضب الذي يبدو في عينَي الأدميرال كونر لأن طائره قد طار، ولم يعد التحكم به ممكنًا.

- نأتي إليك يائسين! إن ما تفعله بنا هو... هو... شائن!

- إذًا أنا وحش!

- أجل!

- وأسناني هي الدليل على ذلك.

- أجل!

- إذًا يمكنك أخذها!

ثم يفعل الأدميرال ما يتعذر تصوره. يمد يده في فمه، يمسك بفكه، وينزع أسنانه. ينظر الأدميرال إلى كونر بعينين تتوهجان ويلقي الشيء الصلب الوردي على المنضدة. تصدِر قطعتاه طقطقة عندما تسقطان عليها.

يصرخ كونر مذهولًا لما رأى. لقد أخرجها كلها، صفين من الأسنان، بلثتين ورديتين، لا دماء بهما. لم لا توجد دماء؟ لا توجد دماء بفم الأدميرال أيضًا. يبدو أن وجهه قد انكفأ على نفسه، وأصبح فمه فجوة مترهلة مجعّدة. لا يدري أيهما أكثر سوءًا، وجه الأدميرال أم أسنانه غير النازفة.

يقول الأدميرال: «هذا يُسمى طاقم أسنان. كانت أطقم الأسنان شائعة في زمن ما قبل التفكيك. لكن من قد يرغب في أسنان اصطناعية، في حين أنه يستطيع الحصول على أسنان حقيقية من مُفكَّك مُعافى، مقابل نصف الثمن؟ لقد كلفت بصنع هذا الطاقم خصيصى في تايلاند. لم يعد أحد يصنعه هنا».

- أنا... أنا لا أفهم...

ينظر كونر إلى الأسنان الاصطناعية، ثم يتجه نظره سريعًا، وقبل أن يدرك الأمر، إلى صورة الفتى المبتسم.

يتبع الأدميرال نظره. يقول: «هذا ابني الراحل. كانت أسنانه تشبه أسناني كثيرًا في ذلك العمر. لقد صُمِّم طاقم أسناني وفقًا لسجلات أسنان ابني».

يشعر كونر بالارتياح عند سماعه تفسيرًا يخالف التفسير الذي ذكره رونالد.

- أنا آسف.

لا يجيب الأدميرال اعتذار كونر بالقبول أو الرفض.

- يُستخدَم المال الذي أحصل عليه من الخدمات التي يقدمها بعض المُفكَّكين في إطعام الباقين منهم، وفي توفير المخابئ والمستودعات التي تأوي المُفكَّكين الهاربين. يدفع ذلك المال ثمن الطائرات التي تحضِرهم إلى هنا، والرشاوى التي يجب دفعها لمن يطلبها ليغض الطرف عما يحدث. بعد ذلك، يحصل كل مُفكَّك على جزء من الأموال التي تتبقى عندما يبلغ الثامنة عشرة، ويخرج إلى هذا العالم الذي لا يرحم. قد يجعل هذا مني تاجر عبيد، وفقًا لتعريفك للكلمة، لكنني لست الوحش الذي تظنه.

ينظر كونر إلى طاقم الأسنان، الذي لا يزال في موضعه على الطاولة يلمع. يفكر في أن يمسك به ليعيده إلى الأدميرال كبادرة لعقد السلام، لكنه يجد الأمر مقززًا. لهذا يدع الأدميرال يقوم بذلك بنفسه.

يسأله الأدميرال: «هل تصدق ما أخبرتك به اليوم؟».

يحاول كونر تأمل الأمر، لكن بوصلته قد خربت، تموج الحقيقة والشائعات، والواقع والأكاذيب داخل عقله حتى لم يعد بإمكانه التفريق بينهم.

يقول: «أظن ذلك».

يقول الأدميرال: «بل عليك أن **تصدق** ذلك، لأنك سترى اليوم ما هو أكثر فظاعة من الأسنان الاصطناعية لرجل مسن. يجب أن يتأكد لي أن ثقتي بك في محلها».

على بعد نصف ميل، بالممر الرابع عشر، في البقعة الثانية والثلاثين، تستقر الطائرة الفيديكس في موضعها، لم تتحرك منذ أن نُقلت إلى هنا قبل ما يزيد على شهر.

يطلب الأدميرال من كونر أن يقود عربة الجولف الخاصة به إلى الطائرة، بعد أن أخذ مسدسه من خزانته، كإجراء احترازي.

هناك خمسة أكوام من التراب، مميَّزة بشواهد قبور بدائية أسفل جناح الطائرة الفيديكس الأيمن. هؤلاء هم الفتية الخمسة الذين اختنقوا في أثناء رحلتهم. وجودهم هنا يجعل من هذا المكان مقبرة حقًّا.

باب مخزن الطائرة مفتوح. يقول الأدميرال بعد أن توقفا: «ادخل الطائرة واذهب إلى الحاوية رقم 2933، ثم عُد مجددًا. سنتحدث».

- ألن تأتي؟

- سبق أن ذهبت بالفعل.

يناوله الأدميرال كشافًا يدويًا، ويقول: «ستحتاج إلى هذا».

يقف كونر على سطح العربة، ثم يجتاز باب المخزن، ويشعِل الكشاف اليدوي. عندئذ يقشعر بدنه من الذكرى. يبدو المخزن كما كان قبل شهر تمامًا. حاوياته مفتوحة وبه مسحة من رائحة بول، هذه مخلفات خروجهم من رَحِمه. يسير كونر مارًّا بالحاوية التي شغلها مع هايدن وإمبي ودييجو، حتى يصل إلى الحاوية رقم 2933. كانت واحدة من أوائل الحاويات التي حُمِّلت. بابها مفتوح قليلًا. يفتحه كونر على مصراعيه، ويوجِّه ضوء كشافه إلى الداخل.

عندما يبصر ما بداخلها يصرخ، ويرتد إلى الخلف مترنحًا، فيصطدم رأسه بالحاوية خلفه. كان من الممكن أن يحذِّره الأدميرال لكنه لم يفعل. *حسنًا. حسنًا. هذا ما رأيته حقًّا. لا يمكنني فعل شيء حيال الأمر. ولا شيء هنا يمكنه إيذائي.* رغم ذلك، يلزمه بعض الوقت ليتأهب للنظر ثانية.

هناك خمسة مراهقين موتى في الحاوية. جميعهم في السابعة عشرة. يرى أمب، وجيفز، وبجوارهما كيفن، ومليندا، وراول، المراهقين الثلاثة المسؤولين عن تحديد المهام، الذين قابلوهم في أول يوم لهم هنا. إنهم الخمسة الذهبيون. لا أثر لدماء أو جروح بجثثهم. يبدون نائمين، لكن عينَي أمب مفتوحتان تحدقان إلى لا شيء. تهز الصدمة كونر. هل فعل الأدميرال ذلك؟ هل هو أحد المخبولين في نهاية الأمر؟ لكن لم قد يفعل ذلك؟ لا، لا بد أن هناك شيئًا آخر وراء ما حدث.

عندما يغادر كونر الطائرة يرى الأدميرال يظهِر احترامه لأرواح الفتية الخمسة، الذين دُفنوا بالفعل أسفل الجناح، يضبط الشواهد ويسوِّي التراب.

يخبره الأدميرال: «اختفوا البارحة. عثرت عليهم في الحاوية هذا الصباح. كانت مقفلة. لقد اختنقوا مثلما اختنق الخمسة الأولون. إنها الحاوية نفسها».

- من قد يفعل شيئًا كهذا؟

يقول الأدميرال: «حقًّا».

يلتفت إلى كونر بعد أن انتهى من الأضرحة. يقول: «أيًّا كان من فعل ذلك فقد قتل المراهقين الخمسة الأكثر سلطة، هذا يعني أن من فعل ذلك يريد أن يُفكِّك هيكل السلطة هنا على نحو منهجي، ليتمكن من الوصول إلى قمته بسرعة أكبر».

يعرف كونر مُفكِّكًا واحدًا يستطيع فعل ذلك، لكن يصعب عليه تصديق أن رونالد قد يفعل شيئًا بتلك الفظاعة.

يقول الأدميرال: «قصدوا أن أكون من يعثر عليهم. لقد تركوا عربة الجولف هنا هذا الصباح من أجل ذلك. لا يعني هذا التصرف سوى إعلان الحرب يا كونر. لقد وجَّهوا ضربة عسكرية جراحية. كان أولئك الخمسة عينيَّ وأذنيَّ بين المراهقين هنا. الآن فقدتهم».

يتوقف الأدميرال قليلًا لينظر إلى كوة مخزن الطائرة المظلمة، ويقول: «سنعود أنا وأنت الليلة إلى هنا لندفنهم».

يقبل كونر الأمر على مضض. يتساءل من قد أغضب في الجنة ليختاره الأدميرال ملازمه الجديد.

يقول الأدميرال: «سندفنهم بعيدًا، ولن نخبر أحدًا بموتهم. إن ذاع الخبر فسنمنح الجناة انتصارهم الأول. إن بدأ أحدهم الحديث عن الأمر -وهذا سيحدث حتمًا- سنتتبع الأقاويل حتى نصل إلى المذنبين».

يقول كونر: «ثم ماذا؟».

- ثم ستُحقَّق العدالة. يجب أن يظل الأمر سرًّا بيننا حتى يحين ذلك.

بينما يعيد كونر الأدميرال إلى طائرته سائقًا عربة الجولف، يخبره الأدميرال بما يريده بالضبط: «أنا في حاجة إلى طاقم جديد من الأعين والآذان. أريد من يبقيني على اطلاع بالأوضاع. أريد من يكتشف الذئب في القطيع. أريدك أن تفعل هذا من أجلي».

- إذًا تريدني أن أصبح جاسوسك؟

- في صف من أنت؟ في صفي أم في صف من فعلوا ذلك؟

الآن يدرك كونر لمَ أحضره الأدميرال إلى هنا، وأرغمه على رؤية ما رأى بنفسه. إن سماعه الأمر شيء، واكتشافه الجثث بنفسه شيء آخر تمامًا. لقد أدرك كونر بقسوة أين يكون ولاؤه.

يسأله كونر: «لمَ اخترتني؟».

يمنحه الأدميرال واحدة من ابتساماته التي تظهِر طاقم أسنانه اللامع، ويقول: «لأنك يا صديقي أهون الشرور جميعًا».

***

في صباح اليوم التالي، يعلن الأدميرال أنه أرسل الذهبيين لتجهيز مخابئ جديدة. يراقب كونر رونالد في أثناء ذلك. قد يبتسم أو يلقي نظرة سريعة نحو أحد أعوانه، لكنه لا يجد شيئًا، لا تصدر عن رونالد أي إشارة تشي بأنه يعلم حقًّا ما حدث للذهبيين. في الواقع إنه لا يبدي أي اهتمام، ومنصرف الانتباه طيلة فترة الإعلانات الصباحية، كما لو أنه لا يطيق الانتظار حتى تنقضي. ثمة سبب وجيه لذلك. إن تلمذة رونالد عند كليفر طيار المروحية تؤتي ثمارها. لقد تعلم رونالد قيادة المروحية كمحترف في خلال الأسابيع القليلة الماضية. ويقدِّم، في غياب كليفر، رحلات مجانية بالمروحية لمن يرى أنه يستحقها من المراهقين. يقول إن كليفر لا يمانع في ذلك، لكنه على الأرجح لا يدري به.

ظن كونر أن الرحلات التي يقدِّمها رونالد ستقتصر على المراهقين المقرَّبين منه، لكن الأمر ليس كذلك. يكافئ رونالد المراهقين الذين يؤدون مهامهم بإتقان، حتى وإن كان لا يعرفهم. يكافئ من يظهِرون الولاء لِفرقهم. ويسمح لآخرين بالتصويت على من يجب أن يحظى بجولة تحليق منخفض بالمروحية فوق الساحة. خلاصة القول، يتصرف رونالد كما لو أنه المسؤول هنا، لا الأدميرال.

في وجود الأدميرال يتظاهر رونالد بالطاعة، لكن عندما يلتف المراهقون حوله -هناك دائمًا من يلتف حول رونالد- فإنه ينتهز كل فرصة لذم الرجل. يقول: «إن الأدميرال لا يشعر بنا. إنه لا يدري ماذا يعني أن تكون واحدًا منا. لا يمكنه أن يفهم من نحن وإلى ماذا نحتاج».

يهمس إلى جماعة المراهقين، الذين استمالهم إليه، بنظرياته حول أسنان الأدميرال، وندوبه، وخططه الماكرة بشأنهم جميعًا. هكذا يبث الخوف والارتياب بينهم، ويستخدمهما ليوحِّد أكبر عدد ممكن منهم.

يعض كونر على شفته ليكظم غيظه عندما يسمع رونالد يتبجح في حديثه. إن صرح برأيه دفاعًا عن الأدميرال فسيعلم رونالد في صف من هو.

تتضمن المقبرة طائرة ترفيهية بالقرب من مظلة الاجتماع، بداخلها تلفازات وأجهزة إلكترونية، وأسفل جناحيها طاولات بلياردو، وآلة لعب الكرة والدبابيس، وأثاث مريح إلى حد معقول. اقترح كونر إعداد بخاخ رذاذ ليلطِّف حرارة المنطقة التي تقع أسفل الجناحين قليلًا في خلال اليوم. لكن هدفه الرئيس من ذلك الاقتراح هو مراقبة ما يحدث كذبابة على الحائط، يستمع إلى المحادثات، ويصنِّف الجماعات، ويرصد ما يحدث دون أن يلقي أحد لوجوده بالًا. لكن كونر أبعد ما يكون عن ذبابة على الحائط. وعوضًا عن ذلك، يصبح عمله محور الاهتمام. يبدي المراهقون استعدادًا لمساعدته كأنه توم سوير يطلي السياج. جميعهم يرونه قائدًا، في حين أن كل ما يريده هو أن يدعوه وشأنه. إنه ممتن لأنه لم يخبر أحدًا أنه المدعو إوُول آكرون. تقول الشائعات الحالية إن إوُول آكرون تصدى لفيلق كامل من ضباط شرطة الأحداث، وتفوق على الحرس الوطني، وحرر المُفكَّكين في عدد من مخيمات الحصاد. يحظى كونر باهتمام كافٍ دون حاجة إلى أن يواجه ذلك النوع من الشهرة.

بينما يعمل كونر على تثبيت أنبوب بخاخ الرذاذ، يراقبه رونالد من طاولة البلياردو، ثم يترك العصا ويقترب منه.

يقول رونالد بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه الصبية حولهما: «يا لك من نحلة عاملة مُجدة».

يقف كونر على سلم نقال، يربط أنبوب بخاخ الرذاذ بجانب الجناح السفلي. يشعر بالرضا لأنه سيواصل هذه المحادثة ناظرًا إلى رونالد من الأعلى.

يقول كونر: «أنا فقط أحاول أن أجعل الحياة أكثر يسرًا. يلزمنا بخاخ رذاذ هنا. لا نريد أن **يختنق** أحد في هذه الحرارة».

يظل وجه رونالد على جموده. يقول: «يبدو أنك أصبحت فتى الأدميرال الذهبي الجديد في غياب الآخرين».

ينظر حوله ليتأكد له أنه يحظى بانتباه الجميع، ثم يكمل قائلًا: «لقد رأيتك تصعد إلى طائرته».

يقول كونر: «احتاج إلى تصليح بعض الأشياء فصلَّحتها. هذا كل ما في الأمر».

قبل أن يتابع رونالد استجوابه يقول هايدن عند طاولة البلياردو: «ليس كونر الوحيد الذي يصعد إلى هناك. يدخل الكثيرون طائرته ويخرجون منها طوال الوقت. منهم من يحضر الطعام، ومنهم من ينظف. لقد سمعت أنه يبدي بعض الاهتمام بفم أحمق نعرفه جميعًا ونحبه».

تتجه جميع الأنظار إلى إمبي، الذي لم يفارق آلة لعب الكرة والدبابيس منذ وصوله.

- ماذا؟

يقول هايدن: «لقد صعدت إلى الأدميرال، أليس كذلك؟ لا تنكر!».

- إذًا؟

- إذًا ما الذي يريده؟ جميعنا نود أن نعرف.

يتململ إمبي، يربِكه أن يصبح محط الأنظار.

يقول: «سألني عن عائلتي وما إلى ذلك».

لم يكن كونر يدري بذلك. ربما يبحث الأدميرال عن شخص آخر ليساعده في التوصل إلى القاتل. إن الانتباه الذي يحظى به إمبي أقل من كونر بالطبع، لكن لتنجح ذبابة على الحائط في أداء مهمتها يجب ألا تكون ذبابة على الحائط حقًا.

يقول رونالد: «أنا أدري ماذا هناك. إنه يريد شعرك».

- لا يريده!

- يقل شعر الرجل كثافة، أليس كذلك؟ في حين أنك تملك كومة الشعر الكثيف تلك. سيحصل الرجل المسن على فروة رأسك، ثم سيرسل باقي جسدك إلى التفكيك!

- اصمت!

يضحك معظم الحاضرين. إنها مزحة بالطبع، لكن كونر يتساءل كم منهم يظن أن رونالد قد يكون محقًّا فيما يقول. لا بد أن إمبي أيضًا يشك في ذلك لأنه يبدو شاحبًا. يحتدم كونر غضبًا.

يقول كونر: «لا بأس. أزعجْ إمبي. أظهِرْ للجميع مدى انحطاطك».

يهبط السلم، ويقف أمام رونالد وجهًا لوجه، يكمل قائلًا: «ألم تلحظ أن أمب ترك مكبر الصوت؟ لم لا تحل محله؟ يجعلك هذا الفم الثرثار الصاخب الأكفأ لمهمة كتلك».

يجيبه رونالد دون أن يزور وجهه شبح ابتسامة قائلًا: «لم يُطلب مني ذلك».

في تلك الليلة يعقد الأدميرال اجتماعًا سريًّا مع كونر في مقره، ويرتشفان قهوة من صُنع آلة زُعم أنها معطَّلة. يتحدثان عن رونالد وشكوك كونر به، لكن الأدميرال غير راضٍ.

يقول: «لا أريد شكًّا، بل إثباتًا. لا يكفيني ما تشعر به. تلزمني أدلة».

ثم يضيف بعض الويسكي من قارورة إلى قهوته.

عندما ينهي كونر تقريره يقف ليغادر، لكن الأدميرال لا يدعه يرحل. يصب من أجله قدح قهوة آخر، سيبقيه مستيقظًا طوال الليل. لا يظن كونر أنه سيتمكن من النوم هذه الليلة على أي حال.

يقول الأدميرال: «لا يعلم ما أنا على وشك إخبارك به سوى القليلين».

- إذًا لماذا تخبرني به؟

- لأن معرفتك به تخدم أغراضي.

جوابه صادق، لكنه يخفي دوافعه. لا شك أن الأدميرال كان رجل حرب بارعًا.

يبدأ الأدميرال قائلًا: «عندما كنت شابًا شاركت في حرب الجوهر. أصابتني قنبلة يدوية بالندوب التي افترضتَ بوقاحة أنها ندوب عمليات زراعة الأعضاء».

- في أي طرف كنت؟

ينظر الأدميرال إلى كونر نظرته المتفحِّصة التي يجيدها.

يقول: «ما الذي تعرفه عن حرب الجوهر؟».

يقول كونر هازًّا كتفيه: «كانت الفصل الأخير في كتاب التاريخ المدرسي، لم تمكِّننا الاختبارات من أن نصل إليه».

يُلوِّح الأدميرال بيده في استياء قائلًا: «تلطِّف المراجع من بشاعة الأمر. لا أحد يريد أن يتذكر كيف كانت الحرب حقًّا. سألتَني في أي طرف كنت. في الحقيقة كانت هناك ثلاثة أطراف في الحرب لا اثنين، جيش الحياة، وكتيبة الاختيار، وبقايا الجيش الأمريكي، الذي كانت مهمته أن يمنع الطرفين الآخرين من أن يقتل بعضهما بعضًا. في ذلك الطرف كنت. من المؤسف أنه لم يحالفنا التوفيق. إن الخلاف يبدأ بقضية، أو اختلاف في الرأي، أو جدال. لكنه عندما يستحيل حربًا تفقد القضية أهميتها، ويدور الأمر حول شيء واحد فقط، كم يمقت كل طرف الطرف الآخر».

يضيف الأدميرال القليل من الويسكي إلى قدحه قبل أن يكمل حديثه: «سبقت الحرب أوقات مظلمة. قُلِبت معايير الصواب والخطأ رأسًا على عقب. من ناحية، كان هناك من يقتلون الأطباء المُجهِضين لحماية الحق في الحياة. في الناحية الأخرى، كان هناك أزواج يحملون فقط ليبيعوا أنسجة أجنتهم. وجميعهم اختاروا قادتهم وفقًا لموقفهم من هذه القضية فقط، لا كفاءتهم. عمَّ الجنون! ثم انقسم الجيش. هكذا تمكَّن الطرفان من الحصول على أسلحة الحرب، وأصبح الرأيان جيشين عازمين على أن يدمر بعضهما بعضًا، إلى أن أُقرَّت وثيقة الحياة».

يقشعر بدن كونر عند ذكر وثيقة الحياة. لم يكترث لها قط، لكن الأمر يختلف عندما تصبح مُفكَّكًا.

يقول الأدميرال: «كنت هناك في الغرفة عندما أتوا بفكرة مفادها أنه يمكن إنهاء الحمل، بأثر رجعي، عندما يصل الأبناء إلى سن البلوغ. كانت مزحة في البداية. لم يقصد أحد أن تؤخَذ على محمل الجد. لكن في العام نفسه فاز عالم بجائزة نوبل لنجاحه في زراعة الأعصاب، إنها التقنية التي تمكِّن من زراعة أي عضو من أعضاء المتبرِّع».

يأخذ الأدميرال جرعة من قهوته. لم يمس كونر قدح القهوة الثاني حتى لا يتقيأ الأول.

يقول الأدميرال: «مع تفاقم الحرب، جلبنا ممثلي الطرفين إلى طاولة المفاوضات في محاولة لعقد السلام. اقترحنا عليهم فكرة التفكيك، التي ستسمح بإجهاض الأبناء غير المرغوب فيهم دون إنهاء حياتهم بالفعل. ظننا الفكرة ستصدمهم، وستجعلهم يحكِّمون عقولهم. ظنناهم سيحدق بعضهم إلى بعض عبر الطاولة، ثم سيتراجع أحدهم. لم يتراجع منهم أحد. لبَّت حرية الإجهاض دون إنهاء الحياة مطالب كلا الطرفين. هكذا وُقِّعت وثيقة الحياة، ودخلت اتفاقية التفكيك حيز التنفيذ، ووضعت الحرب أوزارها. سعد الجميع بانتهاء الحرب، ولم يبالِ أحد بالعواقب».

يشرد فكر الأدميرال قليلًا، ثم يُلوِّح بيده قائلًا: «الباقي تعرفه بالتأكيد».

لا يعرف كونر التفاصيل كلها، لكنه يعرف المضمون. يقول: «احتاج الناس إلى الأعضاء».

يقول الأدميرال: «بل طالبوا بها. لقد أصبح من الممكن أن يحصل مصاب بسرطان القولون على قولون سليم، أن تُزرع أعضاء طازجة في جسد ضحايا الحوادث، بدلًا من أن تودي إصاباتهم الداخلية بحياتهم، أن تُستبدل بيد متغضنة مفاصلها ملتهبة يد أخرى تصغرها بخمسين عامًا. وكان يجب توفير هذه الأعضاء الجديدة من مصدر ما».

يتوقف قليلًا ليتأمل الأمر، ثم يكمل قائلًا: «لو تبرع المزيد من البشر بأعضائهم لما فُكِّك أبناؤنا، لكن البشر يتشبثون بما يملكون رغم أنهم سيفارقون الحياة. لم يمضِ الكثير من الوقت حتى سحق الجشع القِيَم. أصبح التفكيك تجارة كبيرة، وساهم الناس في حدوث ذلك».

ينظر الأدميرال إلى صورةِ ابنه. يدرك كونر الأمر قبل أن يخبره به الأدميرال، لكنه ينتظر حتى يبوح به.

- كان ابني هارلان فتى رائعًا ذكيًا، لكن سلوكه مضطرب. أنت تعرف هذا النوع.

يقول كونر مبتسمًا ابتسامة خفيفة: «**أنا** هذا النوع».

يومئ الأدميرال، ويقول: «حدث ذلك قبل عشرة أعوام. خالط رفاق السوء، وأُمسك به يسرق. كنت مثله تمامًا في ذلك العمر، فأرسلني والداي إلى المدرسة العسكرية لتقويم سلوكي. الفارق أنه في زمن هارلان أُتيح خيار آخر، خيار أكثر **فاعلية**».

- وقّعتَ على أمر تفكيكه.

- لأنني واحد ممن أبرموا اتفاقية التفكيك كان من المفترَض أن أكون قدوة.

يضغط عينيه بإبهامه وسبابته، ليوقِف دموعه قبل أن تسيل.

يكمل قائلًا: «وقّعنا على الأمر ثم تراجعنا، لكننا تأخرنا. لقد أخذوا هارلان من المدرسة إلى مخيم الحصاد مباشرة، وعجلوا التنفيذ. كان الأمر قد تم بالفعل».

لم يفكر كونر قط في الأذى الذي قد يلحقه التفكيك بمن يوقّعون على الأمر. لم يظن قط أنه قد يشفق على والد فعل شيء كهذا، أو قد يشفق على أحد الرجال الذين جعلوا التفكيك ممكنًا.

يقول كونر: «أنا آسف».

وهو يعني ما قاله.

يستعيد الأدميرال ثباته سريعًا. يقول: «لا بأس. أنتم هنا لأنه فُكِّك. بعد ما حدث هجرتني زوجتي، وأنشأتْ مؤسسة إحياء لذكرى هارلان، أما أنا فتركت منصبي في الجيش، وأمضيت عدة أعوام أكثر ثمالة مما أنا عليه الآن. ثم جاءني الإلهام قبل ثلاثة أعوام. هذا المكان وأولئك المراهقون نتاجه. لقد أنقذت ما يزيد على ألف مراهق حتى اليوم».

الآن يدرك كونر لمَ يخبره الأدميرال بذلك. لم يكن محض اعتراف، بل وسيلة لضمان ولاء كونر. ولقد نجح في ذلك. كان الأدميرال رجلًا ذا هوس

قاتم، لكن هوسه أنقذ أرواح الكثيرين. قال هايدن ذات مرة إن كونر يملك نزاهة تُلزمه صف الأدميرال. لهذا يرفع كونر قدحه قائلًا: «نخب هارلان!».

يردد الأدميرال قوله: «نخب هارلان!».

ويشربان نخبه معًا، ثم يقول الأدميرال: «أنا أعمل على تصحيح الأوضاع يا كونر. شيئًا فشيئًا، وبأكثر من طريقة».

***

35. ليف

لا يهم أين قضى ليف الفترة التي تلت تركه ساي-فاي حتى وصوله إلى المقبرة، بل أين حلت أفكاره. لقد نزلت بأماكن أكثر قسوة وقتامة من العديد من الأماكن التي اختبأ بها.

ظل ليف على قيد الحياة شهرًا عبر سلسلة من التسويات البغيضة، وسرقة ما يُعَد ضروريًّا لنجاته، متى أمكنه ذلك. وسرعان ما أصبح خبيرًا بحياة الشارع وأساليب البقاء. يُقال إنه لتتعلم لغة أي مجتمع وطرائقه عليك أن تنغمس فيه كليًّا. لم يلزمه الكثير من الوقت ليتعلم لغة التائهين.

عندما بدأ رحلته عبر شبكة المخابئ، أوضح على الفور أنه فتى لا يمكن الاستهانة به. لم يخبر أحدًا أنه كان عُشرًا، بل زعم أن والديه وقَّعا على أمر تفكيكه بعد إلقاء القبض عليه بتهمة السطو المسلَّح. وجد ليف هذا مضحكًا لأنه لم يمس سلاحًا قط. أذهله أنهم لم يستطيعوا كشف الكذب في وجهه لأنه لم يبرع في الكذب قط، لكنه عندما نظر إلى المرآة راعه ما رآه في عينيه.

عند وصوله إلى المقبرة، كان معظم المراهقين قد أصبحوا يحذرون الاقتراب منه بالفعل. هذا ما أراده بالضبط.

***

في الليلة التي يعقد فيها الأدميرال اجتماعًا سريًّا مع كونر، يخرج ليف في ظلمة ليلة غاب عنها القمر، ويبقي الكشاف اليدوي مطفأ. في ليلته الأولى هنا، نجح ليف في التسلل خارجًا ليعثر على كونر، حتى يضع بعض الأمور في نصابها. لقد زالت الكدمة التي أحدثتها لكمة كونر، ولم يتحدثا عن الأمر ثانية. لم يتحدث ليف إلى كونر كثيرًا، لأن هناك ما يشغل فكره.

منذ ذلك الحين، ظل ليف يحاول التسلل إلى الخارج في كل ليلة، وفي كل مرة، كان يُمسك به ويعود إلى الطائرة. لكن الآن، بعد مغادرة حراس الأدميرال الخمسة، أصبح المراهقون الذين يحرسون يتهاونون في مهمتهم، بينما يتسلل ليف بين الطائرات يجد بعضهم نائمين في أثناء العمل. من الغباء أن يرسل الأدميرال مجموعة المراهقين المسؤولين بعيدًا في غياب من يمكنهم أن يحلوا محلهم.

عندما يبتعد بما يكفي يشعل الكشاف اليدوي، ويحاول أن يعثر على وجهته. أخبرته فتاة صادفها قبل بضعة أسابيع عن تلك الوجهة. كانت تشبهه كثيرًا. يظن ليف أنه الليلة سيقابل الكثير ممن يشبهونه.

الممر الثلاثون، البقعة الثانية عشرة، هذا الموضع هو الأبعد عن الأدميرال داخل حدود المقبرة. تشغل هذه البقعة طائرة من طراز دي-سي10- قديمة مُفكَّكة، ترقد في مثواها الأخير. يفتح ليف باب الطائرة. عندما يصبح داخلها يجد فتى وفتاة. ينتصبان واقفين حينما يريانه، ويتأهبان للدفاع عن نفسيهما.

يقول: «اسمي ليف. دلني أحدهم على المجيء إلى هنا».

لا يعرف ليف أيًا منهما، لكن هذا ليس مفاجئًا. لم يمضِ الكثير على وصوله إلى المقبرة، لهذا لا يعرف الكثيرين هنا. الفتاة آسيوية شعرها وردي، والفتى حليق الرأس تغطي الوشوم جسده.

يقول الفتى ذو الصلعة: «من دلك على المجيء إلى هنا؟».

- فتاة قابلتها في كولورادو. اسمها جولي-آن.

يخرج شخص ثالث من الظلام. ليس مراهقًا بل بالغًا، في منتصف العشرينيات تقريبًا. إنه يبتسم. شعره ملبد أصهب، وله لحية حول الذقن غير مشذبة تطابق لون شعره. عظام وجهه ناتئة ووجنتاه غائرتان. إنه كليفر، طيار المروحية.

يقول: «إذًا لقد أرسلتك جولي-آن! رائع! كيف حالها؟».

يأخذ ليف بعض الوقت ليفكر في جوابه، ثم يقول: «لقد أدت مهمتها».

يومئ كليفر، ويقول: «حسنًا، إن الحال كما هو عليه».

يعرِّف الآخران بنفسيهما. الفتى ذو الصلعة اسمه بلاين، والفتاة اسمها ماي.

يسأل ليف كليفر: «ماذا عن البوف الذي يقود المروحية معك؟ هل هو جزء من هذا الأمر أيضًا؟».

تضحك ماي مشمئزة، وتقول: «رونالد؟ مستحيل!».

يقول كليفر: «لا يلائم رونالد... **طابع** جماعتنا الصغيرة. إذًا هل جئت لتطمْئننا على جولي-آن؟ أم أنك هنا لسبب آخر؟».

- أنا هنا لأنني أريد أن أكون هنا.

يقول كليفر: «هذا ما تقوله، لكننا لا نزال لا نعلم إن كنت جادًّا أم لا».

تقول ماي: «أخبرنا عن نفسك».

يستعد ليف لإخبارهم نسخة السطو المسلح، لكنه يغيِّر رأيه قبل أن يقول أي شيء. تستدعي هذه اللحظة صدقه. يجب أن يبدأ هذا الأمر بالحقيقة. لهذا يخبرهم بكل شيء، منذ أن اختطفه كونر حتى الفترة التي قضاها مع ساي-فاي، والأسابيع التي تلتها. عندما ينتهي يبدو كليفر سعيدًا، سعيدًا للغاية.

- إذًا أنت عُشر! هذا رائع. أنت لا تدرك كم هذا رائع!

يسأله ليف: «إذًا؟ هل أنا معكم أم لا؟».

يصمتون ويبدون جادين. يشعر ليف أنهم على وشك بدء أحد الطقوس.

يقول كليفر: «أخبرني يا ليف. كم تمقت من كانوا سيُفكِّكونك؟».

- كثيرًا.

- آسف. هذا ليس كافيًا.

يغمض ليف عينيه، ينقِّب في ذاكرته، ويفكر في والديه. يفكر فيما خططا لفعله به، وكيف جعلاه يرغب فيه.

يسأله كليفر مجددًا: «كم تمقتهم؟».

يجيبه ليف: «بكل ما تحمله الكلمة من معنى».

- وكم تمقت من يريدون أخذ أعضائك لأنفسهم؟

- بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

- وكم ترغب في أن تجعلهم، وأن تجعل الجميع، ينالون جزاءهم؟

- بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

سيدفع أحدهم الثمن. سيدفع **الجميع** الثمن. سيتولى ليف ذلك.

يقول كليفر: «جيد».

إن عمق الغضب الذي يشعر به ليف يذهله، لكن خوفه من هذا الغضب أصبح يقل شيئًا فشيئًا. هذا جيد.

يقول بلاين: «ربما هو جاد».

يعلم ليف أنه إن قطع هذا العهد فلا عودة إلى الوراء.

يسألهم: «هناك شيء أود معرفته لأن جولي-آن... لم تكن واضحة بشأنه. أريد أن أعرف ما تؤمنون به».

تقول ماي: «ما نؤمن به؟».

تنظر إلى بلاين فيضحك. يشير كليفر بيده إلى بلاين ليهدأ، ويقول: «لا، إنه سؤال جيد. سؤال جاد. يستحق إجابة جادة. إن كنت تسأل إن كنا ندعم قضية فنحن لا ندعم شيئًا. انسَ ذلك».

يباعد كليفر بين ذراعيه فتشغلان الفراغ من حوله، ثم يكمل قائلًا: «انقضى عهد القضايا. نحن نؤمن بالعشوائية؛ الزلازل! الأعاصير! نحن نؤمن بقوى الطبيعة، و**نحن** من قوى الطبيعة. نحن الخراب. نحن الفوضى. نحن نعبث بالعالم».

يقول بلاين بمكر: «ولقد عبثنا بالأدميرال جيدًا، أليس كذلك؟».

يحدجه كليفر بنظرة حادة، وتبدو ماي خائفة. يكفي ذلك ليجعل ليف يعيد التفكير في الأمر.

- كيف عبثتم بالأدميرال؟

تبدو ماي قلقة وغاضبة، تقول: «لقد انتهى الأمر. لقد عبثنا، وانتهى الأمر الآن. نحن لا نتحدث عن الأمور المنتهية، أليس كذلك؟».

يومئ كليفر فتهدأ، فيما يبدو، قليلًا.

يقول كليفر: «ما يهم هو العبث نفسه، لا بمن أو بماذا نعبث. نحن نرى أن العالم لا **يتحرك** ما لم تتزعزع الأشياء. ألستُ محقًا؟».

- أظن ذلك.

- حسنًا، **نحن** مُحرِّكوه ومُزعزِعوه.

يبتسم كليفر، ثم يقول مشيرًا بإصبعه إلى ليف: «المسألة الآن هي هل أنت أيضًا كذلك؟ هل تملك ما يلزم لتصبح واحدًا منا؟».

ينظر ليف إلى ثلاثتهم طويلًا. إنهم من النوع الذي يبغضه والداه. قد ينضم إليهم نكاية بهما فقط، لكن دافعه ليس بهذه البساطة هذه المرة، يجب أن يكون هناك المزيد. بينما يقف ليف بينهم يدرك أن هناك المزيد حقًا، إنه خفي، لكنه موجود، كشحنة كهربائية مميتة كامنة في خط كهرباء معطل. إنه الغضب، لكنه ليس غضبًا فارغًا، بل تصحبه إرادة تدفعه إلى العمل بمقتضاه.

- حسنًا، أنا معكم.

لطالما شعر ليف، طوال حياته في بلدته، أنه جزء من شيء كبير. الآن يدرك كم افتقد ذلك الشعور.

يقول كليفر: «مرحبًا بك في عائلتنا».

ويصفعه على ظهره مُرحِّبًا به، لكن صفعته تؤلمه، وتجعل رأسه يدور.

***

36. ريسا

ريسا هي أول من يلحظ أن هناك خطبًا ألمَّ بكونر، وهي أول من يكترث بأن هناك خطبًا ألمَّ بليف.

تتملكها الأنانية قليلًا فتشعر بالاستياء من حاليهما، لأن أمورها تسير على ما يُرام الآن. لقد وجدت مكانًا لتستقر به أخيرًا. تتمنى أن تظل المقبرة ملاذها بعد أن تبلغ الثامنة عشرة، لأنها لن تتمكن أبدًا من فعل الأشياء التي تفعلها الآن في العالم الخارجي. لن تستطيع ممارسة الطب دون ترخيص، إذ لا بأس بما تفعله في وضع البقاء هذا، لا في العالم المتحضر. قد تلتحق بكلية الطب بعد أن تبلغ الثامنة عشرة، لكن هذا يتطلب المال، والصلات، وستدخل منافسة أكثر قوة من صفوف الموسيقى. ربما تنضم إلى الجيش لتصبح مسعفة. لا يُشترط أن تكون بوف لتلتحق بالوحدة الطبية. فلتختر ما ستختار، ما يهم هو أنها *تملك* الخيار. لأول مرة منذ فترة طويلة تستطيع أن ترى مستقبلًا لها. إن آخر ما قد ترغب فيه هو شيء يحبط آمالها.

هذا ما يشغل فكر ريسا في أثناء ذهابها إلى واحدة من طائرات الدراسة. لقد خصص الأدميرال ثلاثًا من طائراته كاملة التجهيزات، التي يسهل الوصول إليها، كأماكن للدراسة مزوَّدة بالمكتبات، وأجهزة الحاسب، ومصادر لتعلم كل ما قد يودون تعلمه. أخبرهم الأدميرال بعد فترة وجيزة من وصولهم بأن هذه ليست بمدرسة. لا معلمين أو اختبارات هنا. لم يفرض عليهم شيئًا بشأن الدراسة. هذا بالضبط ما يبقي طائرات الدراسة مزدحمة.

تبدأ ريسا مهامها بعد الفجر بقليل. لقد أصبح من عاداتها أن تبدأ يومها في واحدة من طائرات الدراسة، لأنه في ذلك الوقت من الصباح، عادة ما تخلو الطائرات من سواها. هذا أفضل؛ إن الأشياء التي ترغب في تعلمها تجعل باقي الصبية يشعرون بعدم الارتياح. لا تزعجهم موضوعات الكتب التي تختارها

–أكثرها كتب التشريح والمراجع الطبية– بل أن ريسا هي من تدرسها. إنهم يفترضون أنها تعلم كل شيء عن المهنة فقط لأنها تعمل في الطائرة الطبية. يقلقهم أن يروها في حاجة إلى تعلمها.

عندما تصل اليوم تجد كونر هناك. تقف عند باب الطائرة متفاجئة. إنه مستغرق فيما يقرأ لهذا لم يشعر بدخولها. تتوقف قليلًا لتنظر إليه. لم ترَه بهذا الإرهاق من قبل. لم يبدُ هكذا عندما كانا طريدين. لكنها سعيدة برؤيته. لقد شغلهما العمل، ولم يتح لهما الكثير من الوقت ليمضياه معًا.

- مرحبًا كونر.

يرفع بصره إليها مجفلًا، ويغلق كتابه سريعًا. حينما يدرك من هناك يهدأ.

يقول: «مرحبًا ريسا».

عندما تجلس بجانبه يبتسم، ولا يبدو مرهَقًا بهذا القدر. يسرها أن يكون لها مثل هذا التأثير عليه.

- لقد استيقظتَ مبكرًا.

- بل سهرت حتى ساعة متأخرة. لم أستطع النوم، لهذا جئت إلى هنا.

ينظر عبر واحدة من النوافذ الدائرية الصغيرة. يقول: «هل حل الصباح؟».

- تقريبًا. ماذا تقرأ؟

يحاول أن يخفيه عن نظرها، لكنه قد تأخر. أمامه كتابان. هناك مجلد عن الهندسة في الأسفل. ليس هذا مفاجئًا نظرًا إلى اهتمامه بطريقة عمل الأشياء. ما يفاجئها هو الكتاب العلوي، الذي كان منغمسًا في قراءته عندما وصلت، وتوشك أن تضحك.

- **علم الجريمة للمبتدئين؟**

- أجل، لدينا جميعًا إحدى الهوايات.

تحاول أن تدقق النظر إليه، لكنه يدير وجهه.

تسأله: «هناك خطب ما، أليس كذلك؟ لا تلزمني قراءة **كونر للمبتدئين** لأعلم أنك تواجه مشكلة».

يوجِّه نظره إلى كل مكان سوى عينيها.

يقول: «إنها ليست مشكلة. على الأقل ليست مشكلتي. أو ربما هي مشكلتي بطريقة ما. لا أدري».

- هل تود التحدث عن الأمر؟

يقول كونر: «هذا آخر ما قد أود فعله».

يأخذ نفسًا عميقًا، ويتململ في مقعده، ويضيف: «لا تقلقي. سيكون كل شيء بخير».

- لا تبدو واثقًا من ذلك.

ينظر إلى ريسا، ثم ينقل نظره إلى باب الطائرة ليتحقق ألا أحد هناك. يميل نحوها ويقول: «الآن بعد أن... رحل الذهبيون، سيبحث الأدميرال عن بدلاء لهم. أريدك أن تعديني أنه إن سألك مساعدته فسترفضين».

- إن الأدميرال لا يعرفني. لمَ قد يسألني أي شيء؟

يهمس كونر همسًا حادًا قائلًا: «لأنه سألني مساعدته. وأظن أنه سأل إمبي ذلك أيضًا».

- إمبي؟

- أنا فقط لا أريدك أن تصبحي هدفًا!

- هدفًا لماذا؟ لمن؟

- ششش! أخفضي صوتك!

تنظر إلى الكتاب الذي كان يقرؤه مجددًا، تحاول أن تربط بين المعطيات، لكنها ليست كافية. تقترب منه، تجبره على النظر إليها، وتقول: «أنا أريد أن أساعدك. أنا قلقة بشأنك. رجاءً دعني أساعدك».

ينقل نظره من موضع إلى آخر، يحاول أن يجد مهربًا من تحديقها إليه، لكنه لا يستطيع. فجأة، يقلِّص المسافة بينهما، ويُقبِّلها. لم تتوقع ريسا ذلك. عندما ينهي قُبلته، يخبرها التعبير الذي يرتسم على وجهه أنه تفاجأ بالأمر مثلما تفاجأت به.

- لمَ فعلت ذلك؟

يلزم كونر بعض الوقت ليعيد عقله إلى العمل. يقول: «ذلك في حال أن حدث شيء ولم أستطع أن أراكِ مجددًا».

تقول: «حسنًا».

وتجذبه لتُقبِّله قُبلة أخرى، تطول عن سابقتها.

عندما تنهي قُبلتها تقول: «ذلك في حال أن رأيتك مجددًا».

يغادر كونر متعثرًا، يكاد يسقط على الدرج الفولاذي. على الرغم من كل ما دار بينهما للتو تبتسم ريسا. من الرائع أن يستطيع شيء بسيط كقُبلة أن يغلب أسوأ المخاوف.

تبدو المشكلات التي يواجهها ليف من نوع آخر، وتشعر ريسا بالخوف من التغير في حاله. يأتي إلى المستوصف في صباح ذلك اليوم يعاني حرقًا شمسيًا شديدًا. إن ليف عدَّاء سريع، لهذا كُلف بمهمة السعاة، التي تتضمن، على نحو رئيس، الركض ذهابًا وإيابًا بين الطائرات لنقل الملاحظات. تنص واحدة من قواعد الأدميرال على أن يضع جميع السعاة واقيًا من الشمس، لكن ليف، فيما يبدو، لم يعد يلتزم بقوانين أحد.

يتحدثان قليلًا حديثًا تشعر ريسا بأنه مُتكلَّف، لهذا تشرع في العمل.

- لقد حمى شعرك الذي طال جبهتك ورقبتك من أشعة الشمس. اخلع قميصك.

يقول: «ظللت مرتديًا قميصي معظم الوقت».

- لنلقِ نظرة على أي حال.

يخلع ليف قميصه على مضض. لقد أُصيب ظهره أيضًا، لكنه ليس في حالة سيئة مثل ذراعيه ووجنتيه. يجذب انتباه ريسا كدمة على شكل يد على ظهره. تمرِّر أصابعها فوقها برفق.

تسأله: «من فعل هذا بك؟».

ينتزع قميصه منها قائلًا: «لا أحد».

يرتديه ويضيف: «فتى غير مهم».

- هل يضايقك أحد الفتية في فريقك؟

- لقد أجبتكِ، إن هذا لا يهم. هل أنتِ أمي؟

تقول ريسا: «لا. لو كنت أمك لأرسلتك إلى أقرب مخيم حصاد».

تقول ريسا ذلك كمزحة، لكن ليف لا يجدها مضحكة. يقول: «فقط أعطيني شيئًا لأضعه على الحروق».

ثمة جمود مؤلم في صوته. تذهب إلى الخزانة وتأخذ أنبوب دهان الصبار، لكنها لا تناوله إياه على الفور.

تقول: «أنا أفتقد ليف القديم».

عندئذ ينظر ليف إليها، ويقول: «أنتِ لم تعرفيني قط».

- ربما، لكن حينئذ أردت أن أعرفك.

- ولم تعودي تريدين ذلك؟

تقول ريسا: «لا أعلم. أجد الفتى الذي أنظر إليه الآن فظًّا قليلًا».

تلحظ أن ما قالته يزعجه. لا تدري لمَ قد يحدث ذلك في حين أنه يبدو فخورًا بفظاظته الجديدة.

يقول ليف: «لقد خدعكِ ليف القديم لتظني أنه يثق بكِ، ثم أبلغ عنكِ الشرطة في أول فرصة سنحت له».

- ألن يفعل ليف الجديد ذلك؟

يفكر في الأمر، ثم يقول: «يجب على ليف الجديد أن يفعل ما هو أكثر أهمية».

تضع أنبوب دهان الحروق في يده، وتقول: «أجل، حسنًا، إن رأيت القديم، الذي كان يراعي الرب دائمًا، ويفكر في غايته في الحياة، وما شابه، فأخبره أننا نريد عودته».

يلفهما صمت مربك، ويخفض ليف نظره إلى الأنبوب في يده. تظن للحظة أنه قد يقول شيئًا يشير إلى وجود ليف القديم معهما، لكنه يقول: «كم مرة يجب أن أضع هذا؟».

يجتمعون من أجل نداء عمل في اليوم التالي. تبغض ريسا نداءات العمل لأنها تعلم أنها لن تجد شيئًا يهمها، لكن يجب عليها أن تحضرها كالجميع. لا يدير اجتماع اليوم مُفكَّك، بل كليفر. يبدو أنه يتولى هذه المهمة مؤقتًا، لأنه لم يقع الاختيار على أحد لأداء مهام أمب. لا يروق كليفر لريسا، يبدو كريهًا ومخادعًا.

المهمات المعلَنة اليوم قليلة. يريد أحدهم مساعد سبَّاك في بلدة نائية تُدعى بيفرز بريث. هناك عمل في مزرعة في كاليفورنيا. المهمة الثالثة مريبة تمامًا.

يقول كليفر: «ستعملون بواحد من خطوط أنابيب النفط في خليج برودهو في ألاسكا حتى تبلغوا الثامنة عشرة. وفقًا لما قيل لي، فإنها واحدة من أكثر بقاع الأرض برودة وقسوة، لكنها طريق للنجاة، أليس كذلك؟ أحتاج إلى ثلاثة متطوعين».

يرفع فتى أكبر سنًّا يده. يبدو برأسه الحليق أن العذاب مرافقه والعمل القاسي قدره. تفاجئ اليد الثانية التي ترتفع ريسا، إنها ماي. لمَ تتطوع ماي للعمل بخط أنابيب؟ لمَ تترك الفتى الذي تعلقت به بشدة في المستودع؟ ثم تنتبه ريسا إلى أنها لم ترَ ذلك الفتى في المقبرة قط. بينما تحاول أن تحلل الأمر ترتفع يد فتى أصغر سنًّا، فتى أصغر حجمًا، فتى يعاني حرقًا شمسيًا. إنها يد ليف، ويختاره كليفر لتلك المهمة.

تثبت ريسا في مكانها ذاهلة، ثم تبحث عن كونر بين الحشد. لقد شهد ما حدث أيضًا. ينظر إلى ريسا ويهز كتفيه غير مكترث. ربما لا يهم هذا كونر، لكنه يهمها.

عندما ينتهي الاجتماع تسرع في اللحاق بليف، لكنه اختفى وسط الجمع. لهذا حال أن تصل إلى المستوصف تطلب ساعيًا تلو آخر، تكلفهم بنقل ملاحظات ليست ضرورية، تذكّر المرضى بتناول أدويتهم. بعد الساعي الرابع، يصل ليف، أخيرًا.

لا بد أنه يلحظ تعبير وجهها، لأنه يظل واقفًا عند باب الطائرة ولا يدخل. هناك مسعف آخر، لهذا تحملق ريسا إلى ليف غاضبة، وتشير إلى الخلف قائلة: «إلى هناك. الآن!».

يقول: «أنا لا أمتثل للأوامر».

تكرر قولها بحدة أكبر: «إلى هناك. **الآن!**».

يبدو في النهاية أنه يمتثل للأوامر، لأنه يخطو إلى الداخل ويتجه إلى مؤخرة الطائرة. عندما يصلان إلى غرفة التخزين في الخلف، تغلق الباب الحاجز خلفهما وتوبخه قائلة: «ماذا دهاك بحق الجحيم؟».

وجهه جامد كباب خزنة فولاذية لا تملك شفرتها.

يقول: «لم أزر ألاسكا قط. يمكنني أن أذهب إليها الآن».

- لم يمضِ على وصولك إلى هنا سوى أسبوع! لمَ تتعجل المغادرة هكذا؟ ومن أجل مهمة كتلك؟

- لست مضطرًا إلى تبرير أي شيء لكِ أو لأي أحد آخر. لقد رفعت يدي، ووقع الاختيار عليَّ. هذا كل ما في الأمر.

تعقد ريسا ذراعيها تبادله التحدي، تقول: «لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان ما لم أمنحك شهادة صحية تفيد بأنك لا تعاني أي أمراض. يمكنني أن أخبر الأدميرال أنك... أنك... تعاني التهاب الكبد الوبائي».

- لن تفعلي ذلك!

- انتظر وسترى.

يندفع مبتعدًا عنها، يركل الباب حانقًا، ثم يندفع عائدًا.

يقول: «لن يصدقك! وإن فعل فلن تستطيعي إبقائي مريضًا إلى الأبد!».

- لمَ أنت عازم على الرحيل بهذا القدر؟

يقول ليف: «هناك ما يجب عليَّ القيام به، ولا أظن أنك ستفهمين الأمر. أنا آسف لأنني لست من تريدين أن أكون. لقد تغيرت. لم أعد الفتى الأحمق الساذج الذي اختطفتماه قبل شهرين. لن تستطيعي فعل شيء يمنعني من مغادرة هذا المكان، أو مِن فعل ما يجب أن أفعله».

لا تقول ريسا شيئًا لأنها تدرك أنه محق. تستطيع أن تعطِّله، لكنها لن تستطيع إيقافه.

يقول ليف بعد أن هدأ قليلًا: «إذًا هل أنا مصاب بالتهاب الكبد الوبائي أم لا؟».

تتنهد ريسا، تقول: «لا، لست مصابًا به».

يستدير ويفتح الباب الحاجز ليغادر. لقد عقد العزم على المضي قدمًا، حتى إنه لم يكترث بتوديعها.

تقول قبل أن يجتاز الباب: «أنت مخطئ في شيء واحد. أنت ساذج كما كنت من قبل بالضبط، وربما أكثر حماقة».

ثم يرحل. في ظهيرة اليوم ذاته، تأتي شاحنة بيضاء لا تحمل أي علامة مميزة، تأخذه وماي، والفتى ذا الصلعة. تظن ريسا مجددًا أنها لن ترى ليف مرة أخرى. وستكون مخطئة في ذلك، مجددًا.

***

37. إمبي والأدميرال

لا يدري إمبي بالتغيرات التي تحدث في المقبرة، ولا بأنه جزء منها. لقد حصر عالمه داخل إطارات رسوم القصص المصوَّرة، وأبعاد آلة لعب الكرة والدبابيس الواضحة. نجح إمبي في مواجهة ظلم الحياة وقسوتها بالبقاء داخل هذه الحدود.

لا يتساءل إمبي عن غريبي الأطوار الثلاثة الذين غادروا إلى ألاسكا للتو؛ هذا ليس من شأنه. لا يلحظ توتر كونر؛ يستطيع كونر الاعتناء بنفسه. لا ينتابه الفضول حول رونالد؛ إنه يبتعد عن طريق رونالد وحسب.

لكن محاولة تجنبه كل شيء لا تبقيه آمنًا. في واقع الأمر، يشبه إمبي مصدًّا وسط لوحة لعبة الكرة والدبابيس، وتوشك كل كرة في اللعبة على الاصطدام به.

لقد استدعاه الأدميرال. الآن يقف إمبي قلِقًا عند مدخل ما كان سابقًا مركز القيادة المتنقِّل الخاص برئيس الولايات المتحدة الأمريكية. هناك رجلان بالداخل يرتديان قميصين أبيضين وربطتي عنق سوداوين. لا بد أن السيارة التي تنتظر أسفل الدرج سيارتهما. يجلس الأدميرال خلف مكتبه. يحاول إمبي أن يقرر ما إذا كان عليه الدخول أم الفرار، لكن الأدميرال يراه، وتثبِّت نظرته إمبي في موضعه.

- هل أردتني يا سيدي؟

- أجل. تفضل بالجلوس يا زاكري.

يجر قدميه نحو المقعد المقابل للأدميرال.

يقول: «إمبي. يدعوني الجميع إمبي».

يسأله الأدميرال: «هل هذا اختيارك أم اختيارهم؟».

- حسنًا... إنه اختيارهم، تقريبًا، لكنني اعتدته.

يقول الأدميرال: «لا تسمح لأحد بأن يطلق عليك الأسماء بعد الآن».

ويتصفح ملفًا صورة إمبي مثبَّتة على غلافه. إنه ملف كبير. لا يدري إمبي كيف من الممكن أن تحتوي حياته على أشياء مهمة، تكفي لملء ملف بهذا الحجم.

يقول الأدميرال: «قد لا تعلم ذلك، لكنك فتى مميز للغاية».

يخفض إمبي رأسه وينظر إلى رباط حذائه، الذي، كالمعتاد، يوشك أن ينفك.

يقول: «هل لهذا السبب أنا هنا يا سيدي؟ لأنني مميز؟».

- أجل يا زاكري. ولهذا السبب ستغادرنا اليوم.

يرفع بصره إلى الأدميرال قائلًا: «ماذا؟».

- هناك من يود مقابلتك. في الحقيقة إنه شخص يبحث عنك منذ فترة طويلة للغاية.

- حقًّا؟

- سيأخذك هذان الرجلان إلى هناك.

- من هو؟

كثيرًا ما تصور إمبي أن أحد والديه لا يزال حيًّا. إن لم تكن أمه على قيد الحياة إذًا فليكن أبوه. لطالما حلم أن والده جاسوس، أنه زيَّف وفاته طوال هذه الأعوام، ويجوب زوايا العالم المظلمة محاربًا الجريمة، كبطل قصة مصوَّرة حقيقي.

يقول الأدميرال مخيِّبًا آمال إمبي: «أنت لا تعرفها، لكنها امرأة صالحة. إنها زوجتي السابقة».

- أنا... أنا لم أفهم شيئًا.

- ستفهم كل شيء قريبًا. لا تقلق.

يكفي ذلك ليدفع إمبي إلى قلق طويل الأمد. يزداد معدل تنفسه فتضيق شعبتاه الهوائيتان، ويأخذ صدره في الأزيز. ينظر إليه الأدميرال قلِقًا.

- هل أنت بخير؟

يقول إمبي وسط أزيز صدره: «إنه الربو».

ثم يخرِج بخاخًا من جيبه، ويستنشق الدواء.

يقول الأدميرال: «أجل. عانى ابني الربو، وتحسنت حالته عند تناول «دواء زولير»».

ثم ينظر إلى أحد الرجلين خلف إمبي ويقول: «رجاءً، لا تنسيا أن تجلبا بعض الزولير من أجل تلك الرئة».

- أجل سيادة الأدميرال دنفي.

يقفز ذلك الجواب ككرة اللعب داخل عقل إمبي بعض الوقت، إلى أن يصطدم بهدفه.

- دنفي؟ هل لقبك دنفي؟

يقول الأدميرال: «نحن لا نحمل ألقابًا في المقبرة».

ثم يقف ويمسك بيد إمبي يصافحه قائلًا: «وداعًا يا زاكري. عندما ترى زوجتي السابقة بلِّغها تحياتي».

لا يستطيع إمبي أن ينطق كلمة، يصدر عنه صوت كالصرير فقط. يمسك الرجلان بذراعيه ويقودانه إلى السيارة المنتظِرة في الأسفل.

عندما يرحل الفتى يميل الأدميرال في مقعده إلى الوراء. رغم كل ما يهدِّد منطقة نفوذه، ها هو يجد شيئًا يسره. يأذن لنفسه بالشعور ببعض الرضا، وهو ينظر إلى صورة ابنه المبتسم هارلان، الذي يُعرف في التراث الحديث باسم همفري، لكن من أحبوه يعلمون اسمه الحقيقي. أجل، إن الأدميرال يكفر عن خطئه، ويصوِّب الأوضاع، شيئًا فشيئًا.

***

38. الحشد

لا يُكتشَف غياب إمبي مدة يومين تقريبًا، حتى ينظر أحدهم إلى آلة لعب الكرة والدبابيس، ويلحظ أنها ينقصها شيء.

يبدأ المراهقون يتساءلون: أين الفم الأحمق؟ يزداد تساؤلهم جدية بحلول الليل، وبحلول الصباح يبدو واضحًا أنه اختفى.

يزعم البعض أنهم رأوه يتجول في الصحراء. يزعم البعض أنهم رأوا سيارة غامضة تغادر به. يزعم رالفي شرمان أنه رأى أشعة الضوء تجذبه إلى الأعلى نحو السفينة الأم، لينضم إلى النوع الذي ينتمي إليه. بُحثت جميع الاحتمالات، ووُضعت جميع النظريات. تولى فريق إمبي مهمة البحث عنه، لكن لا أثر له.

في أثناء ذلك، يلتزم الأدميرال الصمت.

فجأة أصبح إمبي، الفتى القابع في قاع التسلسل الهرمي، صديق الجميع المقرَّب، ويثير اختفاؤه غضبهم. يستغل رونالد ذلك لتعزيز سياسة بث الخوف التي يطبِّقها. إنه، رغم كل شيء، من تنبأ علنًا أن إمبي سيختفي. لم يصدِّق رونالد ما قاله قط، لكنه أصبح حقيقة. لهذا نال انتباه الجميع.

يخبر جميع من حوله: «سترون، سيظهر الأدميرال في أحد الأيام، يخفي شعر إمبي الرائع الكثيف أسفل قبعته، وقد يكون أيٌّ منا التالي. هل يحدق إلى أعينكم؟ هل يصغي إلى أصواتكم؟ إن أراد عضوًا منكم فسيؤول بكم المطاف إلى أن تصبحوا مثل إمبي بالضبط!».

إن أداءه مقنع للغاية ويكاد يصدق نفسه.

ينظر كونر إلى الأمر على نحو مختلف. إنه واثق من أن رونالد قد تخلص من إمبي ليستغل اختفاءه في الحصول على التأييد. يرى كونر فيما حدث

دليلًا آخر على أن رونالد هو من قتل الذهبيين، وأنه لا شيء سيردعه عن نيل ما يريد.

يخبر كونر الأدميرال بشكوكه. يستمع الأدميرال إليه، لكنه لا يقول شيئًا. يعلم الأدميرال أن إفصاحه عن أنه المسؤول عن غياب إمبي سيدعم الجنون الذي ينشره رونالد. قد يخبر الأدميرال كونر أنه من أرسل الفتى بعيدًا، لكن هذا سيؤدي إلى طرح بعض الأسئلة التي لا يريد أن يجيب عنها. يقرر أن يدع كونر يظن أن رونالد هو من فعلها، هكذا سيقوى عزمه على اكتشاف الرابط المحوري، الذي يجمع رونالد بالقتلة. ثم إن الأدميرال الآن أصبح يرى رونالد مذنبًا أيضًا.

يخبر الأدميرال كونر: «انسَ الفتى المفقود. ركِّز جهودك على إثبات أن رونالد هو من قتل الآخرين. هناك من عاونه بالتأكيد، هناك من يدري بالأمر. إن الكثيرين يدعمون رونالد الآن. لن يمكننا الإمساك به ما لم نعثر على دليل دامغ».

يخبره كونر: «إذًا سآتيك بدليل بطريقة أو بأخرى. سأفعل ذلك من أجل إمبي».

بعد مغادرة كونر طائرة الأدميرال يجلس الأدميرال وحده، يتأمل تفاصيل الوضع القائم. لقد اضطربت الأوضاع في المقبرة من قبل، لكن الأدميرال لطالما برع في التعامل مع الأوضاع المضطربة. إنه واثق من قدرته على قيادة الأمر بنجاح، واستعادة سيطرته على كل شيء. بينما يجلس في طائرته، يشعر بألم في كتفه يمتد إلى ذراعه. لا شك أن هذا عرض آخر من أعراض إصابات الحرب الكثيرة. يستدعي الأدميرال مسعفًا ليحضِر بعض أقراص الأسبرين من أجله.

***

39. رونالد

يفتح رونالد الظرف الذي ناوله هايدن إياه للتو، ويقرأ الرسالة المرفَقة:

أعلم ماذا فعلت. سأقدِّم لك عرضًا.

قابلني عند الطائرة الفيديكس.

لم تُوقَّع الرسالة، وليست في حاجة إلى توقيع. يعلم رونالد من أرسلها. إن كونر هو الوحيد الذي يجرؤ على ابتزازه، الوحيد الذي لديه من الحماقة ما يكفي للإقدام على ذلك. تُوقِع الرسالة رونالد في حيرة. *أعلم ماذا فعلت*. هناك الكثير من الأشياء التي قد يقصدها كونر بقوله ذلك. ربما يعلم أنه يخرِّب المولدات حتى يتمكن من لوم الأدميرال على ظروف معيشتهم الصعبة. أو ربما يعلم أنه سرق زجاجة شراب عرق الذهب[1] من المستوصف في أثناء تظاهره بمغازلة ريسا. كان يخطط لإضافتها إلى المشروبات، وإقامة حفل تقيؤ، ثم يلوم الأدميرال على تسميمهم جميعًا. أجل، هناك العديد من الأشياء التي من الممكن أن يكون كونر قد اكتشفها. يضع رونالد الرسالة داخل جيبه بوجه جامد، ثم يحملق إلى هايدن قائلًا: «إذًا أصبحت ساعي كونر الآن؟».

يقول هايدن: «أنا ألتزم بالحياد التام مثل سويسرا، وأحب الشوكولاتة التي تنتجها».

يقول رونالد: «ارحل من هنا».

يقول هايدن: «بالطبع».

(1) دواء محفز للقيء. م

ويبتعد على مهل.

يغضب رونالد لأنه قد يضطر إلى مساومة كونر، لكن هذا يقل سوءًا عن الكثير من الأشياء الأخرى. إن المساومات والحيل، في نهاية الأمر، هما طريقته في الحياة. لهذا يتجه إلى الطائرة الفيديكس، ويأخذ معه سكينًا، في حال أن لم يكن هناك عرض ليُقدَّم.

***

40. كونر

يصيح رونالد أمام الطائرة الفيديكس قائلًا: «أنا هنا. ماذا تريد؟».

يظل كونر مختبئًا داخل مخزن الطائرة. إنه يدرك أن هذه الفرصة لن تتكرر، وعليه أن يتِم الأمر على نحو صحيح. يقول: «ادخل، وسنتحدث».

- لا، فلتخرج أنت.

يفكر كونر: *محاولة جيدة، لكن الأمر سيتم وفقًا لشروطي*.

يقول: «إن لم تدخل فسأخبر الجميع بما أعرفه. سأريهم ماذا **وجدت**».

يسود الصمت قليلًا، ثم يرى ظل رونالد وهو يصعد إلى المخزن. إن كونر لديه الأفضلية الآن؛ لقد تكيفت عيناه مع الضوء، لكن عينَي رونالد ليستا كذلك. يثب إلى الأمام، ويُثبِّت فوهة مسدس الأدميرال في ظهر رونالد.

يقول: «لا تتحرك».

يرفع رونالد يديه عاليًا تلقائيًّا، كما لو أنه قد مر بهذا الموقف كثيرًا من قبل.

- هل هذا عرضك؟

- اصمت.

يفتشه كونر بيده الأخرى، يعثر على السكين المخبَّأ، ويطوِّح به خارج مخزن البضائع.

بعد أن أتم تفتيشه، يشدد ضغط مسدسه على ظهر رونالد قائلًا: «تحرك».

- إلى أين يُفترض بي الذهاب؟

- تعرف ذلك جيدًا. الحاوية 2933. تحرك!

يسير رونالد إلى الأمام مارًّا بين صفوف الحاويات الضيقة. يراقب كونر كل حركة يأتي بها رونالد. على الرغم من المسدس الموجَّه إلى ظهره فإنه مختال وواثق بنفسه.

يقول: «لن تستطيع قتلي. لقد نلتُ إعجاب الجميع. إن فعلت بي أي شيء فسيمزقونك».

يصلان إلى الحاوية 2933.

يقول كونر: «ادخل».

عندئذ يتحرك رونالد. يستدير، يدفع كونر إلى الخلف، ويحاول أن ينتزع المسدس. هذا ما توقعه كونر، يرفع المسدس بعيدًا، يضغط بقدمه معدة رونالد، تدعمه الحاوية خلفه، ويدفعه إلى الخلف. يسقط رونالد داخل الحاوية 2933 فيندفع كونر إلى الأمام، يصفق باب الحاوية ويقفله. بينما يثور رونالد بالداخل، يصوِّب كونر المسدس نحو الحاوية، ويطلق الرصاصة الأولى، والثانية، والثالثة.

يتردد صدى الطلقات ويتداخل مع الصراخ الفزِع، الذي يأتي من داخل الحاوية.

يصيح رونالد قائلًا: «ما الذي تفعله؟ هل **جننت**؟».

لقد أحكم كونر تصويبه. كانت رصاصاته منخفضة، وموجَّهة إلى زاوية من زوايا الحاوية.

يخبره كونر: «لقد منحتك ما لم يحظَ به ضحاياك. لقد منحتك فتحات للتهوية».

ثم يجلس، ويضيف: «الآن سنتحدث».

***

41. الحشد

على بعد نصف ميل، يعود فريق البحث من الصحراء. لم يجدوا إمبي، لكنهم عثروا على خمسة قبور بلا شواهد خلف نتوء صخري. ينتشر الخبر بين الحشد، في بضع دقائق، كنيران تؤجِّجها رياح لا تهدأ. لقد عثروا على الذهبيين، الذين، فيما يبدو، لم يكونوا بهذه القيمة. يشير أحدهم إلى أن الأدميرال هو من فعل ذلك. هكذا تبدأ الإشاعة، التي سرعان ما تُعَد حقيقة. لقد قتل الأدميرال خاصته! إنه كما وصفه رونالد بالضبط، وأين رونالد؟ هل هو مفقود أيضًا؟ كوتر مفقود أيضًا! ما الذي فعله الأدميرال بهما؟

هناك الكثير من الأسباب التي تثير غضب المُفكَّكين، والآن قد عثروا جميعًا، في الوقت نفسه، على سبب آخر. هذا كل ما يلزم ليفقدوا صوابهم. يندفع الحشد نحو طائرة الأدميرال، ويزداد عددًا على امتداد الطريق.

***

42. ريسا

قبل بضع دقائق، لبت ريسا طلب الأدميرال، وذهبت إلى طائرته معها بعض أقراص الأسبرين. حيَّاها الأدميرال، الذي، كما أخبرت كونر، لم يكن يعرف اسمها حتى. يتحدث الأدميرال إليها الآن، يخبرها أن التدريب الذي تتلقاه هنا أفضل مما قد يحظى به أي من في عمرها في العالم الخارجي. تخبره أنها تفكر في أن تصبح مسعفة بالجيش، ويبدو مبتهجًا. يشتكي الأدميرال من ألم في كتفه، ويطلب الأسبرين. تعطيه ريسا الأقراص، وعلى سبيل الاحتياط، تقيس ضغط دمه. يشيد الأدميرال بدقتها.

بينما تقيس ضغط دم الأدميرال تسمع جلبة بالخارج تشتت انتباهها. ليست الجلبة بالشيء غير المعتاد هنا. ترى ريسا أن ما يجري بالخارج، أيًّا يكن، سينتهي بضمادات وكمادات باردة. إن عملها لا ينتهي أبدًا.

***

43. الحشد

يصل المراهقون الغاضبون إلى طائرة الأدميرال.

- أمسكوا به! أمسكوا به! أخرجوه!

يصعدون الدرج الفولاذي. باب الطائرة مفتوح قليلًا. تنظر ريسا إلى الخارج لترى موجة الفوضى تتقدم نحوها، كتسونامي بشري.

- هناك فتاة معه بالداخل!

يصل أولهم إلى أعلى الدرج ويدفع الباب فيجد ريسا أمامه. توجِّه لكمة عنيفة إلى فكه، تطيح به جانبًا، ويسقط أرضًا. لكن هناك المزيد خلفه.

- لا تدعوها تغلق الباب!

تستقبل الفتى الثاني برذاذ مُعقِّم موجَّه إلى عينيه مباشرة. يؤلمه ألمًا مبرحًا، ويتراجع إلى الخلف، فيصطدم بباقي المراهقين، الذين يصعدون الدرج، ويسقطون كأحجار الدومينو. تمسك ريسا بالباب، تصفقه، وتقفله من الداخل.

لقد صعد المراهقون الجناحين الآن، وأخذوا في البحث عن القطع المعدنية غير محكمة الربط ليخلعوها. للأيدي الغاضبة قدرة مذهلة على تفكيك طائرة.

- حطِّموا النوافذ! أخرجوهما!

في الخارج، يقذف المراهقون الطائرة بالحجارة، يصيبون بعضهم بعضًا بقدر ما يصيبون الطائرة، أما داخل الطائرة، فيبدو الأمر وكأن هناك عاصفة ثلجية تضربها. يشحب وجه الأدميرال عندما يرى المشهد عبر النوافذ. يتسارع نبض قلبه، ويشتد ألم كتفه وذراعه.

يقول: «كيف حدث هذا؟ كيف سمحت بحدوث هذا؟».

يضرب وابل الحجارة هيكل الطائرة، لكن لا شيء يحطِّم الفولاذ المدرَّع للطائرة الرئاسية السابقة، ولا شيء يكسر زجاجها المضاد للرصاص. ثم ينزع أحدهم كبل الكهرباء الذي يربط الطائرة بالمولِّد الكهربائي. تنطفئ المصابيح، تتوقف مكيفات الهواء عن العمل، وسرعان ما تحمي الشمس الحارقة الطائرة.

***

44. كونر

- أنت من قتل أمب وجيفز، قتلت الذهبيين جميعهم.

- أنت مجنون!

يجلس كونر خارج الحاوية 2933، يمسح جبينه الذي عرَّقه الحر الشديد. يصل إليه صوت رونالد من الداخل مكتومًا، لكنه عالٍ بما يكفي ليسمعه.

يقول كونر: «تخلصت منهم لتحل محلهم».

- أقسم إنني عندما أخرج من هنا سوف...

- سوف ماذا؟ سوف تقتلني كما قتلتهم؟ كما قتلت إمبي؟

لا يجيبه رونالد.

يقول كونر: «لقد قلت إنني سأقدِّم لك عرضًا، وسأفعل. إن اعترفت بما فعلت، فسأحرص على ألا يقتلك الأدميرال».

ردًّا على ذلك، يطلب رونالد من كونر أن يؤدي حركة بهلوانية.

- اعترف يا رونالد. هذه هي الطريقة الوحيدة لأدعك تخرج من هنا.

إذا تعرض رونالد لضغط كافٍ فسيعترف بما فعل. يحتاج الأدميرال إلى دليل. ليس هناك دليل أفضل من اعتراف كامل.

- لا يوجد ما أعترف به لك!

يقول كونر: «حسنًا. يمكنني الانتظار. ليس هناك ما يشغلني».

***

45. الحشد

إن طائرة الأدميرال حصن منيع، لكن الحرارة بداخلها تتخطى مائة فهرنهايت. تستطيع ريسا تحمل الحرارة، لكن الأدميرال لا يبدو بخير. لا يمكنها فتح الباب بعد، لأن محاولات الحشد اقتحام الطائرة لا تتوقف.

في الخارج، ينتشر المراهقون، الذين لم يستطيعوا أن يحتشدوا فوق طائرة الأدميرال، في المقبرة. إن لم يتمكنوا من الوصول إلى الأدميرال فسيدمرون كل شيء، طائرات الدراسة، طائرات المهاجع، حتى الطائرة الترفيهية. يأخذون في تمزيق كل ما يصادفونه، ويشعلون النار في كل ما يمكنه أن يحترق. إن الغضب الشديد يكتنفهم، وأسفل هذا الغضب، ثمة ارتياح لأنهم ينفسون عنه. وأسفل هذا الارتياح، يكمن المزيد من الغضب.

في ناحية بعيدة في المقبرة، يرى كليفر الدخان يتصاعد من بعيد، ويفتنه، تجذب الفوضى كليفر. يجب عليه أن يشهدها! يصعد إلى مروحيته، ويقودها نحو الحشد الغاضب.

يهبط قريبًا من الفوضى بقدر ما يجرؤ. هل أدت أفعاله بأي طريقة إلى هذا؟ يأمل ذلك. يطفئ المحرك، وتهدأ المروحيات، ليتمكن من سماع أصوات الخراب الرائعة، ثم يلتفت المُفكِّكون الغاضبون نحوه.

- هذا كليفر! إنه يعمل لدى الأدميرال.

يصبح كليفر محط الأنظار فجأة. ولا يسعه سوى أن يشعر بأن هذا رائع.

***

46. كونر

توهن مقاومة رونالد شيئًا فشيئًا. يعترف بالعديد من الأشياء، أعمال تخريب وسرقات تافهة، لا يعبأ بها كونر. لكن هذا سينجح. عليه أن ينجح. لا يملك كونر خطة أخرى لتقديمه إلى العدالة، لذا يجب على هذا أن ينجح.

يخبره رونالد عبر ثقوب الرصاص الثلاثة في الحاوية: «لقد فعلت الكثير من الأشياء، لكنني لم أقتل أحدًا قط!».

يستمع إليه كونر فقط، ولا يقول شيئًا. كلما قل حديثه زاد حديث رونالد.

- كيف تعلم أنهم موتى؟

- لأنني دفنتهم. أنا والأدميرال.

يقول رونالد: «إذًا **أنت** من فعلها! أنت من فعلها، وتحاول أن تلقي التهمة عليَّ!».

الآن يرى كونر الخلل في خطته. إن أطلق سراح رونالد دون أن يحصل على اعتراف منه، فسينتهي أمره. لكنه لا يستطيع أن يبقيه في الداخل إلى الأبد. إن الخيارات المتاحة أمامه الآن أضيق من المساحات التي تفصل بين الحاويات.

يسمعان صوتًا يهتف بهما في الخارج: «هل يوجد أحد هنا؟ كونر؟ رونالد؟ أي أحد؟».

إنه هايدن.

يصيح رونالد بأعلى صوته قائلًا: «النجدة! النجدة، إنه مجنون! تعالَ وأخرجني من هنا!».

لكن صراخه لا يُسمَع خارج المخزن. ينهض كونر ويتجه إلى المدخل. ينظر إليه هايدن. اختفت لا مبالاته المعتادة، وهناك كدمة شديدة بجبهته، كأنه قد ضُرب بشيء.

- حمدًا للرب! كونر، عليك أن تعود إلى هناك! لقد جُنَّ الجميع، عليك أن توقفهم. سيستمعون إليك!

- ما الذي تتحدث عنه؟
- علم الجميع أن الأدميرال قتل الذهبيين، ثم ظنوا أنه قتلك...
- لم يقتل الأدميرال أي أحد!
- حسنًا، حاول أن **تقنعهم** بذلك!
- **هم** من؟
- الجميع! إنهم يدمرون المكان!

يلحظ كونر الدخان بعيدًا، ثم يلقي نظرة سريعة نحو المخزن، ويتخذ قراره. في الوقت الحالي يمكن لرونالد أن ينتظر. يثب إلى الأرض ويركض مع هايدن.

يقول: «أخبرني كل شيء منذ البداية».

عندما يصل كونر إلى مسرح الأحداث، يظل عقله يحاول أن ينكر ما تراه عيناه، ويحدق إلى المشهد آملًا أن يختفي. يبدو الأمر وكأن كارثة طبيعية قد نزلت بالمكان، قطع المعدن، والزجاج، والخشب المحطَّم في كل مكان. تتطاير صفحات الكتب الممزَّقة فوق أجهزة إلكترونية مهشَّمة. تشتعل النيران، ويقذف المراهقون بالمزيد من الحطام فيها لتتأجج.

- يا إلهي!

بالقرب من المروحية، هناك جماعة من المراهقين يصيحون مستهزئين، يحتشدون كلاعبي الرجبي، ويركلون شيئًا في المنتصف. ليس *شيئًا*، بل *أحدًا*. يركض كونر نحوهم ليفرِّق بينهم. يتراجع من يعرفون كونر منهم على الفور، ويحذو الآخرون حذوهم. الرجل الملقى على الأرض مضرج بالدماء، بعد أن تلقى ضربًا مبرحًا، إنه كليفر.

يجثو كونر بجانبه ويميل نحوه قائلًا: «لا بأس. ستكون بخير».

يقول ذلك رغم أنه يعلم أنه مخطئ. إن إصاباته بالغة.

يتقلص وجه كليفر، وتغطي الدماء فمه. يظنه كونر عابسًا، ثم يدرك أنه يبتسم.

يقول كليفر في وهن: «الفوضى يا رجل. الفوضى. إنها رائعة. رائعة».

لا يدري كونر بماذا يجيبه. لا شك أن الرجل يهذي.

يقول كليفر: «لا بأس. الموت بهذه الطريقة ليس سيئًا. إنه أفضل من الاختناق، أليس كذلك؟».

يحدق كونر إليه، ويقول: «ماذا... ماذا قلت؟».

لا يدري بأمر الاختناقات سوى كونر والأدميرال. كونر، والأدميرال، والجاني.

- **أنت** من قتل الذهبيين! أنت ورونالد!

يشعر كليفر بالإهانة، فيما يبدو، على الرغم من ألمه.

يقول: «رونالد؟ رونالد ليس واحدًا منا. إنه لا يعرف شيئًا».

يلمح كليفر تعبير وجه كونر، ويشرع في الضحك. ثم يصبح الضحك حشرجة تستحيل زفيرًا طويلًا بطيئًا. لا تغادر الابتسامة وجهه تمامًا. تبقى عيناه مفتوحتين، لكنهما فارغتان، كأمب، ضحيته.

يقول هايدن: «تبًّا، لقد مات، أليس كذلك؟ لقد قتلوه! تبًّا، لقد قتلوه!».

يترك كونر الطيار الراحل خلفه، ويركض نحو طائرة الأدميرال. يمر بالمستوصف في طريقه. لقد دُمر أيضًا. *ريسا! أين ريسا؟* يلف المراهقون طائرة الأدميرال. لقد شُقَّت الإطارات، تتدلى قلابات الجناحين كريش مكسور، وتميل الطائرة بأكملها جانبًا.

يصيح كونر قائلًا: «توقفوا! توقفوا الآن! ماذا تفعلون؟ ماذا فعلتم؟».

يصعد إلى الجناح، يمسك بكاحل فتى، وينحِّيه أرضًا. لكنه لا يستطيع فعل ذلك بكل واحد منهم. لهذا يأخذ عصا معدنية، ويشرع في طرق الجناح بها. يرن الصوت كأجراس الكنيسة، إلى أن يجذب انتباه الجميع إليه.

يصيح قائلًا: «انظروا إلى حالكم! لقد دمرتم كل شيء! كيف استطعتم فعل ذلك؟ يجب أن تُفكَّكوا، جميعًا! **يجب أن تُفكَّكوا جميعكم!**».

تُوقِف كلماته الجميع، من فوق الطائرة، ومن يضرمون النار. يصدمهم سماع هذه الكلمات من واحد منهم، ويعيد إليهم صوابهم. يذهل كونر لأنه قال هذه الكلمات ولأنه يقصدها، ويخيفه بقدر ما أخافه المشهد الذي أمامه.

لقد سقط الدرج المؤدي إلى طائرة الأدميرال جانبًا.

يقول كونر: «ليأتِ أحد إلى هنا ليساعدني!».

يهرول عشرات المراهقين، الذين خمد غضبهم، نحوه طائعين. يضبطون الدرج معًا، ويصعد كونر إلى باب الطائرة. يحاول كونر النظر عبر النافذة،

لكنه لا يستطيع أن يرى الكثير. الأدميرال مطروح أرضًا، لكنه لا يتحرك. إذا لم يستطع الأدميرال الوصول إلى الباب فلن يتمكنوا من فتحه أبدًا. مهلًا، هل هناك شخص آخر معه بالداخل؟

يُرفع مزلاج في الداخل فجأة، ويُفتح الباب. تجتاحه الحرارة اللاهبة، ويقابله وجه أحمر متورم، يلزم كونر بعض الوقت ليتعرف إليه.

- ريسا؟

تسعل ريسا وتكاد تسقط بين ذراعيه، لكنها تتمكن من أن تحافظ على توازنها.

تقول: «أنا بخير. أنا بخير، لكن الأدميرال...».

يدخلان معًا ويجثوان بجواره. إنه يتنفس، لكن بصعوبة، وأنفاسه ضحلة.

يقول كونر: «إنها الحرارة!».

ويأمر من بقوا عند الباب بفتح كل منفذ للهواء.

تقول ريسا: «ليست الحرارة فقط! انظر إلى شفتيه، إنهما زرقاوان. وانخفض ضغط دمه انخفاضًا شديدًا».

يحدق كونر إليها فقط لأنه لم يفهم شيئًا.

- إنه يعاني أزمة قلبية! لقد أنعشته، لكنني لست طبيبة. لا يمكنني فعل الكثير!

يقول الأدميرال: «خـــ... خـــ... خطئي. خطئي».

يقول كونر: «ششش، ستكون بخير».

لكنه يقولها، مثلما قالها لكليفر، وهو يعلم أن فرصه في النجاة ضئيلة.

يسندان الأدميرال ويهبطان به الدرج. وفي أثناء ذلك، يفسِح المراهقون المنتظرون في الخارج لهما الطريق، كما لو أنهما يحملان نعشًا. ثم يرقِدانه في ظل الجناح.

يشرع المراهقون حولهما في التهامس.

يقول أحدهم: «قتل الرجل المسن الذهبيين. إنه يستحق ما أصابه».

يتميز كونر غضبًا، لكنه أصبح أكثر قدرة على السيطرة على غضبه.

يقول بقوة تكفي ليسمعه الجميع: «كليفر هو من قتلهم».

يأخذ الحشد في الهمهمة حتى يقول أحدهم: «حقًا؟ إذًا ماذا عن إمبي؟».

ترتجف يد الأدميرال ويقول: «ابن... ابني».

يقول أحد الفتية: «هل إمبي **ابنه**؟».

وتبدأ الشائعة تنتشر بين الحشد. أيًا ما يقصده الأدميرال فقدْ فقدَ ترابطه، لأنه يتأرجح على حافة الوعي.

تضغط ريسا صدر الأدميرال محاوِلة إنعاشه، وتقول: «إذا لم نأخذه إلى المستشفى الآن فسيموت».

يجيل كونر النظر حوله، إن أقرب ما يوجد في المقبرة لسيارة هو عربة الجولف.

يقول هايدن: «هناك المروحية، لكن نظرًا إلى أن الطيار قد رحل فنحن في ورطة».

تنظر ريسا إلى كونر. لا يلزم كونر قراءة *ريسا للمبتدئين* ليعلم ما تفكر فيه. لقد رحل كليفر، لكنه كان يدرب شخصًا آخر.

يقول كونر: «أعلم ما يجب فعله. سأتولى الأمر».

يقف كونر ويلتفت حوله، يرى وجوهًا لطخها الدخان، ونيرانًا تشتعل. بعد اليوم سيتغير كل شيء.

يقول: «هايدن، أنت المسؤول عن هذا المكان. استعد السيطرة على كل شيء».

- أنت تمزح، أليس كذلك؟

يترك كونر هايدن يتولى القيادة، ويبحث في مجال رؤيته عن ثلاثة فتية ضخام الجسد.

يقول: «أنت، وأنت، وأنت. أريد منكم الذهاب معي إلى الطائرة الفيديكس».

يتحرك الفتية الثلاثة، ويقودهم كونر إلى الحاوية 2399، ورونالد. لن تكون تلك المهمة هينة. يعلم كونر ذلك.

***

47. الطبيبة المقيمة المتدربة

لقد شهدت الطبيبة الشابة، في خلال الأشهر الستة التي أمضتها تعمل في قسم الطوارئ، كثيرًا من الغرائب تكفي لملء كتاب بحجم مرجع طبي. لكن هذه هي المرة الأولى، التي يهبط فيها أحدهم بمروحية هبوطًا اضطراريًّا في موقف السيارات الخاص بالمستشفى.

تهرول الطبيبة مع فريق الممرضين، ومساعدي الممرضين، والأطباء الآخرين إلى الخارج. هناك مروحية خاصة صغيرة، ذات أربعة مقاعد تقريبًا، لم تصَب بأذى، ولا تزال مروحياتها تدور. يفصلها عن السيارة التي صُفَّت بجوارها القليل، كادت أن تصطدم بها. هناك من سيفقد رخصة الطيران.

يخرج فتى وفتاة، يحملان رجلًا مسنًّا يبدو في حالة سيئة. توجد نقالة في استقبالهم بالفعل.

- إن مهبط المروحيات فوق السطح كما تعلمان.

تقول الفتاة: «ظن أنه لن يستطيع الهبوط عليه».

عندما تنظر الطبيبة إلى قائد المروحية، الذي لا يزال يجلس خلف لوحة التحكم، تدرك أن أمر الرخصة لا يهم، إن عمر هذا الفتى لا يزيد على السابعة عشرة. تهرع إلى الرجل المسن وتتسمع تجويف صدره. يكاد لا يصلها صوت عبر سماعتها الطبية.

تلتفت إلى الفريق الطبي حولها، وتقول: «قوموا بما يلزم لتستقر مؤشراته الحيوية، وجهزوه لجراحة زراعة القلب».

ثم تلتفت إلى الفتى والفتاة، وتقول: «من حسن الحظ أنكم هبطتم في مستشفى يتضمن بنك قلوب، وإلا كنا سنضطر إلى نقله بطائرة الإخلاء الطبي إلى الطرف الآخر من المدينة».

يرفع الرجل على النقالة يده. يمسك بكُم ردائها، يجذبه بقوة لا يملكها رجل في حالته. يقول: «لا زراعة».

تفكر الطبيبة: *لا، لا تفعل هذا بي*. يرتبك مساعدو الممرضين.

- سيدي، إنها جراحة روتينية.

يقول الفتى: «إنه لا يريد أن يخضع لجراحة زراعة الأعضاء».

- لقد أحضرتموه إلى هنا في طائرة يقودها قاصر، من مكان لا يعلمه سوى الرب لإنقاذ حياته، والآن لا يريد أن يدعنا نقوم بذلك؟ لدينا ثلاجة كاملة تمتلئ بقلوب يافعة سليمة.

يقول الرجل: «لا زراعة!».

تقول الفتاة: «إن هذا... إمم... مخالف لتعاليم دينه».

يقول الفتى: «ما رأيك أن تفعلي ما اعتاد الأطباء فعله **قبل** أن تتوفر ثلاجة كاملة تمتلئ بقلوب يافعة سليمة؟».

تتنهد الطبيبة. لم تمضِ الكثير في ميدان العمل لهذا لم تنسَ الدراسة الأكاديمية.

تقول: «يضعِف هذا فرصه في النجاة كثيرًا. تعلم ذلك، صحيح؟».

يقول الفتى: «هو يعلم ذلك».

تمنح الرجل بعض الوقت ليعدل عن رأيه، ثم تذعن إليه. يسرع مساعدو الممرضين وباقي الفريق يعيدون الرجل إلى قسم الطوارئ، ويتبعهم الفتى والفتاة.

بعد مغادرتهم تتوقف قليلًا لتلتقط أنفاسها. يمسك أحدهم بذراعها فتلتفت لترى الطيار الشاب، الذي التزم الصمت طوال الوقت. ينظر إليها تناشدها عيناه شيئًا، قد عقد، فيما يبدو، العزم عليه. تظن أنها تدري بالأمر تنظر إلى المروحية، ثم إلى الفتى.

تقول: «ناقش ما حدث مع إدارة الطيران الفيدرالية. إن عاش الرجل فسيصفحون عنك بالتأكيد. وقد يعدونك بطلًا».

تشتد قبضته قليلًا، ويقول: «أريد منكِ أن تستدعي شرطة الأحداث».

- عذرًا؟

- هذان الاثنان مُفكَّكان هاربان. حال أن يتسجل دخول الرجل المسن سيتسللان هاربين. لا تسمحي بذلك. استدعي ضباط شرطة الأحداث!

تسحب يدها من قبضته قائلة: «حسنًا، حسنًا. سأرى ما يمكنني فعله».

يقول الفتى: «عندما يأتون أريد أن أتحدث معهم أولًا».

تتركه لتعود إلى المستشفى. وتخرِج هاتفها الخلوي في الطريق. إن كان يريد ضباط شرطة الأحداث فسيحصل عليهم. فليسرعوا في المجيء حتى يتولى غيرها هذا الأمر برمته.

***

48. ريسا

يبدو ضباط شرطة الأحداث متعَبين وغاضبين دائمًا. يشبهون كثيرًا المُفكَّكين الذين يمسكون بهم. لا يخرج الشرطي الذي يراقب ريسا وكونر الآن عن هذه القاعدة. إنه يجلس أمام باب العيادة المحتجَزين بها، يحول بينهما وبينه. هناك حارسان أمام الجانب الآخر من الباب تحسبًا للطوارئ. يبدو الشرطي راضيًا لأن الصمت يلفهم، في غضون استجواب شرطي آخر رونالد في غرفة مجاورة. لا تريد ريسا أن تفكر في الموضوعات التي تُثار هناك.

تقول ريسا: «كيف حال الرجل الذي أحضرناه إلى هنا؟».

يقول الشرطي: «في المستشفيات، كما تعلمين، يخبرون أقارب المرضى فقط بهذه الأشياء. لا أظنك منهم».

لن تجيب ريسا على هذا السخف. تجد أنها تبغض هذا الرجل تلقائيًا، لأنه أحد ضباط شرطة الأحداث، إنها تبغض ما يمثِّله.

يقول كونر: «جورباك رائعان».

لا ينظر الشرطي إلى جوربه. لا يبدي أي ضعف. يقول لكونر: «أذناك رائعتان. هل تمانع إذا جربتهما يومًا ما؟».

ترى ريسا أن هناك نوعين من البشر يصبحون ضباط شرطة الأحداث. النوع الأول المتنمرون، الذين يريدون قضاء حياتهم يستعيدون أيام تنمرهم المجيدة في المدرسة الثانوية. النوع الثاني ضحايا النوع الأول، الذين يرون في كل مُفكَّك مَن عذبوهم لسنوات فيما مضى. يظل ضباط النوع الثاني يملؤون بالانتقام حفرة لن تنسد أبدًا. الآن يعمل المتنمرون والضحايا معًا ليذيقوا الآخرين الشقاء.

تسأله ريسا: «كيف ترى القيام بهذا العمل؟ إرسال المراهقين إلى حيث سيفقدون حياتهم؟».

يبدو واضحًا أنه سمع هذا من قبل.

يقول: «كيف ترين عيش حياة لا يرى أحد أنها ذات قيمة؟».

وجَّه سؤاله كلكمة قاسية لتخرِسها. ولقد نجح في ذلك.

يقول كونر: «أرى أن حياتها ذات قيمة (ويمسك بيدها ويضيف) هل هناك من يشعر نحوك بذلك؟».

يزعجه ذلك، لكنه يحاول أن يخفي انزعاجه.

يقول: «لقد حظيتما بخمسة عشر عامًا لتثبِتا جدارتكما، لكنكما أخفقتما. لا تلوما العالم على قراراتكما الخاطئة».

تشعر ريسا بغضب كونر. تشد على يده إلى أن تسمعه يأخذ نفسًا عميقًا ويخرِجه، كابحًا غضبه.

- ألم يدُر بخلدكم قط أنكم -المُفكَّكين- قد تكونون أفضل حالًا، وربما أكثر **سعادة**، في حالة منقسمة؟

تقول ريسا: «هل هكذا تسوغ الأمر؟ تخدع نفسك ظانًّا أننا سنصبح أكثر سعادة؟».

يقول كونر: «إن كان الأمر كذلك فيجب على الجميع أن يُفكَّكوا. لم لا نبدأ بك؟».

يحدق الشرطي إلى كونر غاضبًا، ثم يلقي نظرة سريعة على جوربه. يضحك كونر ضحكة ساخرة.

تغمض ريسا عينيها قليلًا، تبحث عما يبعث على الأمل في هذا الوضع، لكنها لا تجد شيئًا. كانت تعلم أن مجيئهم إلى هنا يجعلهم عرضة لأن يُمسك بهم. كانت تعلم أن في خروجهم إلى العالم الحقيقي مخاطرة. ما فاجأها هو سرعة وصول ضباط شرطة الأحداث إليهم. كان يجب أن يتوفر لهم بعض الوقت للهرب وسط الاضطراب، لكن اقتحام الشرطة المكان لم يكن على النحو المعهود. سواء أنَجا الأدميرال أم مات، لن يغيِّر هذا شيئًا في حياتها أو حياة كونر. سيُفكَّكان. لقد انتُزع منها الأمل في أن تحظى بمستقبل مجددًا. إن امتلاكها هذا الأمل، حتى وإن دام فترة وجيزة، يجعل ما تعيشه الآن أكثر إيلامًا من لو لم تملكه على الإطلاق.

***

49. رونالد

عينا ضابط شرطة الأحداث الذي يستجوب رونالد بهما بعض الحول، وتنبعث منه رائحة كريهة، كما لو أن الصابون المزيل لرائحة العرق الذي يضعه لا يؤدي عمله. وكزميله في الغرفة الأخرى، تصعب إثارة إعجابه. على النقيض من كونر، لا يملك رونالد الذكاء لإزعاجه. لكن لا بأس في ذلك، إن إزعاج الرجل ليس ما يخطط له رونالد.

أخذت خطة رونالد تتبلور بعد أن أطلق كونر سراحه من الحاوية بقليل. كان من الممكن أن يمزق كونر إربًا، لكنه جلب معه ثلاثة فتية، يقاربون رونالد حجمًا وقوة، ليدعموه. كان يجب أن يكون أولئك الفتية في صف رونالد. وجد رونالد في ذلك أول إشارة على أن الأوضاع قد تغيرت على نحو جذري.

أخبره كونر عن أعمال الشغب، وعن كليفر. قدم له اعتذارًا واهنًا لاتهامه بقتل الذهبيين، اعتذارًا لم يقبله رونالد. لو حضر رونالد الشغب لأحسن تنظيمه ولكُلِّل بالنجاح. لو كان هناك لأحدث ثورة، لا شغبًا. لقد سلبه كونر فرصة القيادة عندما سجنه.

عندما عادوا إلى مسرح أحداث الشغب نال كونر انتباه الجميع. وجَّهوا جميع تساؤلاتهم إليه. كان يخبرهم بما يجب عليهم فعله، وكانوا يستجيبون له. حتى إن أصدقاء رونالد المقربين غضوا الطرف عندما رأوه. أدرك رونالد أنه خسر دعم الجميع. غيابه عن الواقعة جعله غريبًا، ولن يستعيد ما فقده هنا أبدًا. كان هذا يعني أن الوقت قد حان ليضع خطة جديدة.

وافق رونالد على قيادة المروحية، ليس لأنه أراد إنقاذ حياة الأدميرال، بل لأن القيام بتلك الرحلة يفتح له باب فرصة جديدة.

يقول الشرطي ذو الرائحة الكريهة: «أتساءل لمَ قد تسلم الفتى والفتاة الآخرين إلى الشرطة في حين أن هذا يعني تسليم نفسك أيضًا؟».

- هناك مكافأة قدرها خمسمائة دولار لمن يبلغ الشرطة عن مُفكَّك هارب، أليس كذلك؟

يبتسم ابتسامة ساخرة قائلًا: «هذا يعادل ألفًا وخمسمائة دولار إن كنت تدرج نفسك».

ينظر رونالد إلى عينَي ضابط شرطة الأحداث، دون خزي أو خوف، ويقدِّم عرضه بوقاحة: «ماذا لو أخبرتك أنني أعلم أين يوجد ما يزيد على أربعمائة مُفكَّك إوُول؟ ماذا لو ساعدتك في تفكيك عملية تهريب كاملة؟ كم ستبلغ قيمة ذلك؟».

يتجمد الشرطي في مكانه، وينظر إلى رونالد منتبهًا، ويقول: «حسنًا، أنا أستمع لك».

***

50. كونر

بينما يقودهما الشرطي والحارسان إلى حيث يُستجوب رونالد، يفكر كونر في كم طال استجوابه. ثم يشي له التبجح الذي يعلو وجه رونالد بأن ما تم لم يكن استجوابًا بقدر ما كان تفاوضًا.

يقول الشرطي الذي يجلس على حافة مكتب بالقرب من رونالد: «تفضلا بالجلوس».

لا ينظر إليهما رونالد، يتجاهلهما. يميل في مقعده إلى الوراء. لولا الأصفاد لعقد ذراعيه.

يباشر الشرطي عمله على الفور قائلًا: «كان لدى صديقكما الكثير ليقوله، وقدَّم لنا عرضًا مثيرًا للاهتمام، حريته مقابل أربعمائة مُفكَّك. لقد عرض أن يخبرنا أين هم بالضبط».

لم يتفاجأ كونر بأن رونالد أبلغ عنه وعن ريسا الشرطة، لكنه بلغ مستوى جديدًا من الانحطاط بإبلاغه الشرطة عنهم جميعًا. لا يزال يتجنب النظر إليهما، لكن التبجح الذي يبديه وجهه قد اشتد.

يقول الشرطي الثاني: «أربعمائة؟».

تقول ريسا على نحو مقنِع للغاية: «إنه يكذب. إنه يحاول أن يخدعكم. لا يوجد سوى ثلاثتنا».

يقول الشرطي الذي يجلس على حافة المكتب: «في الواقع إنه يقول الحقيقة، رغم أن العدد أربعمائة فاجأنا. اعتقدنا أنه لن يقل عن ستمائة. أظن الباقين يبلغون الثامنة عشرة».

ينظر إليه رونالد حائرًا ويقول: «ماذا؟».

يقول الشرطي: «يؤسفني أن أخبرك بهذا، لكننا نعرف كل شيء عن الأدميرال والمقبرة منذ ما يزيد على عام».

يضحك الشرطي الثاني ضحكة خافتة لمرأى الذهول الذي يعلو وجه رونالد.

- لكن... لكن...

يقول الشرطي الذي توقع سؤال رونالد: «لكن لمَ لمْ نلقِ القبض عليهم؟ انظر إلى الأمر بهذه الطريقة. إن الأدميرال مثل قطة الحي الضالة التي لا يحبها أحد، لكن لا أحد يريد التخلص منها لأنها تتولى أمر الفئران. إن تشرد المُفكَّكين الهاربين يسبب لنا المشكلات. لكن الأدميرال يجمعهم، ويبقيهم في حيه الصحراوي الصغير. إنه يسدي إلينا معروفًا دون أن يدري؛ لا مزيد من الفئران».

يقول الشرطي الثاني: «بالطبع إذا فقد الرجل المسن حياته فسنضطر إلى الذهاب إلى هناك لنخلي المكان».

تقول ريسا: «لا! يمكن أن يتولى هذه المسؤولية شخص آخر!».

يهز الشرطي الثاني كتفيه، وكأن الأمر لا يعنيه، قائلًا: «فليكن جيدًا في صيد الفئران».

بينما يحدق رونالد دهِشًا يشاهد انهيار خطته، يشعر كونر بالارتياح، وبعض الأمل.

يقول: «إذًا هل ستسمحون لنا بالعودة إلى هناك؟».

يتناول الشرطي الذي يجلس على المكتب ملفًا ويقول: «يؤسفني قول إنه لا يمكنني ذلك. إن تجاهل الأمر شيء، وإطلاق سراح مذنب شيء آخر. (ثم يشرع في القراءة جهرًا) كونر لاسيتر. كان من المقرَّر تفكيكك في الحادي والعشرين من نوفمبر، لكنك هربت من التفكيك. تسببت في وقوع حادث أدى إلى وفاة سائق حافلة، وإصابة العشرات، وإغلاق الطريق السريع لساعات. وفضلًا عن ذلك، اختطفت رهينة، وخدَّرت شرطيًا مستخدِمًا مسدسه الخاص».

ينظر رونالد إلى الشرطي مشدوهًا، ويقول: «**هو** إوُول آكرون؟».

ينظر كونر إلى ريسا، ثم إلى الشرطي ويقول: «حسنًا. أنا أقر بالأمر. لكنها لا علاقة لها بما حدث! دعوها تذهب!».

يواصل الشرطي تصفح الملف هازًّا رأسه ويقول: «يقول الشهود إنها شريكتك في الجريمة. يؤسفني قول إنها لن تذهب سوى إلى المكان الذي ستذهب إليه، أقرب مخيم حصاد».

يسأله رونالد: «ماذا عني؟ أنا لا شأن لي بأي من هذا!».

يغلق الشرطي الملف ويقول: «ألم تسمع عن الذنب بالتبعية من قبل؟ يجب عليك أن تكون أكثر حذرًا عند اختيار من ترافق».

ثم يشير إلى الحراس ليأخذوا ثلاثتهم.

***

الجزء السادس

مُفكّك

«حرصًا على طمأنينتكم وراحة بالكم، وفّرنا لكم مجموعة متنوعة من مخيمات الحصاد لتختاروا من بينها. جميع مؤسساتنا خاصة، ومرخّصة من مختلف الولايات، وتموّلها الحكومة الفيدرالية من أموال الضرائب التي تسددونها. سيحصل مُفكّككم، في أي مخيم حصاد تختارونه، على أفضل رعاية ممكنة، يقدمها فريق عمل مُجاز من مجالس الاختصاص، في أثناء انتقاله إلى الحالة المنقسمة».

- جزء من كتيب التفكيك الخاص بالآباء

51. المخيم

قد يمتد جدال الناس حول مسألة وجود الروح، عند التفكيك أو الإجهاض، لساعات دون توقف. لكن لا أحد منهم يتساءل إن كانت مؤسسات التفكيك تملك روحًا. إنها تعدمها. ربما لهذا يحاول من يؤسسون تلك المصانع الطبية الضخمة جاهدين أن يجعلوها بيئة بهيجة تلائم المراهقين، بعدد من الطرق.

أولًا، لم تعد تلك المؤسسات تُدعى مؤسسات التفكيك، بل مخيمات الحصاد.

ثانيًا، يقع كل منها في بقعة ذات طبيعة خلابة، لتذكير نزلائها بالصورة الكاملة، وبالعظمة المطمئنة التي يبثها الشعور بأن هناك خطة كبرى.

ثالثًا، يُعتنى بحدائقها لتبدو فاخرة كالمنتجعات، وتملؤها ألوان الباستل الزاهية، مع تجنب اللون الأحمر قدر المستطاع، لأن الأحمر يرتبط نفسيًّا بالغضب والعنف، لا الدم.

إن مخيم حصاد هابي جاك[1]، الذي يقع في بلدة هابي جاك في أريزونا، هو النموذج المثالي لما يجب أن يكون عليه مخيم الحصاد. تحتضنه سلسلة من التلال المغطاة بأشجار الصنوبر في شمال أريزونا، حيث تبث مناظر الغابة السكينة في النفوس، وتفسِح المجال لجبال سيدونا الحمراء الساحرة غربًا. لا شك أن هذا المنظر هو ما أسعد حطَّابي القرن العشرين، الذين أسسوا البلدة. ومن هنا جاءت التسمية.

مهجع الفتية مطلي بالأزرق الفاتح وظلال من الأخضر، أما مهجع الفتيات فمطلي بالأرجواني الفاتح والوردي. يرتدي طاقم العمل زيًّا موحدًا من سراويل قصيرة مريحة وقمصان هاواي. يُستثنى من ذلك جراحو الوحدة الطبية، الذين يرتدون بذلات جراحية صفراء زاهية.

---

(1) هابي جاك = Happy Jack: الحطَّاب السعيد. م

هناك سياج من الأسلاك الشائكة، لكنه يتوارى خلف سياج نباتي شاهق من الكركديه. يرى المُفكَّكون المقيمون الحافلات المزدحمة تصل إلى البوابة الأمامية كل يوم، لكنهم لا يرون الشاحنات المغادرة، لأنها ترحل عبر البوابة الخلفية.

يبلغ متوسط مدة إقامة المُفكَّك في مخيم الحصاد ثلاثة أسابيع. قد يختلف ذلك تبعًا لزمر الدم، والعرض والطلب. وكالحياة في العالم الخارجي، لا يدري أحد متى يحين أجله.

على الرغم من الموقف المهني والإيجابي الذي يتبناه طاقم العمل، فإنه من حين إلى آخر، تتفجر نوبات الهياج. يتمثل عصيان هذا الأسبوع في كتابة على جدار العيادة الطبية تقول: لن تستطيعوا خداعنا.

في الرابع من فبراير، يصل فتيان وفتاة يرافقهم ضباط الشرطة. يُصطحب اثنان منهم إلى مركز الاستقبال، كما يحدث مع أي مُفكَّك وافد، أما الثالث فيُختار ليقطع طريقًا طويلًا يمر بالمهاجع، والملاعب الرياضية، وجميع الأماكن الأخرى التي يتجمع فيها المُفكَّكون.

يخطو كونر خطوات قصيرة محنيًّا. يتعثر بأغلال ساقيه، وتقيِّد الأصفاد يديه. يحيط به ضباط شرطة الأحداث المسلَّحون، على جانبيه، وأمامه، وخلفه.

يسم الهدوء واللطف كل ما يجري في مخيم حصاد هابي جاك، لكن هذه اللحظة تشذ عن القاعدة. من حين إلى آخر، يُختار مُفكَّك متمرد ليؤدَّب علنًا، أمام جميع المُفكَّكين، قبل أن ينضم إليهم. في كل مرة يثور ذلك المُفكَّك، وفي كل مرة يُنقل إلى العيادة، ويُفكَّك في خلال بضعة أيام من وصوله.

يوجِّه هذا الإجراء تحذيرًا ضمنيًّا إلى جميع المُفكَّكين الحاضرين، إذا لم تنصاعوا إلى القواعد فلن تطول إقامتكم هنا. ودائمًا ما يأخذ الجميع العبرة.

ما لا يعلمه طاقم عمل مخيم هابي جاك، هذه المرة، هو أن كونر لاسيتر ذائع الصيت. أعلن طاقم العمل أنهم قد أمسكوا بإؤول آكرون، لكن هذا لم يُفقِد المُفكَّكين الأمل، بل أحال فتى الشائعات إلى بطل حقيقي.

***

52. ريسا

قبل أن نبدأ جلستنا، أرى أنه ينبغي أن أذكّرك بأن صداقتك بالمدعو إوُول آكرون تضر بك، إن مصلحتك في الابتعاد عنه.

في أول الأمر فصلوا بين ثلاثتهم. فرِّق تسد، هذا هو المصطلح، أليس كذلك؟ ترحِّب ريسا بالانفصال عن رونالد، لكنها بعد أن شاهدت ما فعلوه بكونر، تتوق إلى رؤيته بشدة. لم يلحِقوا به أي أذى جسدي؛ لن ينفعهم إتلاف البضاعة في شيء. لكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن الأذى النفسي. لقد قادوه عبر الحدائق أمام أعين الجميع مدة عشرين دقيقة تقريبًا، ثم خلعوا أغلاله وتركوه بجوار سارية العلم. حرموه من زيارة مركز الاستقبال، والعرض التوجيهي. تُرك ليكتشف كل شيء بنفسه. لم يقصدوا من ذلك تحديه أو عقابه، بل أن يدفعوه إلى أن يرتكب خطأ. هكذا يستطيعون تسويغ أي عقوبة ينزلونها به. أقلق ذلك ريسا، للحظات فقط، لأنها تعرف كونر جيدًا. سيخطئ فقط عندما يكون من الصائب ارتكاب الخطأ.

لقد أبليتِ بلاء حسنًا في اختبار القدرات يا ريسا، نتائجكِ فوق المتوسطة. أحسنتِ!

على الرغم من أن ريسا أمضت هنا نصف يوم فقط، فإنها لا تزال مدهوشة من الصورة العامة التي يبدو عليها مخيم حصاد هابي جاك. لطالما تصورت مخيمات الحصاد حظائر ماشية بشرية، زنزانات رمادية صغيرة بداخلها حشود من مراهقين أعينهم جامدة، ويعانون سوء التغذية، كابوس تجريد من الإنسانية. لكن هذا الكابوس بديع المنظر أكثر سوءًا. كما كانت المقبرة جنة تتخفى في زي الجحيم، فإن مخيم الحصاد جحيم يتخذ قناع جنة.

تبدين لائقة بدنيًا. كنتِ تمارسين الكثير من التمارين الرياضية، أليس كذلك؟ كنتِ تركضين؟

إن ممارسة الرياضة، فيما يبدو، من أهم الأنشطة في يوم المُفكَّك. ظنت ريسا في بادئ الأمر أن الهدف من هذه الأنشطة المتعددة هو شَغل المُفكَّكين بها حتى تحين ساعتهم. لكنها عندما مرت بمباراة كرة سلة في طريقها إلى مركز الاستقبال، انتبهت إلى أنه يوجد عمود طوطمي بالقرب من الملعب. في عينَي كل طوطم من الطواطم الخمسة كاميرات، عشر كاميرات من أجل عشرة لاعبين. هذا يعني أن هناك، في مكان ما، من يراقبون كل مُفكَّك في تلك اللعبة، ويدوِّنون الملاحظات الخاصة بالتوافق البصري الحركي، ويقدِّرون قوة مختلف المجموعات العضلية. سرعان ما أدركت ريسا أن مباراة كرة السلة ليست لتسلية المُفكَّكين، بل لتثمين أعضائهم.

في خلال الأسابيع القليلة المقبلة، ستشاركين في برنامج يتضمن أنشطة متنوعة. ريسا، عزيزتي، هل تسمعينني؟ هل هناك ما يصعب عليكِ فهمه؟ هل تريدينني أن أتمهل؟

على الرغم من النتائج العالية التي أحرزتها ريسا في اختبار القدرات، فإن مرشدة الحصاد، التي تجري معها المقابلة، تفترض أن كل مُفكَّك هو بالضرورة أبله. ترتدي المرأة قميصًا نسائيًّا مطبوعًا بالكثير من أوراق الأشجار والزهور الوردية. تود ريسا أن تنقض عليها بآلة تشذيب العشب.

- هل لديك أي تساؤلات أو استفسارات يا عزيزتي؟ هذا أفضل وقت لطرحها.

- ما مصير الأعضاء المعيبة؟

يبدو أن هذا السؤال فاجأها.

تقول: «عفوًا؟».

- الأعضاء المعيبة كما تعلمين. ماذا تفعلون بالأقدام المعوجة والآذان الصماء؟ هل تستخدمونها في زراعة الأعضاء؟

- لستِ مصابة بأي الحالتين، أليس كذلك؟

- لا، لكنني أملك زائدة دودية. ما مصيرها؟

تقول المرشدة التي تبدي صبرًا لا ينفد: «الأذن الصماء أفضل من عدمها. في بعض الأحيان، لا يستطيع الناس تحمل تكاليف سواها. والزائدة الدودية لا يحتاج إليها أحد في الواقع».

- ألستم بهذا تخالفون القانون؟ ألا ينص القانون على أنه يجب عليكم إبقاء المُفكِّك حيًّا بنسبة مائة في المائة؟

تأخذ ابتسامة المرشدة تبهت.

تقول: «في الواقع، تبلغ النسبة 99,44 في المائة، أخذًا بعين الاعتبار الزائدة الدودية وما شابه».

- فهمت.

- مهمتنا التالية هي استبيان ما قبل الدخول. لم تتَح لك فرصة ملئه نظرًا إلى طريقة وصولك غير المعتادة.

تقلب صفحات الاستبيان وتضيف: «لا تهمنا معظم الأسئلة في هذه المرحلة، لكن إذا كانت لديك أي مهارات خاصة، أو أشياء قد تفيد مجتمعنا في أثناء إقامتك هنا، فأخبرينا بها».

تود ريسا أن تنهض لتغادر. حتى الآن، في نهاية حياتها، يطاردها هذا السؤال الحتمي: ما نفعك؟

تخبرها ريسا في جمود: «لديَّ بعض الخبرة الطبية في الإسعافات الأولية والإنعاش القلبي الرئوي».

تعتذر المرأة إليها في ابتسامة، وتقول: «حسنًا، إذا كان هناك شيء واحد لا ينقصنا فهو الطاقم الطبي».

إذا قالت هذه المرأة «حسنًا» مرة أخرى فستلكمها ريسا لكمة تطرحها أرضًا.

تضيف المرشدة: «هل هناك شيء آخر؟».

- قدمتُ المساعدة في حضانة الرضع في ملجأ الولاية.

تبتسم الابتسامة الواهنة ذاتها مجددًا قائلة: «آسفة. لا يوجد رضع هنا. هل هذا كل شيء؟».

تتنهد ريسا، ثم تقول: «تعلمت عزف البيانو الكلاسيكي أيضًا».

يرتفع حاجبا المرأة دهشة، وتقول: «حقًّا؟ تجيدين عزف البيانو؟ حسنًا، حسنًا، حسنًا».

***

53. كونر

يريد كونر أن يقاتل. يريد أن يسيء إلى طاقم العمل، وأن يخرق القواعد كافة، لأنه يعلم أنه إذا ارتكب أيًّا من ذلك فسينتهي أمره سريعًا. لكنه لن يستسلم لتلك الرغبة لسببين. أولهما أن هذا ما يريدونه أن يفعل بالضبط، وثانيهما ريسا. إنه يعلم أن رؤيته يُقاد إلى مرأب التفكيك ستحطِّمها. مرأب التفكيك، هذا هو الاسم الذي أطلقه المراهقون على عيادة الحصاد، لكنهم لا يتفوهون به أمام طاقم العمل أبدًا.

يحظى كونر بشهرة واسعة في مهجعه. لكنه يرى أن من السخيف والغريب أن يراه المراهقون هنا رمزًا، في حين أن كل ما فعله هو البقاء على قيد الحياة.

في ليلته الأولى يسأله الفتى الذي ينام في السرير الذي يجاوره: «ليس من المعقول أن يكون الأمر بأكمله صحيحًا، أليس كذلك؟ أعني أنك لم تتغلب **حقًّا** على فرقة كاملة من ضباط شرطة الأحداث باستخدام مسدساتهم الخاصة».

يجيبه كونر قائلًا: «لا! هذا ليس صحيحًا».

لكن نفيه الأمر يجعل الفتى يصدِّقه أكثر.

يقول فتى آخر: «ألم يغلقوا **حقًّا** طرقًا سريعة كاملة للبحث عنك؟».

- كان طريقًا واحدًا فقط، ولم يغلقوه. أنا من أغلقه. تقريبًا.

- إذًا فالأمر صحيح!

لا فائدة؛ تفشل جميع محاولات التقليل من شأن القصة في إقناعهم أن إوُول آكرون ليس بطلًا خارقًا مهيبًا.

وهناك رونالد، الذي على الرغم من بغضه كونر، فإنه يسخِّر الوضع لمصلحته قدر ما يمكن. يمكث رونالد في وحدة أخرى، لكن كونر تصل إليه

بالفعل حكايات جامحة، تروي كيف أنه ورونالد سرقا مروحية، وحرَّرا مائة مُفكَّك محتجَزين في مستشفى في توسان. يفكر كونر في إخبارهم أن رونالد لم يفعل شيئًا سوى تسليمهم إلى الشرطة، ثم يرى أن الحياة قصيرة للغاية، حرفيًّا، ولا جدوى من تأجيج خلافه مع رونالد.

هناك فتى واحد يتحدث إليه كونر يستمع إلى ما يقوله حقًّا، ويستطيع التفرقة بين الحقيقة والأكاذيب. اسمه دالتون. إنه في السابعة عشرة، قصير مكتنز الجسد، ومجعَّد الشعر. يخبره كونر بما حدث بالضبط في اليوم الذي هرب فيه من التفكيك. من المطمئن أن تحظى بمن يصدق الحقيقة. لدالتون رأيه الخاص في الأمر.

يقول دالتون: «حتى وإن كان هذا هو ما حدث فإنه لا يزال مثيرًا للإعجاب. جميعنا نتمنى لو استطعنا فعل ذلك».

يقر كونر بصحة رأيه.

يخبره دالتون: «أنت هنا بمنزلة ملك المُفكَّكين، لكن فتية مثلك يُفكَّكون سريعًا. لهذا يجب عليك أن تنتبه لتصرفاتك».

ثم يدقق النظر إليه، ويسأله: «هل أنت خائف؟».

يود كونر أن يقول شيئًا يخالف الحقيقة، لكنه لن يكذب: «أجل».

يبدو الارتياح على دالتون لأن كونر خائف أيضًا.

يقول: «في الجلسة الجماعية يخبروننا أن خوفنا سيزول، وسيحل محله القبول. مضى على وجودي هنا ستة أشهر تقريبًا، ولا أزال خائفًا كما كنت يوم وصولي إلى هنا».

- ستة أشهر؟ ظننت الجميع يُفكَّكون في خلال بضعة أسابيع.

يقترب دالتون منه ويهمس، وكأنه يبوح بمعلومات خطيرة، قائلًا: «لا يحدث ذلك إن كنت في الفرقة الموسيقية».

فرقة موسيقية؟ ينزعج كونر عندما يتصور أن تُعزَف الموسيقى في مكان تُخرَس فيه الأرواح.

يقول دالتون: «حددوا لنا موضعًا على السطح. بينما يحضِرون المراهقين نعزف جميع أنواع الموسيقى، الموسيقى الكلاسيكية، البوب، روك العالم القديم. أنا أفضل عازف باص حظي به هذا المكان».

ثم يبتسم قائلًا: «تعالَ لتستمع إلينا غدًا. لقد انضمت إلينا عازفة آلة مفاتيح جديدة، وهي جذابة».

صباحًا، يشارك كونر في مباراة كرة الطائرة كأول نشاط رسمي له. خلف خطَّي الملعب الجانبيين، يقف عدد من الموظفين يرتدون أقمصة تملؤها الزهور، حاملين ألواح الكتابة. يبدو واضحًا أن ملعب كرة الطائرة ليس مجهَّزًا باثنتي عشرة كاميرا. خلفهم، أعلى سطح مرأب التفكيك، تصدر الألحان. إنها فرقة دالتون الموسيقية تعزف مقطعًا موسيقيًّا صباحيًّا.

تثبط همة لاعبي الفريق المنافس عندما يرون كونر، كما لو أن وجوده فقط يضمن خسارتهم. لا يجيد كونر لعب كرة الطائرة، لكن هذا لا يهم؛ إنهم يرون إوُول آكرون بطل الرياضات كافة. رونالد أحد لاعبي الفريق المنافس أيضًا، لكنه لا يبدو واهن الهزيمة كالباقين، بل يمسك بالكرة غاضبًا، يود أن يقذف بها في حلق كونر.

تبدأ المباراة، هناك خوف خفي يزيد لعبهم حدة، ويقود كل ضربة للكرة. يلعب الفريقان كما لو أن الخاسرين سيُفكَّكون على الفور. لقد أخبر دالتون كونر أن الأمر لا يسير بهذه الطريقة، لكن الخسارة لا تجدي نفعًا. إن ما يجري يُذكِّر كونر بمباريات لعبة مارستها شعوب المايا تُدعى بوكاتوك، درسها كونر في صف التاريخ. كانت تلك اللعبة تشبه كرة السلة إلى حد كبير، باستثناء أن الخاسرين يُقدَّمون كأضاحي إلى آلهة المايا. آنذاك ظن كونر الأمر ظريفًا.

يضرب رونالد الكرة فتصيب وجه أحد الموظفين. يبتسم رونالد قبل أن يعتذر إلى الرجل. ينظر الرجل إليه غاضبًا، ويدوِّن ملاحظة في لوح الكتابة. يتساءل كونر إن كان هذا التصرف سيسرق من رونالد بضعة أيام.

تتوقف المباراة فجأة، لأن انتباه الجميع يتجه إلى جماعة من المراهقين يرتدون الأبيض، يمرون بطرف الملعب الأقصى.

يخبر فتى كونر: «إنهم الأعشار. أنت تعلم ماذا يعني هذا، أليس كذلك؟».

يومئ كونر قائلًا: «أجل».

– انظر إليهم. إنهم يظنون أنفسهم أفضل من الجميع.

لقد سمع كونر بالفعل أن الأعشار يُعامَلون هنا على نحو مختلف عن الباقين. هناك أعشار وأغمار، هكذا يشير طاقم العمل إلى نوعَي المُفكَّكين.

لا يشارك الأعشار في أنشطة الأغمار، ولا يرتدون الزيَّين الرسميَّين، الأزرق والوردي، اللذين يرتديهما الأغمار. تبرق ثيابهم البيضاء في شمس أريزونا، فترغمك على أن تضيِّق جفنيك عندما تنظر إليهم، كما لو أنهم نسخ مراهقة من الرب. لكن كونر يراهم جماعة من الكائنات الفضائية. يمقت الأغمار الأعشار كما يبغض الفلاحون الملوك. راود كونر الشعور نفسه قبلًا، لكنه بعد أن عرف واحدًا منهم، أصبح حالهم أكثر ما يأسف له.

يقول أحد الفتية: «سمعت أنهم يعلمون تاريخ وموعد تفكيكهم بالضبط».

يقول آخر: «سمعت أنهم من يحدِّدون **موعدهم**!».

يطلق الحكم صافرته، ثم يقول: «حسنًا، لنكمل المباراة».

يديرون وجوههم بعيدًا عن الثياب البيضاء الناصعة للقلة المختارة، ويجلبون المزيد من الإحباط إلى المباراة.

بينما يتوارى الأعشار خلف منحدر أحد التلال، يظن كونر للحظة أنه يرى بينهم وجهًا يعرفه. لكنه يعلم أنه واهم.

***

54. ليف

إن كونر لا يتوهم. ليفي جيدادايا كالدر أحد النزلاء المميَّزين في مخيم حصاد هابي جاك، ويرتدي ثياب العُشر البيضاء مرة أخرى. لا يلحظ ليف كونر في ملعب كرة الطائرة، لأن الأعشار تلقوا تعليمات صارمة بألا ينظروا إلى الأغمار. لمَ قد يعيرونهم اهتمامًا؟ لقد أُخبروا منذ بداية حياتهم أنهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية مختلفة، ويتوخون غاية سامية.

لا يزال ليف يعاني آثار حروق الشمس، لكن شعره قصير ومرتب، كما كان من قبل، ويتسم سلوكه بالتهذيب والوداعة. على الأقل هذا ما يبدو.

يحين موعد تفكيك ليف بعد ثلاثة عشر يومًا.

***

55. ريسا

على سطح مرأب التفكيك، تعزف ريسا لحنًا، وتنساب موسيقاها إلى آذان آلاف الأرواح، التي تترقب خضوعها لمشرط الجراحة. لا يضاهي سعادتها بلمس المفاتيح سوى رعبها مما يجري على مقربة منها.

من موقعها على السطح، الذي يشرف على أرض مخيم الحصاد، تستطيع أن ترى المُفكَّكين يُقادون عبر الممر المرصوف بالبلاط الحجري كستنائي اللون، الذي يدعوه المراهقون السجادة الحمراء. يلاصق كل مُفكَّك يسير على السجادة الحمراء حارسان، يقبضان على ذراعيه بقوة تقيِّد حركته، لكنها لا تكدمه.

على الرغم من هذا فإن دالتون وفرقته الموسيقية يواصلون العزف، غير مكترثين للأمر على الإطلاق.

تسألهم في أثناء فترة الراحة: «كيف تستطيعون فعل ذلك؟ كيف يمكنكم مشاهدتهم يومًا تلو الآخر يدخلون ولا يخرجون أبدًا؟».

يأخذ قارع الطبول جرعة ماء، ويجيبها قائلًا: «ستعتادين الأمر».

تفكر في كونر. إنه لا يتمتع بإرجاء تنفيذ الحكم مثلها. لا أمل له في النجاة.

- لن يحدث! لن أستطيع! لن أشاركهم في الجريمة التي يرتكبونها!

يبدو الانزعاج على دالتون، يقول: «هذا ما ندعوه البقاء! نحن نفعل ما يجب علينا فعله لنبقى على قيد الحياة! لقد وقع عليكِ الاختيار لأنك تستطيعين عزف آلة موسيقية، وأنتِ بارعة. لا تهدري الفرصة. إذا لم تعتادي مرأى المراهقين يسيرون على السجادة الحمراء فستصبحين مكانهم، وسيتوجب علينا العزف من أجلك».

فهمت ريسا الرسالة، لكن هذا لا يعني أن عليها أن تتقبلها.

تسألهم: «هل هذا ما حدث لعازف آلة المفاتيح الأخير بفرقتكم؟».

يبدو واضحًا أنهم يفضّلون عدم إثارة هذا الأمر. ينظر بعضهم إلى بعض. لا يريد أي منهم أن يتصدى للسؤال.

تشيح المغنية الرئيسة بوجهها، وكأن ما حدث لا يهم، ثم تجيبها قائلة: «أوشك جاك على أن يبلغ الثامنة عشرة، لهذا أخذوه قبل أسبوع من يوم مولده».

يقول قارع الطبول: «لم يكن قدَره سعيدًا».

ثم يقرع طبوله.

تقول ريسا: «أخذوه بهذه البساطة؟».

تقول المغنية الرئيسة: «يأتي جني الأرباح أولًا. إذا بلغ أحدنا الثامنة عشرة فسيُجبَرون على إطلاق سراحه، وسيخسرون مبالغ طائلة».

يقول دالتون غامزًا بعينه إلى الآخرين، الذين يبدو واضحًا أنهم سمعوا ما سيقوله من قبل: «عندما يقترب بلوغي الثامنة عشرة، ويوشكون على المجيء لأخذي، سأقفز عن هذا السطح مباشرة».

- ستقتل نفسك؟

- آمل ألا يحدث ذلك. هناك احتمالان فقط في نهاية الأمر. ستلحق بي إصابات بالغة بالتأكيد. هكذا لن يستطيعوا تفكيكي، سيُرغَمون على الانتظار حتى أتعافى. عندئذ سأكون قد بلغت الثامنة عشرة، وسيخيب سعيهم!

يضرب دالتون كفه بكف قارع الطبول ويضحكان. تحدق ريسا إليهما ذاهلة.

تقول المغنية الرئيسة: «أنا أُعوِّل على أنهم سيخفضون سن البلوغ القانونية إلى السابعة عشرة. إن حدث ذلك فسأذهب إلى طاقم العمل والمرشدين والأطباء اللعينين، وسأبصق في وجوههم، ولن يستطيعوا فعل شيء سوى السماح لي بالخروج من البوابة على قدميَّ».

يتناول عازف الجيتار، الذي لم يتفوه بكلمة طوال الصباح، جيتاره.

يقول: «هذه من أجل جاك».

ويشرع في عزف التوليفة الموسيقية الافتتاحية لأغنية «لا تخشي حاصد الأرواح»، واحدة من كلاسيكيات فترة ما قبل الحرب.

ينضم إليه الباقون، يعزفون من صميم قلوبهم، وتبذل ريسا قصارى جهدها لتبقي نظرها بعيدًا عن السجادة الحمراء.

***

56. كونر

تنقسم المهاجع إلى وحدات. في كل وحدة ثلاثون مراهقًا يتجمعون في غرفة طويلة ضيقة، تحتوي على ثلاثين سريرًا ونوافذ كبيرة مضادة للكسر، تسمح بدخول الضوء البهيج. بينما يستعد كونر للمغادرة إلى العشاء، ينتبه إلى أن هناك سريرين في وحدته قد أُزيلت أغطيتهما، وأن الفتيين اللذين كانا يشغلانهما قد اختفيا. ينتبه الجميع إلى الأمر، لكن لا أحد يتحدث عنه، سوى فتى واحد ينتقل إلى أحد السريرين لأن نوابض حشية سريره تالفة.

يقول الفتى: «ليأخذ أحد المستجدين التالف. لن أشقى في أسبوعي الأخير».

لا يستطيع كونر تذكر اسمَي الفتيين الغائبين أو وجهيهما، وهذا يزعجه. يشغل فكره كيف يرى الجميع أنه يستطيع إنقاذهم، في حين أنه لا يستطيع إنقاذ نفسه، وكيف يترقب طاقم العمل أن يرتكب خطأً. لا يسرِّي عنه سوى أن ريسا آمنة، على الأقل في الوقت الحالي. لقد رآها بعد الغداء عندما توقف ليشاهد الفرقة الموسيقية. ظل يبحث عنها في كل مكان، في حين أنها طوال ذلك الوقت كانت هناك على مرأى من الجميع، تتفانى في العزف. لقد أخبرته أنها تعزف البيانو، لكنه لم يلقِ بالًا للأمر. إنها رائعة. الآن يتمنى لو أنه قد أمضى المزيد من الوقت يتعرف إلى حياتها قبل هروبها من تلك الحافلة. عندما رأته يشاهدهم في تلك الظهيرة ابتسمت، رغم أنها قلما تبتسم. ثم اختفت ابتسامتها سريعًا، وحل محلها تعبير يعرب عن واقعهما، كانت هي هناك في الأعلى، وهو هنا في الأسفل.

يمضي كونر الكثير من الوقت في المهجع مستغرقًا في أفكاره تلك. عندما ينظر حوله يجد أن جميع الفتية في المهجع قد غادروا لتناول العشاء. بينما ينهض ليغادر، يرى شخصًا يقف عند الباب فيتوقف. إنه رونالد.

يقول كونر: «ليس من المفترض أن تكون هنا».

يقول رونالد: «أجل، ليس من المفترض أن أكون هنا. لكنني هنا بسببك».

- ليس هذا ما أعنيه. إن أُمسك بك خارج وحدتك فسيُسَجل هذا ضدك. سيعجِّل تفكيكك.

- لطف منك أن تهتم لأمري.

يتجه كونر إلى الباب، لكن رونالد يقطع طريقه. إنها المرة الأولى التي يلحظ فيها كونر أنه، على الرغم من بنية رونالد العضلية، فإنهما متقاربان في الطول. لطالما ظن كونر أن رونالد يفوقه طولًا، لكنه ليس كذلك.

يتجهز كونر لما قد يكون في جعبة رونالد، ويقول: «إن كان هناك سبب وراء مجيئك إلى هنا فهات ما عندك، وإلا فتنحَّ جانبًا لأذهب إلى العشاء».

يمكن للحقد الذي يعلو وجه رونالد أن يفتك بوحدة كاملة.

- لقد أُتيحت لي عشرات الفرص لقتلك. كان يجب عليَّ أن أقتلك حتى لا ينتهي بنا المطاف إلى هنا.

يُذكِّره كونر قائلًا: «أنت من سلَّمنا إلى الشرطة في المستشفى. لو لم تفعل أنت ذلك لما أصبحنا هنا، ولعدنا جميعًا إلى المقبرة آمنين!».

- أي مقبرة؟ لم يتبقَّ شيء منها. لقد سجنتَني في تلك الحاوية وحرضتَهم على تدميرها! كنت أستطيع إيقافهم، لكنك لم تمنحني الفرصة قط!

- لو كنت هناك لحاولت قتل الأدميرال بنفسك، ولقتلت الذهبيين لو لم يكونوا موتى بالفعل! لأن هذا ما أنت عليه! هذه هي **حقيقتك**!

يسكن رونالد فجأة. يعلم كونر أنه قد تمادى كثيرًا.

يقول رونالد: «حسنًا، إن كنتُ قاتلًا فالوقت يداهمني. يجدر بي الشروع في الأمر».

يبدأ توجيه لكماته ويصدها كونر مدافعًا، لكنه سرعان ما يتخطى الدفاع عن نفسه، يَرد كونر منبع غضبه، ويشن على رونالد هجومًا عنيفًا.

إنه القتال الذي لم يخوضاه في المستودع قط. هذا هو القتال الذي أراده رونالد عندما حاصر ريسا في دورة المياه. يؤجج قبضتيهما غضب عارم. يصطدمان بالجدران وإطارات الأسِرة، يكيل بعضهما لبعض اللكمات بلا هوادة. يدرك كونر أن هذا القتال يختلف عن كل القتالات التي خاضها قبلًا.

وعلى الرغم من أن رونالد لا يملك سلاحًا، فإنه لا يحتاج إلى واحد؛ إنه سلاحه الخاص.

يجيد كونر القتال، لكن رونالد يفوقه قوة. عندما تأخذ قوة كونر توهن يقبض رونالد على حلقه، ويدفعه ليصطدم بالحائط ضاغطًا بيده قصبته الهوائية. يقاومه كونر، لكنه لا يستطيع التغلب على قبضة رونالد القوية. يدفعه رونالد ليصطدم بالحائط مرة تلو الأخرى، دون أن يرخي قبضته على عنقه.

يصرخ رونالد قائلًا: «تنعتني بالقاتل، لكنك المجرم الوحيد هنا! أنا لم أختطف رهينة! لم أطلق الرصاص على ضابط شرطة! ولم أقتل أحدًا قط! حتى الآن! ثم يشدد ضغط أصابعه على عنق كونر فيغلق قصبته الهوائية تمامًا».

ترزح عضلات كونر في غياب الهواء وتضعف مقاومته. يلهث صدره طلبًا للهواء، وتتغبش رؤيته. لم يعد يرى سوى وجه رونالد القاتم غضبًا. *هل تفضِّل أن تُقتل أم أن تُفكَّك؟* الآن يعرف الإجابة. ربما هذا ما أراده. ربما لهذا وقف هناك واستفز رونالد. لأنه يفضِّل أن تقتله يد غاضبة على أن يُمزَّق إربًا في لا مبالاة باردة.

تضطرب الصورة التي يراها كونر، يلفه الظلام، ويغيب وعيه.

يدوم هذا لحظة فقط، لأن رأسه يرتطم بالأرض فيسترد وعيه. وبينما تصفو رؤيته يرى رونالد ينظر إليه من الأعلى، يقف أمامه يحدق إليه فقط. يذهل كونر لأنه يرى عينَي رونالد تدمعان. يحاول رونالد أن يخفي دموعه خلف غضبه، لكنها واضحة. ينظر رونالد إلى يديه اللتين أوشكتا على أن تسلبا كونر حياته. لم يستطع أن يتم الأمر، ويبدو متفاجئًا مثل كونر بالضبط.

يقول رونالد: «اشكر حظك السعيد».

ثم يغادر دون أن ينطق بكلمة أخرى.

لا يدري كونر إن كان رونالد يشعر بالاستياء أم الارتياح لأنه ليس قاتلًا كما رأى. يظن كونر أن الشعورين يراودانه.

***

57. ليف

إن الأعشار في مخيم حصاد هابي جاك بمنزلة ركاب الدرجة الأولى على متن سفينة **تايتانك**. يملأ الأثاث الفاخر مسكن الأعشار، هناك مسرح ومسبح، ويفوق الطعام الذي يقدم لهم الطعام المنزلي جودة. بالطبع يشاركون الأغمار المصير نفسه، لكنهم يصلون إليه في ترف.

لقد انتهى العشاء. ليف الآن وحده في الصالة الرياضية بمسكن الأعشار، يقف على جهاز ركض لا يعمل لأنه لم يدره بعد. ينتعل ليف حذاءً رياضيًا ذا بطانة سميكة، أسفله زوجان من الجوارب يوفران المزيد من الحماية لقدميه. لكن ما يشغله الآن ليس قدماه، بل يداه. يقف هناك يحدق إليهما، مستغرقًا في تأمل صورتهما. لم تسترعِ خطوط كفيه انتباهه بهذا القدر من قبل. أليس من المفترض أن يرمز أحدها إلى خط حياته؟ ألا ينبغي لخط حياة العُشر أن يتفرع كأغصان شجرة؟ ينظر ليف إلى دوامات بصمات أصابعه. ما أصعب تحديد هوية من تُنقل أيادي المُفكَّكين إليهم! ما نفع بصمات الأصابع إن لم تكن ملكك؟

لن يحصل أحد على بصمات أصابع ليف. إنه واثق من ذلك.

هناك الكثير من الأنشطة التي يمارسها الأعشار، لكنهم، على النقيض من الأغمار، لا يُرغَمون على المشاركة فيها. في إطار الاستعدادات لنذرهم، يخضع الأعشار لتقييمات نفسية وبدنية مدة شهر، قبل حفل نذر العُشر. هكذا يتم كل العمل الشاق في المنزل قبل أن يصلوا إلى هنا. ليس هذا مخيم الحصاد الذي اختاره ليف ووالداه، لكن ليف عُشر، يُعَد هذا تصريح دخول يسري مدى الحياة وفي كل مكان.

في هذا الوقت من المساء، عادة ما يكون معظم الأعشار في الصالة الترفيهية، أو في مجموعات الصلاة. يوجد في مسكن الأعشار الكثير من رجال الدين، الذين ينتمون إلى جميع العقائد –هناك القسوس، والكهنة،

والحاخامات، والوُعاظ- لأن فكرة التضحية بأفضل الرعية من أجل الرب تقليد قديم قِدم الدين نفسه.

يحضر ليف تلك المجموعات كلما اقتضت الضرورة. في مجموعات دراسة الكتاب المقدس يقول ما يكفي مما يُفترض به قوله كي لا يرتاب به أحد. ويلتزم الصمت عندما يمزقون مقاطع الكتاب المقدس بحثًا عما يبرر التفكيك، ويبدأ المراهقون يرون صورة الرب في الإرب.

- حصل عمي على قلب عُشر، والآن يقول الناس إنه يستطيع القيام بالمعجزات.
- أعرف امرأة حصلت على أذن عُشر، سمعتْ رضيعًا يبكي على بعد شارع منها، وأنقذته من حريق!
- نحن القربان المقدس.
- نحن منة من السماء.
- نحن قطعة من الرب في أجساد البشر.

آمين.

يقرأ ليف الصلوات، يحاول أن يدعها تبدِّل حاله وتشرح صدره، كما كان يحدث من قبل، لكن قلبه قد تصلب. يتمنى لو كانت صلابته كالألماس بدلًا من هذا اليشم المتداعي. ربما حينئذ كان سيختار طريقًا مختلفًا. لكن ما أصبح عليه الآن، وما يشعر به، وما لا يشعر به، يخبرونه أن هذا الطريق صحيح. وإن لم يكن صحيحًا فهو لم يعد يكترث بتغييره.

يعلم سائر الأعشار أن ليف مختلف. لم يروا من قبل عُشرًا خاطئًا، ناهيك بعُشر، كالابن الضال، قد تاب عن خطاياه وعاد إلى الحظيرة. إن الأعشار على وجه العموم لا يختلط بعضهم ببعض، لأن وجودهم مع من يشبهونهم يغذي شعورهم بأنهم جماعة مختارة. يظل ليف بمنأى عن هذا كله.

يدير جهاز الركض، يحرص على أن تكون خطواته ثابتة وحذرة قدر ما يمكن. جهاز الركض على أحدث طراز، مزوَّد بشاشة تضبطها لتعرض المشهد الذي تريد، يمكنك الركض عبر الغابة، أو المشاركة في ماراثون نيويورك. يمكنك أن تسير على المياه. نُصح ليف بممارسة التمارين الرياضية عندما وصل إلى هنا قبل أسبوع. في يومه الأول، أوضحت نتائج فحوصات الدم التي خضع لها ارتفاع نسبة الدهون الثلاثية في دمه. لا شك أن نتائج فحوصات

الدم التي خضع لها كل من ماي وبلاين أوضحت الحالة نفسها، لكن ثلاثتهم أُمسك بهم على حدة، وسبق وصول كل منهم الآخر ببضعة أيام، لهذا لا يمكن لأحد استنتاج وجود أي رابط يجمعهم.

قال الطبيب: «قد يفسر العامل الوراثي هذه الحالة، أو أنك تتناول طعامًا غنيًّا بالدهون».

ووصف له نظامًا غذائيًّا منخفض الدهون في خلال فترة مكوثه في مخيم الحصاد، ونصحه بممارسة التمارين الرياضية. يعلم ليف أن هناك سببًا آخر يفسر ارتفاع نسبة الدهون الثلاثية في دمه. إنها ليست دهونًا ثلاثية، بل مركبًا يشبهها، وهو أقل استقرارًا منها.

يدخل فتى آخر الصالة الرياضية. شعره أملس شديد الشقرة يكاد يبدو أبيض، وعيناه شديدتا الخضرة. ينتج التلاعب الجيني صفات كتلك. سيكلف شراء هاتين العينين ثروة.

يدير الفتى جهاز الركض بجوار ليف، ويبدأ الركض قائلًا: «مرحبًا يا ليف. ماذا تفعل؟».

- لا شيء. أركض فقط.

يعلم ليف أن هذا الفتى لم يأتِ من تلقاء نفسه. يجب ألا يظل الأعشار بمفردهم. لقد أُرسل ليرافق ليف.

- سنضيء الشموع بعد قليل. هل ستأتي؟

كل مساء تُضاء الشموع من أجل الأعشار الذين سيُفكَّكون في اليوم التالي. يلقي كل فتى من الفتية المُحتفى بهم خطابًا ويصفق الجميع. يجد ليف الأمر منفِّرًا.

- أجل.

- لقد أوشكت على إنهاء خطابي. هل بدأت إعداد خطابك؟

يقول ليف: «لا يزال خطابي مُفكَّكًا».

لكن الفتى لم يفهم مزحته. يوقِف ليف جهاز الركض. لن يتركه هذا الفتى وحده ما دام هنا، وهو لا يريد أن يخوض حديثًا عن مجد المختارين. يفضِّل ليف التفكير فيمن لم يُختاروا، فيمن حالفهم الحظ في الابتعاد عن مخيم الحصاد، مثل ريسا وكونر، اللذين -وفقًا لما يعتقد- لا يزالان آمنَين في المقبرة. يشعر بالراحة عندما يفكر في أنهما سيواصلان حياتهما بعد رحيله.

هناك حاوية مهملات قديمة خلف قاعة الطعام لم تعد مستخدَمة. عثر عليها ليف الأسبوع الماضي، ورأى أنها الموضع المثالي للاجتماعات السرية. عندما يصل إلى هناك هذا المساء، يجد ماي تذرع المساحة الضيقة جيئة وذهابًا. يزداد قلقها كل يوم عن سابقه.

تسأل قائلة: «إلى متى سننتظر؟».

يسألها ليف: «لمَ العجلة؟ سننتظر حتى يحين الوقت المناسب».

يخرِج بلاين ستة أظرف من جوربه، يمزِّق واحدًا منها، ويخرِج ضمادة لاصقة دائرية صغيرة.

تسأله ماي: «ما الغرض من هذه؟».

- أعلم ولن أخبرك. اكتشفي الأمر بنفسك.

- يا لك من تافه!

مزاج ماي حاد دائمًا، خصوصًا عندما يتعلق الأمر ببلاين، لكن الليلة يبدو أن هناك سببًا يفاقم هذا المزاج الحاد.

يسألها ليف: «ما الخطب يا ماي؟».

تتوقف ماي قليلًا، ثم تقول: «اليوم رأيت الفتاة التي تعزف البيانو على سطح مرأب التفكيك. أعرفها من المقبرة، وهي أيضًا تعرفني».

يقول بلاين: «هذا مستحيل! إذا كانت من المقبرة فما الذي تفعله هنا؟».

- أنا واثقة مما رأيت، وأعتقد أنه يوجد هنا المزيد من المراهقين الذين أعرفهم من المقبرة. ماذا لو رأونا؟

ينظر بلاين وماي إلى ليف كما لو أنه يستطيع تفسير الأمر، وهما محقان.

يقول ليف: «لا بد أنهم أُرسلوا في مهمة وأُمسك بهم. هذا كل ما في الأمر».

تهدأ ماي. تقول: «أجل. أجل، لا بد أن هذا ما حدث».

يقول بلاين: «إن رأونا فسنقول إن هذا ما حدث لنا».

يقول ليف: «ها قد حُلَّت المشكلة».

يقول بلاين: «جيد. لنعد إلى العمل. أرى أن نبدأ التنفيذ بعد الغد، لأنه من المقرَّر أن أشارك في مباراة كرة قدم في اليوم التالي لذلك، ولا أظن أنها ستسير على نحو جيد».

ثم يناول ماي وليف ضمادتين لاصقتين صغيرتين.

تسأله ماي: «فيمَ نحتاج إلى هذه الضمادات اللاصقة؟».

- قيل لي أن أعطيها لكما بعد أن نصل إلى هنا.

يضع بلاين واحدة منها بين أصابعه ويقول: «هذه ليست ضمادات لاصقة. هذه مُفجِّرات».

لم تكن هناك مهمة للعمل بخطوط أنابيب النفط في ألاسكا قط. فرغم كل شيء، أي مُفكِّك قد يتطوع للقيام بمهمة كتلك؟ كان الهدف الرئيس هو أن يتحققوا من ألا يتطوع أحد سوى ليف وماي وبلاين. نقلتهم الشاحنة من المقبرة إلى منزل متهالك في حي متهالك، حيث جماعة من الناس أضنتهم الحياة، يخططون لأشياء يتعذر تصورها.

ارتعب ليف منهم، لكنه شعر بأنه قريب منهم، لقد خانتهم الحياة وذاقوا ألمها، لقد خبروا خواء الروح. وعندما أخبروه بأهمية دوره في مخطط الأحداث، شعر ليف، لأول مرة منذ فترة طويلة، بأنه مهم حقًّا.

لم يستخدم أفراد تلك الجماعة كلمة الشر سوى في وصف الشرور التي أذاقهم العالم إياها. ما طلبوا من ليف، وماي، وبلاين القيام به ليس شرًّا. لا، لا، على الإطلاق. كان تعبيرًا عما يموج بداخلهم، كان الروح، والطبيعة، والتجلي لكل ما أصبحوا عليه. إنهم ليسوا رسلًا، بل الرسالة نفسها. بهذه الأفكار ملؤوا عقل ليف، كما ملؤوا دمه بتلك المواد القاتلة. كان ما حدث مشبوهًا. كان خطأً. لكنه لاءم ليف تمامًا.

أُولع كليفر، الذي جنَّدهم، بقول: «لا قضية ندعمها سوى الفوضى». ما لم يدركه كليفر قط، حتى في نهاية حياته، هو أن الفوضى، مثلها مثل كل القضايا، ذات سطوة. يمكن أن يتخذها دينًا من عُمِّدوا فيها، من لا يجدون عزاء سوى في مياهها العكرة.

لا يدري ليف بمصير كليفر. لا يدري أو يهتم بأنهم يستغلونه. لا يعلم ليف سوى أن العالم قريبًا سيعاني بعضًا من الضياع والخواء وخيبة الأمل التامة، الذين يشعر بهم. سيدري الجميع بذلك عندما يرفع يديه ليصفق.

***

58. كونر

يتناول كونر إفطاره على عجل. ليس لأنه جائع، بل لأنه يريد الذهاب إلى مكان آخر. يحين موعد إفطار ريسا قبل موعد إفطاره مباشرة. إن أبطأت وأسرع، يمكنهما أن يرغما طريقيهما على التقاطع دون أن يجذبا انتباه طاقم عمل مخيم حصاد هابي جاك.

يلتقيان في دورة مياه الفتيات. في آخر مرة أُجبِرا على الاجتماع في مكان كهذا، شغلا مرحاضين منفصلين، وحيدين. لكنهما الآن يتشاركان واحدًا. يضم بعضهما بعضًا في هذه المساحة الضيقة، دون تقديم أي أعذار. لم يعد هناك متسع من الوقت في حياتيهما للحيل، والحرج، والتظاهر بأن أحدهما لا يبالي بالآخر. لهذا يتبادلان القبلات كأنهما حبيبان منذ الأزل، كأنهما يحتاجان إلى ذلك حاجتهما إلى الهواء.

تلمس كدمات وجهه وعنقه؛ آثار قتاله رونالد. تسأله ماذا حدث. يخبرها أن الأمر لا يهم. تخبره أنها لا تستطيع البقاء طويلًا، وأن دالتون وباقي أعضاء الفرقة الموسيقية سيكونون في انتظارها فوق سطح مرأب التفكيك.

يخبرها كونر: «سمعتكِ تعزفين. أنتِ رائعة».

يُقبِّلها مجددًا. لا يذكران التفكيك، في هذه اللحظة يختفي كل شيء عداهما. يعلم كونر أنهما يودان المضي قدمًا في هذا، لكن ليس هنا، ليس في مكان كهذا. لن يعيشاه أبدًا. لكنه راضٍ، لأنه يعلم أنهما لو كانا في مكان وزمان مختلفين لعاشاه. يضمها عشر ثوانٍ، عشرين ثانية، ثلاثين، ثم تنسل من بين ذراعيه، ويعود إلى قاعة الطعام. في غضون بضع دقائق يسمع عزفها، تتدفق أنغام موسيقاها، تملأ المخيم بلحن المُعذَّبين البهيج المُروِّع.

***

59. رونالد

يأتون لأخذ رونالد في ذلك الصباح نفسه بعد الإفطار مباشرة. يحاصره أحد مرشدي الحصاد وحارسان في ردهة المهجع، ويفصلانه عن الباقين.

يقول رونالد يائسًا: «لست من تريدون. أنا لست إوُول آكرون، إنه كونر».

يقول المرشد: «آسف، لكن هذا ليس صحيحًا».

- لكن... لكنني هنا منذ بضعة أيام فقط...

يعلم رونالد أن هذا يحدث لأنه ضرب ذلك الشاب بكرة الطائرة، لا شك أن هذا هو السبب. أو ربما لأنه وكونر تعاركا. وشى به كونر! كان يعلم أن كونر سيشي به!

يقول المرشد: «السبب هو أن زمرة دمك -ABسالب. إنها نادرة وتكثر الحاجة إليها».

ثم يبتسم ويضيف: «انظر إلى الأمر بهذه الطريقة، أنت أكثر أهمية من باقي الفتية في وحدتك».

يقبض أحد الحارسين على ذراع رونالد قائلًا: «أنت محظوظ».

يقول المرشد: «من المقرَّر أن يُفكَّك صديقك كونر ظهيرة اليوم. قد تجد في هذا بعض العزاء».

بينما يأخذون رونالد إلى الخارج ويغمره ضوء النهار، يشعر بوهن في ساقيه. تنبسط السجادة أمامه حمراء كدم جاف. متى يعبر المراهقون هذا الممر الحجري البشع يتخطونه قفزًا، كما لو أنهم إن داسوه فسيأتيهم النحس. الآن يقيِّد الحارسان رونالد فلا تحيد خطواته عنه.

يقول رونالد: «أريد قسًا. يحضر القس حالات كتلك، أليس كذلك؟ أريد قسًا!».

يضع المرشد يده على كتفه برفق قائلًا: «يؤدي القس الشعائر الأخيرة لمن يحضره الموت. أنت لن تموت. ستظل حيًا، لكن بطريقة مختلفة».

- أريد قسًا على أي حال.
- حسنًا سأرى ما يمكنني فعله.

لقد بدأت الفرقة الموسيقية عرضها الصباحي على سطح مرأب التفكيك. يعزفون لحنًا راقصًا يعرفه، وكأنهم يسخرون من اللحن الجنائزي الذي يدور داخل رأسه. يعلم رونالد أن ريسا مع الفرقة الموسيقية الآن. يراها هناك في الأعلى تعزف آلة المفاتيح. يعلم أنها تكرهه، لكنه يلوِّح بيديه، يحاول أن يجذب انتباهها. يفضِّل أن يلتفت إليه أحد يعرفه، حتى وإن كان يكرهه، على ألا يحيط به سوى الغرباء في طريقه إلى الهلاك.

لا تنظر ريسا إلى السجادة الحمراء. إنها لا تراه؛ لا تعلم. ربما سيخبرها أحدهم أنه فُكِّك اليوم. يتساءل كيف ستشعر.

لقد وصلوا إلى نهاية السجادة الحمراء. هناك خمس درجات حجرية تقود إلى باب مرأب التفكيك. يتوقف رونالد أسفل الدرجات. يحاول الحارسان سحبه، لكنه يقاومهما.

- أحتاج إلى المزيد من الوقت. يوم واحد. لا غير. يوم واحد فقط. سأكون مستعدًا غدًا. أؤكد لكم ذلك.

لا تزال الفرقة الموسيقية فوقه تعزف. يريد الصراخ، لكن هنا، بهذا القرب من مرأب التفكيك، ستحجب الفرقة صراخه. يشير المرشد إلى الحارسين فيشدِّدان قبضتهما على ذراعيه، يجبرانه على صعود الدرجات الخمس. في بضع لحظات يجتاز الباب السحَّاب، ثم ينغلق الباب خلفه، يعزله عن العالم. لم يعد يسمع الفرقة الموسيقية بعد الآن؛ إن مرأب التفكيك عازل للصوت. علم رونالد بطريقة ما أنه سيكون كذلك.

***

60. الحصاد

لا أحد يعلم كيف يحدث التفكيك. لا أحد يعلم كيف يتم. إن حصاد المُفكَّكين طقس طبي سري لا يغادر عيادات الحصاد في الدولة، ولا أحد يعلم ما تخفيه أبوابها السرية. هكذا يتشابه التفكيك والموت.

ما الذي يستلزمه تفكيك غير المرغوب فيهم؟ يستلزم اثني عشر جراحًا، ينقسمون إلى فرق، يتكون كل منها من جراحَين، يتناوبان الدخول والخروج وفقًا للتخصص الطبي اللازم. يستلزم تسعة مساعدي جراحين وأربعة ممرضين. يستلزم ثلاث ساعات.

***

61. رونالد

مضى على دخول رونالد خمس عشرة دقيقة. يرتدي طاقم العمل الذي يذرع المكان حوله بذلات جراحية بلون الوجه المبتسم.

لقد ثبَّتوا ذراعيه وساقيه في طاولة العمليات بقيود قوية لكنها مبطَّنة، حتى لا يؤذي نفسه إن أبدى مقاومة.

تجفف ممرضة عرق جبهته قائلة: «اهدأ. سأكون بجانبك خلال الإجراء».

يشعر بوخزة حادة في الجانب الأيمن من عنقه، ثم في الجانب الأيسر منها.

- ما هذا؟

تقول الممرضة: «هذا هو الألم الوحيد الذي ستشعر به اليوم».

يقول رونالد: «هل هكذا يتم الأمر؟ ستخدرونني؟».

لا يرى رونالد فمها أسفل القناع الجراحي، لكنه يرى الابتسامة في عينيها.

تقول: «لا، مطلقًا. يلزِمنا القانون بأن نبقيك واعيًا في خلال الإجراء بأكمله».

ثم تمسك بيده، وتضيف: «أنت تملك الحق في أن تعرف كل ما يحدث لك، كل خطوة في الإجراء».

- ماذا لو لم أرِد ذلك؟

يقول أحد مساعدي الجراحين، الذي يعقِّم ساقَي رونالد بمطهِّر جراحي بني اللون: «ستريده كما يريد الجميع».

تقول الممرضة: «لقد أدخلنا للتو قسطرتين في الشريان السباتي والوريد الوداجي في عنقك. الآن يُستبدل محلول صناعي غني بالأكسجين بدمك».

يقول مساعد الجراح الذي يقف عند قدميه: «سنرسل دمك إلى بنك الدم مباشرة دون أن يُهدَر منه قطرة. سينقذ دمك الأرواح!».

تقول الممرضة: «يحتوي محلول الأكسجين على مادة مخدِّرة تثبط مستقبلات الألم».

ثم تربت على يده قائلة: «ستظل في كامل وعيك، لكنك لن تشعر بأي شيء».

بدأ رونالد يشعر أن أطرافه تتخدر. يبتلع ريقه بصعوبة: «أنا أكره هذا الشعور. أنا أكرهكِ. أنا أكرهكم جميعًا».

- أتفهمك.

مضى على دخوله ثماني وعشرون دقيقة.

لقد وصل الفريق الجراحي الأول.

تقول المرضة: «لا تكترث لهم. تحدث إليَّ».

- فيمَ نتحدث؟

- في أي ما تريد.

يُسقِط أحدهم أداة جراحية. تقرقع على الطاولة وتقع على الأرض. يجفل رونالد. تشد الممرضة على يده.

يقول أحد الجراحين عند نهاية الطاولة: «قد تشعر بشد بالقرب من كاحليك. لا داعي للقلق».

مضى خمس وأربعون دقيقة.

هناك الكثير من الجراحين والكثير من الحركة. لم يحظَ رونالد بمثل هذا الانتباه من قبل. يريد أن يشاهد ما يحدث، لكن نظر الممرضة لا يحيد عنه. لقد قرأت ملفه، وتعرف كل شيء عنه، الجيد والسيئ، الأشياء التي لا يتحدث عنها أبدًا، الأشياء التي لا يستطيع أن يتوقف عن الحديث عنها الآن.

- أرى أن ما فعله زوج أمك غير مقبول.

- أنا فقط كنت أحمي أمي.

يقول الجراح: «مشرطًا».

- كان يجب عليها أن تمتن لذلك.
- لقد فكّكتني.
- لم يكن هذا سهلًا عليها بالتأكيد.
- حسنًا، الآن اقطعه.

ساعة وخمس عشرة دقيقة.

يغادر جراحون، ويحضر غيرهم. ينصرف الجراحون الجدد إلى بطنه. ينظر نحو أصابع قدميه، لكنه لا يراها. هناك مساعد جراح ينظف النصف السفلي من طاولة العمليات.

- كدت أقتل فتى البارحة.
- ليس لهذا أي أهمية الآن.
- أردت أن أفعل ذلك، لكنني شعرت بالخوف. لا أعلم لماذا. شعرت بالخوف فقط.

كانت الممرضة تمسك بيده، لكنها لم تعد كذلك.

تقول: «انسَ الأمر».

يقول الطبيب: «عضلات بطنك قوية. هل تمارس الرياضة؟».

يسمع رنين معدن. لقد فكّكوا الجزء البعيد من طاولة العمليات ويسحبونه بعيدًا. يتذكر عندما أخذته والدته إلى لاس فيجاس وهو في الثانية عشرة. تركته يشاهد عرضًا مسرحيًا وذهبت إلى مكنات القمار. بعد أن شق الساحر امرأة إلى نصفين، ظلت أصابع قدميها تنثني ووجهها يبتسم. صفق له الجمهور تصفيقًا مدويًا.

الآن يشعر رونالد بتنميل في بطنه، لكنه لا يتألم. يرفع الجراحون أشياء ويضعونها بعيدًا. لا يريد أن ينظر، لكنه لا يستطيع تجنب النظر. لا توجد دماء، بل السائل الغني بالأكسجين. لونه أخضر زاهٍ كسوائل التبريد.

يقول: «أنا خائف».

تقول الممرضة: «أتفهمك».

- أتمنى أن تذهبوا إلى الجحيم.

- هذا معتاد.

يغادر فريق، ويدخل آخر. ينصرفون إلى صدره.

ساعة وخمس وأربعون دقيقة.

- آسفة، لكننا يجب أن نتوقف عن الحديث الآن.

- لا ترحلي.

- سأظل هنا، لكننا لن نستطيع التحدث بعد الآن.

يحدق الخوف به، يوشك أن يصرعه. يحاول أن يستبدل به غضبًا، لكن خوفه شديد. يحاول أن يستبدل به ارتياحًا لأن دور كونر يحين قريبًا، لكن هذا لا يجعله يشعر بتحسن.

يقول الجراح: «ستشعر بوخز في صدرك. لا داعي للقلق».

ساعتان وخمس دقائق.

- اطرف بعينيك إن كنت تسمعني.

يطرف بعينيه.

- إنك تبدي شجاعة كبيرة.

يحاول أن يفكر في أشياء أخرى، أماكن أخرى، لكن هذا المكان يستلب عقله. اقترب الجميع منه كثيرًا الآن. تميل الأجساد الصفراء حوله مثل بتلات زهرة يتقارب بعضها من بعض. أُزيل جزء آخر من الطاولة. تمعن البتلات في الاقتراب. إنه لا يستحق ذلك. لقد فعل الكثير من الأشياء السيئة، لكنه لا يستحق ذلك. ولم يأتِ القس الذي ينتظره قط.

ساعتان وعشرون دقيقة.

- ستشعر بوخز في فكك. لا داعي للقلق.

- اطرف بعينيك مرتين إن كنت تسمعني.

يطرف بعينيه مرتين.

- جيد.

يشخص ببصره إلى الممرضة، التي لا تزال عيناها تبتسمان. هناك من جعل عينيها تبتسمان دائمًا.

- آسفة، لكن عينيك ستتوقفان عن الطرف الآن.

يقول أحد الجراحين: «كم مضى من الوقت؟».

- ساعتان وثلاث وثلاثون دقيقة.

- لقد تأخرنا قليلًا.

لا يلفه الظلام، غاب الضوء عنه وحسب. يستطيع سماع كل شيء حوله، لكنه فقد القدرة على التواصل. لقد دخل فريق آخر.

تخبره الممرضة: «لا أزال هنا».

ثم تصمت. بعد لحظات يسمع وقع خطوات؛ لقد رحلت.

يقول جراح: «ستشعر بوخز في فروة رأسك. لا داعي للقلق».

هذه آخر كلمات يوجِّهونها إليه. بعد ذلك يتحدث الأطباء كما لو أن رونالد لا وجود له.

- هل شاهدت مباراة كرة السلة أمس؟

- هزيمة في الوقت الضائع.

- الآن افصل الجسم الثفني.

- عمل رائع.

- حسنًا، هذا ليس بالعسير. إنها جراحة مخ فقط.

يضحكون حوله.

تُثار ذكرياته وتومض. يرى وجوهًا، نبضات من الضوء في أعماق عقله تشبه الأحلام. تراوده مشاعر، أشياء لم يفكر فيها منذ سنوات. تبرق الذكريات، ثم تختفي. عندما كان رونالد في العاشرة كُسرت ذراعه. أخبر الطبيب والدته أنه من الممكن أن يحصل على ذراع جديدة، أو جبيرة. كانت الجبيرة أرخص ثمنًا. رسم عليها قرشًا. بعدما أُزيلت الجبيرة حصل على وشم حتى يظل القرش دائمًا.

- ليتهم سجلوا الرمية الثلاثية.

- سيربح فريق شيكاجو بولز. أو لوس أنجلوس ليكرز.

- الآن ابدأ بالقشرة المخية اليسرى.

تُثار ذكرى أخرى.

عندما كنت في السادسة سُجن أبي لجرم ارتكبه قبل أن أُولد لم أعرفه قط. لكن أمي تقول إنني مثله بالضبط.

- فرص فينيكس صنز ضئيلة للغاية.

- لو كان طاقم تدريبهم أفضل...

- الفص الصدغي الأيسر.

عندما كنت في الثالثة كان لديَّ جليسة أطفال. كانت جميلة. لكنها عنَّفت أختي بقساوة. عرفت أختي الخطأ، لكنها لم تستقم. الجميلات خطرات. فلتحرص على استمالتهم.

- ربما سيبلون بلاء حسنًا العام القادم.

- أو العام الذي يليه.

- هل فصلنا الأعصاب السمعية؟

- ليس بعد. سأفصلهم الآ...

أنا وحيد. أنا أبكي. ولن يأتي أحد إلى المهد. ذهب ضوء المصباح الليلي. وأنا غاضب. أنا غاضب جدًّا.

- الفص الجبهي الأيسر.

أنا... أنا... أنا لا أشعر أنني بخير.

- الفص القفوي الأيسر.

أنا... أنا... أنا لا أذكر أين...

- الفص الجداري الأيسر.

أنا... أنا... أنا لا أذكر اسمي، لكن... لكن...

- الفص الصدغي الأيمن.

... لكنني لا أزال هنا.

- الفص الجبهي الأيمن.

أنا لا أزال هنا...

- الفص القفوي الأيمن.

أنا لا أزال...

- الفص الجداري الأيمن.

أنا أكون...

- المخيخ.

أنا أكون...

- المهاد.

أنا...

- تحت المهاد.

أنا...

- الحُصَين.

- النخاع المستطيل.

- كم مضى من الوقت؟

- ثلاث ساعات وتسع عشرة دقيقة.

- حسنًا، سآخذ استراحة. ليجهز التالي.

***

62. ليف

خبأ ليف المُفجِّرات في جورب في مؤخرة خزانته. إن عثر أحد عليها فقد يظنها ضمادات لاصقة. يحاول ألا يفكر في الأمر. يقع على عاتق بلاين مهمة التفكير في الأمر، وإخباره متى يحين موعد التنفيذ.

اليوم تخرج وحدة ليف للنزهة وسط الطبيعة ليتواصلوا مع الخلق. القس الذي يقودهم واحد من أكثر القسوس اختيالًا؛ يتحدث كما لو أن كل كلمة ينطق بها هي درة من درر الحكمة، ويتوقف قليلًا بعد كل فكرة يأتي بها وكأنه يتوقع أن يدوِّنوها وراءه.

يقودهم إلى شجرة نفضية شاذة. يعتاد ليف الشتاء القارس ذا الثلج والجليد، لهذا يجد من الغريب أن أشجار أريزونا، رغم الدفء، تفقد أوراقها. أغصان هذه الشجرة وافرة غير متطابقة. لكل غصن منها لحاء مختلف، وملمس مختلف.

يخبر القس المجموعة: «أردتكم أن تروا هذه. فقدت الكثير من روعتها الآن، لكن عليكم أن تروها في الربيع. على مر السنين، طعَّم الكثير منا هذا الجذع بأغصان من أشجارنا المفضلة».

ثم يشير إلى الأغصان الرئيسة قائلًا: «ينبِت هذا الغصن أزهار الكرز الوردية، وهذا الغصن تملؤه أوراق الجميز الضخمة. تملأ هذا أزهار الجاكرندا الأرجوانية، وهذا يحمل ثمار الخوخ».

يتأملها الأعشار، يلمسون أغصانها بحذر كما لو أنها قد تتحول في أي لحظة إلى العليقة المشتعلة.

يسأله أحد الأعشار: «أي نوع من الأشجار كانت أولًا؟».

لا يستطيع القس جواب هذا السؤال: «لا أعلم ذلك، لكن هذا حقًّا لا يهم، ما يهم هو ما أصبحت عليه. نحن ندعوها شجرة الحياة الصغيرة. أليست رائعة؟».

- ليس هناك أي شيء رائع بها.

ينطق ليف بهذه الكلمات قبل أن يدرك أنه قالها، مثل تجشؤ مفاجئ غير متوقَّع. تتجه جميع الأنظار نحوه.

يسرع في مداراة الأمر قائلًا: «إنها من صنع الإنسان، ولا يجب أن نتفاخر. «تَأْتِي الْكِبْرِيَاءُ فَيَأْتِي الْهَوَانُ، وَمَعَ الْمُتَوَاضِعِينَ حِكْمَةٌ»».

يقول القس: «أجل. سفر الأمثال، الإصحاح الحادي عشر، أليس كذلك؟».

- (الأمثال 11: 2).

يبدي تواضعًا كما ينبغي قائلًا: «جيد جدًا. حسنًا، إنها حقًّا جميلة في الربيع».

في طريق عودتهم إلى مسكن الأعشار يمرون بحدائق وملاعب حيث يخضع الأغمار للملاحظة، ويمارسون أنشطة مختلفة، ترفع لياقتهم البدنية إلى أفضل مستوى ممكن قبل تفكيكهم. يحتمل الأعشار تهكم الأغمار وتعليقاتهم الساخرة كالشهداء.

بينما يمرون بواحد من المهاجع يصادف ليف شخصًا لم يتوقع أن يراه مجددًا قط، إنه يقف أمام كونر.

بينما يقصد كل منهما جهة مختلفة يرى أحدهما الآخر في الآن نفسه. يتوقفان فجأة، ويحدق بعضهما إلى بعض ذاهلين.

- ليف؟

يحضر القس المتفاخر بغتة، ويمسك بكتفَي ليف.

يقول غاضبًا: «ابتعد عنه! ألم يكفك الضرر الذي تسببت فيه؟».

ثم يبتعد بليف، تاركًا كونر يقف هناك وحده.

بينما يبتعدان يمسك القس كتف ليف بقبضته الواقية، ويقول: «لا بأس. جميعنا نعلم من يكون وما فعله بك. كنا نأمل أنك لن تعرف أنه هنا معك في مخيم الحصاد نفسه. لكنني أؤكد لك يا ليف أنه لن يؤذيك مجددًا أبدًا».

ثم يقول بصوت خافت: «سيُفكَّك ظهيرة اليوم».

- ماذا؟

- وسنتخلص من شره!

قد ترى الأعشار يجوبون حدائق مخيم حصاد هابي جاك، دون إشراف، في جماعات أقلها عددًا يتكوّن من اثنين. لكن يندر أن ترى عُشرًا يهرول وحده، يكاد يركض عبر أراضيه.

لم يمكث ليف طويلًا حال أن عاد إلى مسكن الأعشار. انتهز أول فرصة سنحت له وانسل خارجًا. الآن يبحث عن بلاين وماي في كل مكان.

سيُفكَّك كونر ظهيرة *اليوم*. كيف حدث ذلك؟ كيف وصل إلى هنا؟ كان كونر آمنًا في المقبرة. هل طرده الأدميرال أم غادر من تلقاء نفسه؟ في الحالين، لا بد أن كونر أُمسك به وأُحضر إلى هنا. إن سلامة صديقيه هي الشيء الوحيد الذي يعزيه، وقد انتُزع منه الآن. لن يسمح ليف بتفكيك كونر. يستطيع ليف منع حدوث ذلك.

يجد بلاين في المتنزه الذي يفصل بين قاعة الطعام والمهاجع، يمارس الرياضة التجميلية مع وحدته. يؤديها بلاين على نحو غريب، يبذل أقل طاقة ممكنة في أداء الحركات، حتى لا يتأذى جسده.

- يجب أن نتحدث.

ينظر بلاين إليه متفاجئًا وغاضبًا، يقول: «هل فقدت عقلك؟ ما الذي تفعله هنا؟».

يراه أحد الموظفين ويتجه نحوه مباشرة. يعلم الجميع أن الأعشار والأغمار لا يجتمعون.

يقول ليف: «لا بأس. أعرفه من بلدتي. وأردت أن أودعه».

يومئ الموظف على مضض، يقول: «حسنًا، لكن أسرِع».

يجذبه ليف جانبًا، ويبتعدان بما يكفي حتى لا يسمعهما أحد.

يخبره ليف: «سننفذ الأمر اليوم. لا مزيد من الانتظار».

يقول بلاين: «يا هذا، **أنا** من يقرر متى يحين موعد التنفيذ، وأنا أقول ليس بعد».

- كلما طال انتظارنا خاطرنا بالانفجار خطأ.

- إذًا؟ الفوضى مجدية أيضًا.

يريد أن يضرب بلاين، لكنه إن فعل ذلك فسيخلفان حفرة عرضها خمسين ياردة، لهذا يخبره بما سيجعله يرضخ له.

يهمس ليف قائلًا: «إنهم يعلمون بأمرنا».

- ماذا؟

- إنهم يعلمون أنه يوجد مُصفِّقون هنا، لكنهم لا يعلمون هويتهم. لا شك أنهم يراجعون فحوصات الدم الآن، باحثين عن أي نتائج غير عادية. لا يلزمهم الكثير من الوقت حتى يعثروا علينا.

يكز بلاين على أسنانه ويطلق السباب، ثم يأخذ في هز رأسه قائلًا: «لا لا، أنا لست مستعدًّا».

- استعدادك لا يهم في شيء. ألا تريد الفوضى؟ إنها ستحدث اليوم، سواء أكنت مستعدًّا أم لا، لأنهم إن عثروا علينا فما الذي تظنهم سيفعلون بنا؟

يزداد وجه بلاين شحوبًا عندما يتصور إمكانية حدوث ذلك.

يقول: «سيفجروننا في الغابة».

- أو في الصحراء حيث لن يدري أحد بأي شيء.

يفكر بلاين في الأمر قليلًا، ثم يأخذ نفسًا عميقًا مرتجفًا، ويقول: «سألتقي بماي وقت الغذاء وسأخبرها بذلك. سننفذ في تمام الساعة الثانية ظهرًا».

- لتكن الواحدة ظهرًا.

يفتش ليف خزانته ويشتد هلعه. يجب أن يكون هذا الجورب هنا، لكنه لا يستطيع العثور عليه. المُفجِّرات ليست ضرورية، لكنها أكثر نظافة. يريد ليف أن يتم الأمر نظيفًا. نظيفًا وسريعًا.

- هذه خزانتي.

يلتفت ليف ليجد الفتى ذا الشعر الأشقر الفاتح والعينين الزمرديتين يقف خلفه.

يكرر: «هذه خزانتي. خزانتك هناك».

ينظر ليف حوله، ويدرك أنه أخطأ بقدر سرير واحد. لا شيء في الوحدة يميِّز سريرًا من الآخر، أو خزانة من الأخرى.

- إن كنت تبحث عن جورب يمكنني إعارتك واحدًا.

- لا، لديَّ ما يكفيني، شكرًا لك.

يأخذ نفسًا عميقًا، يغمض عينيه ليسيطر على ذعره، ويذهب إلى الخزانة الصحيحة. يجد الجورب والمُفجِّرات بداخله. يدسه في جيبه.

- هل أنت بخير يا ليف؟ تبدو في حالة غريبة.

- أنا بخير. كنت أركض، هذا كل ما في الأمر. أركض على جهاز الركض.

يقول الفتى: «لا، هذا ليس صحيحًا. كنت لتوي في الصالة الرياضية».

- اسمع، هذا ليس من شأنك، مفهوم؟ أنا لست رفيقك، أنا لست صديقك.

- لكننا أصدقاء.

- لا. أنت لا تعرفني. أنا لست مثلك، لهذا دعني وشأني!

ثم يسمع صوتًا خفيضًا خلفه يقول: «هذا يكفي يا ليف».

يلتفت فيجد رجلًا يرتدي بذلة. ليس أحد القسوس، بل المرشد الذي سجَّل دخوله الأسبوع الماضي. هناك خطب ما.

يومئ المرشد إلى الفتى الأشقر، ويقول: «شكرًا لك يا ستيرلنج».

يخفض الفتى بصره ويغادر مسرعًا.

- كلفْنا ستيرلنج بمراقبتك والتوثق من أنك تتأقلم. أقل ما يُقال هو إننا قلقون.

يجلس ليف في غرفة مع المرشد وقسين. يملأ الجورب جيبه. يهز ركبتيه قلقًا، ثم ينتبه إلى أن حركته يجب ألا تكون عنيفة وإلا فسينفجر. يتوقف عن الحركة مرغَمًا.

يقول المرشد: «تبدو مضطربًا يا ليف. نود أن نفهم السبب وراء ذلك».

ينظر ليف إلى الساعة. إنها الثانية عشرة وثماني وأربعون دقيقة. تبقى اثنتا عشرة دقيقة على لقائه بماي وبلاين ليقوموا بما يلزم.

يقول ليف: «أنا أُنذَر عُشرًا. أليس هذا سببًا كافيًا؟».

يميل أصغر القِسين سنًّا إلى الأمام، ويقول: «نحن نبذل قصارى جهدنا لينتقل كل عُشر إلى الحالة المنقسمة في حالة ذهنية لائقة».

يقول القس الأكبر سنًّا: «من صميم عملنا أن نعينك على حل مشكلاتك».

ثم يتكلف الابتسام فتبدو ابتسامته عبوسًا.

يود ليف الصراخ في وجوههم، لكنه يعلم أن هذا لن يعجِّل بخروجه من هنا: «أنا فقط لا أريد أن أخالط أحدًا هذه الفترة. أفضِّل الاستعداد وحدي. حسنًا؟».

يقول القس الأكبر سنًّا: «لكن هذا ليس حسنًا. لا تسير الأمور بهذه الطريقة هنا. جميعنا ندعم بعضنا بعضًا».

يميل القس الأصغر سنًّا إلى الأمام، يقول: «ينبغي لك أن تمنح الفتية الآخرين فرصة. جميعهم فتية صالحون».

يقول ليف: «ربما لستُ مثلهم!».

ولا يسعه سوى النظر إلى الساعة مجددًا. الثانية عشرة وخمسون دقيقة. في خلال عشر دقائق سيصبح ماي وبلاين جاهزين للتنفيذ. ماذا لو ظل في هذا المكتب اللعين؟ سيكون هذا مريعًا.

يسأله المرشد: «هل يجب عليك الذهاب إلى مكان ما يا ليف؟ أنت لا تتوقف عن النظر إلى الساعة».

يعلم ليف أن عليه أن يأتي بجواب مقنِع وإلا فسيرتابون به حقًا.

- أنا... أنا سمعت أن الفتى الذي اختطفني سيُفكَّك اليوم. كنت أتساءل إن كان الأمر قد تم.

ينظر كل من القِسين إلى الآخر، ثم إلى المرشد.

يميل المرشد في مقعده إلى الوراء، ويقول في ارتياح تام: «إن لم يكن قد فُكِّك بالفعل فهو على وشك التفكيك. ليف، أرى أنه من الصحي أن تناقش معنا ما مررت به عندما احتُجزت رهينة. لا شك أنها كانت تجربة مروِّعة، لكن الحديث عنها يبدِّد سطوة الحدث. أود أن أعقد جلسة جماعية خاصة لوحدتك الليلة، لتشاركهم المشاعر التي تكبتها داخلك. سيتفهَّمونك كثيرًا».

يقول ليف: «الليلة. حسنًا. سأتحدث عن كل شيء الليلة. ربما أنتم محقون وسيجعلني هذا أشعر بتحسن».

يقول أحد القِسين: «لا نريد سوى أن تطمئن نفسك».

- إذًا هل يمكنني الذهاب الآن؟

يدقِّق المرشد النظر إليه، ثم يقول: «تبدو متوترًا للغاية. أود أن أرشدك إلى بعض تمارين الاسترخاء...».

***

63. الحارس

إنه يمقت وظيفته. يمقت الحرارة، يمقت أن عليه الوقوف أمام مرأب التفكيك ساعات يحرس الأبواب، ويمنع غير المأذون لهم من الدخول أو الخروج. في ملجأ الولاية، كان يحلم هو ورفاقه بتأسيس عمل تجاري، لكن لا أحد يقرض مراهقي ملاجئ الولايات المال اللازم لبدء مشروعهم الخاص. لم يستطع خداع أحد بعد أن غيَّر لقبه من وورد إلى مولارد، لقب أكثر العائلات ثراء في المدينة. تبين أن الكثيرين من مراهقي ملجأ الولاية الذي نشأ فيه فعلوا الشيء نفسه عندما غادروا، ظانِّين أنهم هكذا سيغلبون العالم. في نهاية الأمر، لم يغلب الحارس أحدًا سوى نفسه. بعدما غادر ملجأ الولاية، لم يكن في وسعه سوى شغل وظائف عديدة غير مرضية، آخرها حارس في مخيم الحصاد.

على السطح بدأت الفرقة الموسيقية عرض الظهيرة. يعجِّل ذلك بمرور الوقت قليلًا.

يقترب مُفكَّكان، ويصعدان الدرج نحوه. لا يصحبهما حراس، ويحملان طبقين يغطيهما ورق الألومنيوم. لا يروق الحارس هيئتهما. الفتى ذو صلعة، والفتاة آسيوية.

- ماذا تريدان؟ لا يُفترض بكما أن تكونا هنا.

- قيل لنا أن نوصل هذا إلى الفرقة الموسيقية.

يبدوان مضطربين ومريبين. ليس هذا بجديد. يضطرب جميع المُفكَّكين عندما يقتربون من مرأب التفكيك، ويراهم جميع الحراس مريبين.

يلقي نظرة سريعة أسفل ورق الألومنيوم. هناك دجاج مشوي وبطاطا مهروسة. إنهم يرسلون الطعام إلى الفرقة من حين إلى آخر، لكن من يوصله عادة هم الموظفون، لا المُفكّكون.

- أظن أنهم قد تناولوا الغداء للتو.

يقول الفتى ذو الصلعة: «لا أظن ذلك».

يبدو أنه يفضِّل أن يكون في أي مكان في العالم عدا أن يقف هنا أمام مرأب التفكيك، لهذا يقرِّر الحارس أن يطيل الأمر عليهما.

يقول: «يجب أن أتوثق من ذلك».

يخرِج هاتفه، ويتصل بالمكتب الرئيس. الخط مشغول، كالمعتاد. يتساءل الحارس أيهما سيوقِعه في مشكلة أكبر، السماح لهما بالدخول وإيصال الطعام، أم صرفهما في حين أن الإدارة هي من أرسلتهما حقًّا.

يطيل النظر إلى الطبق في يدَي الفتاة، ثم يقول: «لأفحص هذا».

يرفع ورق الألومنيوم ويأخذ أكبر قطعة من صدور الدجاج.

- ادخلا عبر الباب الزجاجي، ثم اصعدا الدرج على اليسار. إن رأيتكما تذهبان إلى أي مكان آخر غير الدرج، فسأدخل وسأخذّركما قبل أن تدركا ماذا أصابكما.

حالما يدخلان ينسى أمرهما تمامًا. لا يدري الحارس أنه على الرغم من أنهما صعدا الدرج، فإنهما لم يوصِلا الطعام إلى الفرقة الموسيقية قط، بل تخلصا من الطبقين. ولم يلحظ الضمادات اللاصقة الدائرية الصغيرة على كفوفهما قط.

***

64. كونر

ينظر كونر عبر نافذة المهجع، يكتنفه الحزن؛ ليف هنا في مخيم حصاد هابي جاك. لا يهم كيف وصل إلى هنا. كل ما يهم هو أنه سيُفكَّك. لقد ذهب كل شيء سدى. يجعله هذا العبث يشعر بأن جزءًا منه قد استؤصل بالفعل وأُخذ للعرض.

- كونر لاسيتر؟

يلتفت ليرى حارسين عند المدخل. لقد غادر معظم الفتية الوحدة لممارسة أنشطة الظهيرة. يلقي من تبقى منهم نظرة سريعة على الحارسين، وعلى كونر، ثم ينحون بصرهم، يتلهون عنهم بأي شيء يبقيهم خارج ما يحدث.

- أجل. ماذا هناك؟

يقول الحارس الأول: «أنت مستدعى إلى عيادة الحصاد».

يلوك الحارس الثاني علكة، ولا ينطق بشيء.

في بادئ الأمر، لا يصدق كونر أن هذا ما يبدو عليه حقًّا. ربما أرسلتهما ريسا. ربما تود عزف شيء خاص من أجله. إنها من أعضاء الفرقة الموسيقية، أكسبها ذلك بعض النفوذ مقارنة بسائر المُفكَّكين، أليس كذلك؟

يردد كونر: «عيادة الحصاد؟ لماذا؟»

- حسنًا، لنقل فقط إنك ستغادر مخيم الحصاد اليوم.

يواصل الحارس الآخر لوك علكته.

- أغادر؟

- هيا يا بني، هل علينا أن نقولها صراحة؟ وجودك هنا يثير القلاقل. يتخذك الكثير من المراهقين مثالًا. يجب عدم السماح بحدوث ذلك في أي مخيم حصاد. لهذا قررت الإدارة حل المشكلة.

يتجهان نحو كونر، ويقبضان على ذراعيه.

- لا! لا! لا يمكنكما فعل ذلك.

- بل يمكننا ذلك، إنه ما نفعله الآن؛ هذه وظيفتنا. سواء أصعَّبت الأمر علينا أم يسَّرته، سنتم عملنا على أي حال.

ينظر كونر إلى الفتية الآخرين للمساعدة، لكن كلًّا منهم في شأنه.

يقول أحدهم دون أن ينظر نحو كونر: «وداعًا يا كونر».

يبدو الحارس الذي يلوك العلكة أكثر تعاطفًا. قد تكون ثمة طريقة لاستمالته. يرفع كونر إليه عينين تلتمسان تفهُّمه.

يتوقف عن لوك العلكة، يفكر قليلًا، ثم يقول: «يبحث أحد رفاقي عن زوجين من الأعين البنية، لأن عينيه لا تروقان لحبيبته. إنه فتى جيد. لا بأس في ذلك».

- ماذا؟

- في بعض الأحيان، تكون لنا الأولوية في الحصول على الأعضاء وما إلى ذلك. إنها واحدة من مزايا هذه الوظيفة. أريدك أن تطمئن قليلًا؛ لن تُنقل عيناك إلى الوُضعاء أو ما شابه.

يضحك الحارس الآخر ساخرًا، يقول: «طمأنينة. مزحة جيدة. حسنًا، حان وقت الذهاب».

يجذبان كونر إلى الأمام. يحاول أن يتأهب، لكن كيف يمكنه التأهب لشيء كهذا؟ *ربما ما يقولونه صحيح. ربما لا يُعَد هذا موتًا. ربما هو محض انتقال إلى شكل آخر من الحياة. ربما لا بأس في الأمر. أليس كذلك؟ أليس كذلك؟*

يحاول كونر أن يتصور كيف يشعر السجناء حينما يُقادون إلى الإعدام. هل يقاومون مصيرهم؟ قد يظل طوال الطريق إلى مرأب التفكيك يركل ويصيح، لكن أي فائدة تُرجى من ذلك؟ إذا كان وقت كونر لاسيتر على الأرض يوشك أن ينتهي، فعليه أن يغتنم المتبقي منه. يجدر به أن يمضي لحظاته الأخيرة ممتنًا لمن كان. لا! بل من **يكون**! يجدر به أن يمتن للأنفاس الأخيرة، التي تدخل

رئتيه وتغادرهما ما دامت هاتان الرئتان ملكه. يجدر به أن يشعر بانقباض عضلاته وانبساطها ما دام يتحرك، وأن يرى بعينيه المناظر الطبيعية في هذا المكان، وأن يحفظها داخل *عقله*.

يأمر الحارسين قائلًا: «أبعدا أيديكما عني. سأسير وحدي».

فيتركانه على الفور، دهِشين للقوة التي تبدو في صوته. يدوِّر كتفيه، يطقطق عنقه، ويخطو إلى الأمام. اللحظة التي يأخذ فيها الخطوة الأولى هي الأصعب، لكنه منذ تلك اللحظة فصاعدًا يقرر أنه لن يهرب ولن يتباطأ. لن يرتجف ولن يقاتل. سيسير إلى نهايته بخطى ثابتة، وفي غضون بضعة أسابيع من الآن، سيحتفظ شخص ما، في مكان ما، داخل عقله بهذه الذكرى، هذا الشاب، أيًّا كانت هويته، واجه تفكيكه بكرامة وإباء.

***

65. المُصفِّقون

من يستطيع أن يخمِّن أي أفكار تدور في أذهان المُصفِّقين في اللحظات التي تسبق ارتكابهم هذا الجرم؟ أيًا ما تكن تلك الأفكار فهي أكاذيب. لكن تلك الأكاذيب، التي يخبر المُصفِّقون بها أنفسهم، مثلها مثل كل الأوهام الخطرة، تتنكر تنكرًا مغويًا.

تكتسي كذبة المُصفِّقين، الذين قِيدوا إلى الاعتقاد بأن أفعالهم يباركها الرب، رداءات مقدسة أذرعها ممدودة، تعدهم بمكافأة لن ينالوها أبدًا.

تتنكر كذبة المُصفِّقين، الذين يعتقدون أن أفعالهم ستساهم بطريقة ما في إحداث التغيير اللازم في العالم، في صورة جماعة من الناس يتذكَّرونهم في المستقبل، ويبتسمون امتنانًا لما فعلوه.

كذبة المُصفِّقين، الذين لا يريدون سوى أن يذيقوا العالم بؤس حياتهم، هي صورة لأنفسهم وقد تحرروا من آلامهم برؤية الآخرين يتألمون.

أما المُصفِّقون الذين تقودهم الرغبة في الانتقام، فكذبتهم هي ميزان عدالة، كفتاه متساويتان في الوزن، متزنتان أخيرًا.

عندما تضرب كف المُصفِّق كفه الأخرى تكشف الكذبة عن نفسها. تهجره في تلك اللحظة الأخيرة، فيغادر العالم وحيدًا تمامًا، دون كذبة ترافقه إلى النسيان.

أو ترافقها.

حفل الطريق الذي أوصل ماي إلى هذا المكان بالغضب وخيبة الأمل. أدى ما أصاب فنسنت إلى انهيارها. كان فتى لم يعرفه أحد. فتى قابلته ووقعت في حبه في المستودع قبل ما يزيد على شهر. هذا الفتى فقد حياته في عرض السماء، بعد أن زُجَّ به في حاوية مع أربعة فتية آخرين، اختنقوا جميعًا

بزفيرهم. لم يلحظ أحد، فيما يبدو، اختفاءه. وبالطبع لم يكترث أحد بذلك، سوى ماي. عثرت ماي على توءم روحها، وفقدته في اليوم نفسه الذي وصلت فيه إلى المقبرة.

كانت ترى العالم كله مذنبًا فيما حدث، لكنها عندما شاهدت خفية ذهبيِّي الأدميرال يدفنون فنسنت والباقين، وجدت من تصب غضبها عليه. لم يبدِ الذهبيون احترامًا في أثناء دفنهم فنسنت، بل تحقيرًا. أطلقوا النكات وضحكوا. أهالوا التراب على جثث الفتية الخمسة دون عناية، كما تغطي القطط فضلاتها. لم تغضب ماي بتلك الشدة من قبل.

بعدما صادقها كليفر أخبرته بما رأت. وافقها كليفر في أن ما حدث يستوجب الانتقام، واقترح قتل الذهبيين. خدَّرهم بلاين ونقلهم إلى الطائرة الفيديكس، لكن ماي هي من أقفلت باب الحاوية. أدهشها أن القتل قد يماثل إغلاق الأبواب سهولة.

ستمضي ماي في هذا الطريق إلى آخره. لقد جُهِّز نعشها، ولم يتبقَّ سوى أن ترقد فيه. اليوم ستدخله لترتاح.

عندما تدخل مرأب التفكيك تجد غرفة تخزين ملأى بقفازات جراحية، ومحاقن، وأدوات جراحية لامعة غريبة. بلاين في مكان ما بجناح البناء الشمالي. من المفترض أن يكون ليف في موقعه أيضًا، يقف على رصيف التحميل خلف مرأب التفكيك. إنها الواحدة. حان وقت التنفيذ.

تدخل ماي غرفة التخزين، تغلق الباب، وتنتظر. ستقوم بدورها، لكن ليس بعد. لن تكون أول من يبدأ. ليبدأ أحد الفتيين قبلها.

يقف بلاين في ردهة خالية بالطابق الثاني. هذا القسم من مرأب التفكيك، فيما يبدو، ليس قيد الاستخدام. لقد قرر ألا يستخدم المُفجِّرات؛ إن المُفجِّرات للجبناء. تكفي المُصفِّق الشجاع صفقة قوية واحدة لإنهاء الأمر، دون الحاجة إلى المُفجِّرات. يريد بلاين أن يثبت لنفسه أنه شجاع مثل أخيه. يقف في نهاية الردهة، ساقاه متباعدتان بقدر اتساع كتفيه، يقفز على مشط قدميه كلاعب كرة مضرب ينتظر الكرة. يداه متباعدتان، لكنه ينتظر. إنه شجاع، لكنه لن يبدأ أولًا.

لقد أقنع ليف المرشد النفسي أنه هادئ كما يجب عليه أن يكون، بعد أن قدَّم الأداء التمثيلي الأفضل في حياته. قلبه يخفق بقوة، ويتدفق فيض من الأدرينالين في دمه. يخشى أن ينفجر ذاتيًّا.

يقول المرشد: «لمَ لا تذهب إلى مسكن الأعشار؟ اقضِ بعض الوقت في التعرف إلى باقي الفتية. ابذل بعض الجهد يا ليف. سيفيدك ذلك».

- أجل. أجل. سأفعل ذلك. شكرًا لك. أشعر بتحسن الآن.

- جيد.

يومئ المرشد إلى القِسين ويقفون جميعًا. إنها الواحدة وأربع دقائق. يود ليف أن يغادر ركضًا، لكنه يعلم أن هذا سيورِّطه في جلسة نفسية أخرى. يغادر المكتب مع القِسين، اللذين يثرثران حول رفعة دور الأعشار وفضائل نذر العشر. عندما يصبح ليف في الخارج ينتبه إلى الجلبة. ترك المراهقون أنشطتهم ويركضون نحو المنطقة التي تفصل بين المهاجع ومرأب التفكيك. هل انفجر بلاين وماي؟ لم يسمع ليف دوي الانفجارات. لا، هذا شيء آخر.

يسمع أحد الفتية يصيح قائلًا: «إنه إوُول آكرون. إنه ذاهب إلى تفكيكه!».

عندئذ يرى ليف كونر. لقد وصل إلى منتصف السجادة الحمراء، يسير وخلفه مباشرة حارسان. لقد احتشد المراهقون في المتنزه، يشهدون الحدث، لكنهم يبقون على مسافة منه. يتوافد المزيد من المراهقين من المهاجع وقاعة الطعام، من كل مكان.

لقد توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف فجأة. تنتحب الفتاة عازفة آلة المفاتيح لمرأى كونر على السجادة الحمراء. يرفع كونر عينيه إليها، يتوقف قليلًا، يقبِّل كفه ويرسل إليها قبلة عبر الهواء، ثم يواصل سيره. يستطيع ليف سماع بكائها.

الآن يهرع الحراس، والموظفون، والمرشدون إلى الساحة مذعورين، يحاولون إعادة هذا الحشد المضطرب من المراهقين إلى أماكنهم، لكن لا أحد منهم يغادر. يقف المراهقون هناك، ربما لا يستطيعون تغيير ما يجري الآن، لكن يمكنهم أن يشهدوه. بينما يخطو كونر خطواته الأخيرة في هذه الحياة سيكونون معه.

يصيح فتى قائلًا: «لنصفق لإوُول آكرون. لنصفق لكونر!».

ويبدأ الفتى يصفق. سرعان ما يصفق حشد المراهقين جميعهم لكونر، ويهتفون له وهو يسير على السجادة الحمراء.

هتاف.

تصفيق.

ماي ويلاين!

الآن يدرك ليف ما يوشك أن يحدث. لن يسمح لكونر بالدخول! ليس الآن! عليه أن يوقِفه.

يبتعد ليف عن القِسين مسرعًا. يقترب كونر من درج مرأب التفكيك. يهرع ليف مارًّا وسط الحشد، لكنه لا يستطيع أن يشق طريقه عنوة. إذا فعل ذلك فسينفجر. يجب أن يسرع، لكن بحذر، وهذا يبطئه.

يصرخ قائلًا: «كونر!».

لكن الهتاف حوله صاخب، ولقد استأنفت الفرقة الموسيقية عزفها. إنهم يعزفون النشيد الوطني، كما يحدث في جنائز الأمريكيين العظماء. لا يستطيع الحراس أو طاقم العمل إيقاف هذا. يحاولون، لكنهم يخفقون. بينما ينشغلون بمحاولات السيطرة على الحشد، ينسل ليف إلى السجادة الحمراء. الطريق الذي يفصله عن كونر خالٍ الآن، وقد بدأ كونر صعود الدرج. يصرخ ليف باسمه مجددًا، لكن كونر لا يسمعه. يركض ليف نحوه. عندما يصبح على بعد عشرين ياردة منه، ينفتح الباب الزجاجي ويخطو كونر إلى الداخل مع الحارسين.

- لا! كونر! لا!

ينغلق الباب. كونر داخل مرأب التفكيك، لكنه لن يُفكَّك. سيلقى حتفه كجميع من في الداخل. ينظر ليف إلى السطح فيرى عازفة آلة المفاتيح تنظر إليه من الأعلى. عندئذ تكتمل خيبته.

إنها ريسا.

كيف يمكن أن يكون بهذا الغباء؟ كان يجب أن يعرفها من انتحابها، ومن القبلة التي أرسلها إليها كونر. يقف ليف عاجزًا، ذاهلًا... ثم يشرف العالم على الانتهاء.

لا يزال بلاين يقف في نهاية الردهة، ينتظر أن يبدأ غيره أولًا.

يصيح أحد الحراس في بلاين قائلًا: «من أنت؟ ما الذي تفعله هنا؟».

يقول بلاين: «لا تقترب! لا تقترب، وإلا!».

يخرِج الحارس مسدس التخدير الخاص به ويتحدث عبر اللاسلكي: «يوجد مُفكِّك طليق هنا. أرسلوا الدعم!».

يقول بلاين: «أنا أحذِّرك».

لكن الحارس يعلم جيدًا كيف يتصرف عند وجود مُفكِّك طليق في مرأب التفكيك. يصوِّب مسدسه نحو فخذ بلاين اليسرى، ويطلق رصاصة.

- لا!

لكن الوقت فات. يفوق أثر ارتطام رصاصة التخدير بجسده كل المُفجِّرات قوة. يشتعل الدم المتفجر، الذي يتدفق في أوردة بلاين، ويحترق بلاين والحارس فورًا.

تسمع ماي الانفجار. ترتج غرفة التخزين كأن زلزالًا يضربها. لا تعيد ماي التفكير في الأمر، لم يعد هذا ممكنًا بعد الآن. تنظر إلى المُفجِّرات على كفيها. ستفعل هذا من أجل فنسنت. ستفعل هذا انتقامًا من والديها، اللذين وقَّعا على أمر التفكيك. ستفعل هذا انتقامًا من العالم كله.

تصفق مرة.

لا شيء.

تصفق مرتين.

لا شيء.

تصفق مرة ثالثة.

في الثالثة يتحقق مسعاها.

حالما ترى ريسا ليف يقف في الأسفل، على السجادة الحمراء، يضرب انفجار الجناح الشمالي لمرأب التفكيك. تلتفت فترى الجناح بأكمله يتقوض.

تقول: «يا إلهي! يا إلهي!».

يصرخ دالتون قائلًا: «علينا أن نخرج من هنا!».

لكن قبل أن يشرع في الحركة، يدوي انفجار آخر أسفلهم، يقذف بأغطية فتحات التهوية إلى السماء كالصواريخ. تتصدع الأرض أسفل أقدامهم كجليد رقيق، وينهار السقف بأكمله. تتردى ريسا وباقي الفرقة الموسيقية في هاوية يملؤها الدخان، وفي هذه اللحظة، لا تفكر ريسا في شيء سوى كونر، وكيف لم تتمكن الفرقة الموسيقية من إنهاء نشيد وداعه قط.

ينفجر الزجاج أمام ليف، ويرى الفرقة الموسيقية تهوي مع انهيار السقف. تعتمل صرخة بداخله، تغادر فمه كعواء مريع. إن ألمه شديد لا يستطيع وصفه. لقد انتهى عالمه حقًّا. الآن عليه أن يتم مهمته.

بينما يقف أمام البناء المتهدِّم يخرِج الجورب من جيبه. يعبث به حتى يعثر على المُفجِّرات. ينزع غطاءها فتظهر اللاصقات، ويلصقها بكفيه. تبدو كعلامات الصلب، جروح المسامير في يدَي المسيح. يرفع يديه أمامه، وهو ينتحب ألمًا، ويتجهز لأن يتخلص من ألمه. يرفع يديه أمامه. يرفع يديه أمامه. يرفع يديه أمامه.

لكنه لا يستطيع أن يضمهما. يريد أن يفعل ذلك. يجب أن يفعل ذلك. لكنه لا يستطيع.

لينتهِ الألم. رجاء، لينهِ أحد هذا الألم.

مهما حاول جاهدًا، مهما أراد عقله أن ينهي الأمر هنا والآن، فإن هناك جزءًا منه، جزءًا أكثر قوة بداخله، يرفض أن يدعه يصفق. إنه يخفق في الإخفاق.

يا إلهي، يا إلهي، ماذا أفعل؟ ماذا فعلت؟ كيف وصلت إلى هذا الحال؟

لقد عاد حشد المراهقين الذين فروا عند سماع دوي الانفجارات، لكنهم يتجاهلون ليف، لأن هناك شيئًا آخر يجذب انتباههم.

يصيح أحدهم قائلًا: «انظروا! انظروا!».

يلتفت ليف ليرى ما يشير إليه الفتى. إنه كونر! يخرج من الباب الزجاجي المحطَّم لمرأب التفكيك. إنه يتعثر. وجهه مصاب وتغطيه الدماء. لقد فقد عينًا. سُحِقت ذراعه وشُوِّهت. لكنه حي!

يصيح أحدهم قائلًا: «لقد فجَّر كونر مرأب التفكيك! لقد فجَّره وأنقذنا جميعًا!».

يصل حارس إلى الساحة يصيح قائلًا: «عودوا إلى مهاجعكم. جميعكم! الآن!».

لا يتحرك أحد.

- ألم تسمعوا ما قلت؟

يلكم فتى الحارس بقوة فيدور حول نفسه. يخرِج الحارس مسدس التخدير ويطلِق الرصاص على ذراع الفتى الذي لكمه. يفقد الفتى وعيه، لكن هناك فتية آخرين، ينتزعون المسدس من الحارس، ويخدِّرونه به، مثلما فعل كونر ذات مرة.

يذيع خبر تفجير إوُول آكرون مرأب التفكيك، ويلهب حماس كل مُفكَّك في مخيم حصاد هابي جاك. وفي لحظات يصبح العصيان ثورة. إن الأغمار أخطار الآن. يطلِق الحراس الرصاص المخدِّر، لكن المراهقين كُثر، يسقط منهم القليل، والرصاص لا يكفي. سرعان ما يشعر الحراس بالهزيمة. وعندئذ يندفع الحشد نحو البوابة الرئيسة.

لا يدري كونر بما يجري. لا يعلم سوى أنه قِيد إلى البناء، ثم حدث شيء ما. والآن لم يعد داخل البناء. هناك خطب بوجهه. إنه يؤلمه. يؤلمه بشدة. لا يستطيع أن يحرك ذراعه. يشعر بالأرض تضطرب أسفل قدميه. يؤلمه صدره. يسعل فيتفاقم ألمه.

الآن يهبط الدرج متعثرًا. يرى صبية، الكثير منهم. إنهم مُفكَّكون. هذا صحيح، هو أيضًا مُفكَّك. جميعهم مُفكَّكون. لكن المعاني تفلت من قبضته. يركض الصبية. إنهم يقاتلون. توهن قدماه، ويسقط على الأرض فجأة، تتطلع عيناه إلى الشمس.

يريد النوم. يعلم أن هذا ليس المكان الملائم لذلك، لكنه يريد النوم على أي حال. لقد تبلل، ويشعر بلزوجة. هل يسيل أنفه؟

يرى ملاكًا يقترب منه، يرتدي الأبيض.

يقول الملاك: «لا تتحرك».

يتعرف كونر إلى الصوت: «مرحبًا ليف. كيف الحال؟».

- لا تتحدث.

يقول كونر في وهن: «ذراعي تؤلمني. هل عضضتني مجددًا؟».

ثم يفعل ليف شيئًا غريبًا. يخلع قميصه، يمزِّقه إلى نصفين، ويضغط وجه كونر بنصف قميصه الممزَّق. يشتد ألم وجهه، ويئن. ثم يأخذ ليف نصف قميصه الممزَّق الآخر ويربط به ذراع كونر. هذا أيضًا يؤلمه.

- آه... ماذا...

- لا تحاول أن تتحدث. ارتح فقط.

هناك آخرون حوله الآن، لكنه لا يعرفهم. ينظر فتى يحمل مسدس تخدير إلى ليف، ويومئ ليف. يجثو الفتى بالقرب من كونر.

يقول الفتى الذي يحمل مسدس التخدير: «سيؤلمك هذا قليلًا، لكنك تحتاج إليه».

يصوِّب الفتى نحو مناطق مختلفة من جسد كونر في تردد، ثم يقع اختياره على فخذ كونر. يسمع كونر صوت الطلقة، ويشعر بألم حاد في فخذه. بينما تغيم الصورة أمامه، يرى ليف يهرع عاري الصدر نحو بناء ينبعث منه دخان أسود.

يقول كونر: «غريب!».

ثم يذهب وعيه إلى مكان هادئ بعيدًا عن كل هذا العبث.

***

الجزء السابع

الوعي

«الإنسان جزء من الكل الذي ندعوه الكون، جزء يقيِّده الزمان والمكان. هذا الإنسان يرى ذاته وأفكاره ومشاعره شيئًا منفصلًا عن باقي الكون، هذه إحدى صور الوهم البصري الذي يخدع وعيه. إن هذا الوهم سجن لنا، يجب علينا أن نحرِّر أنفسنا من هذا السجن، بأن نوسِّع آفاق عاطفتنا، لتحتضن المخلوقات كافة والطبيعة في بهائها كله».

- ألبرت أينشتاين

«هناك شيئان لا محدودان، الكون وغباء الإنسان. ولست متأكدًا تمامًا بشأن الكون».

ألبرت أينشتاين

66. كونر

عندما يستعيد كونر وعيه يشعر بالأفكار تتشوش في ذهنه. يؤلمه وجهه، ويمكنه الرؤية بعين واحدة فقط. هناك شيء يضغط عينه الأخرى.

إنه في غرفة نظيفة، بها نافذة يرى من خلالها ضوء النهار. لا شك أن هذه غرفة مستشفى، وأن ما يضغط عينه ضمادة. يحاول أن يرفع ذراعه اليمنى، لكن كتفه تؤلمه. لهذا يقرر أن الأمر لا يستحق العناء.

الآن يبدأ الربط بين الأحداث التي أوصلته إلى هنا. كان على وشك أن يُفكَّك. وقع انفجار. حدثت ثورة. ثم كان ليف يقف بجواره. هذا كل ما يستطيع تذكره.

تدخل ممرضة الغرفة، وتقول: «لقد استيقظت أخيرًا! كيف تشعر؟».

يقول بصوت أبح: «بخير (ثم يتنحنح) منذ متى؟».

تجيبه الممرضة: «كنت في غيبوبة مستحَثة لما يزيد على أسبوعين بقليل».

أسبوعان؟ في حياة يوشك كل يوم فيها أن يكون الأخير يبدو الأسبوعان دهرًا. وريسا؟ ماذا عن ريسا؟

يقول: «كان هناك فتاة. كانت على سطح مرأب عيادة الحصاد. هل يدري أحد ماذا حدث لها؟».

لا يفصح وجه الممرضة عن شيء.

تقول: «سنهتم بكل هذا لاحقًا».

- لكن...

- لا لكن. الآن يلزمك الوقت للتعافي. وأود القول إن حالتك الصحية تتحسن أسرع مما توقعنا يا سيد مولارد.

أول ما يدور بخلد كونر هو أنه لم يسمعها جيدًا.

يتململ قائلًا: «عفوًا؟».

تضبط وسائده قائلة: «ارتح يا سيد مولارد، ودعنا نهتم بكل شيء».

ثم يظن أنه قد فُكّك في النهاية. لقد فُكّك، وبطريقة ما، نُقل مخه كاملًا إلى أحدهم، وأصبح داخل شخص آخر الآن. لكنه عندما يفكر في الأمر، يدرك أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا؛ لم يتغير صوته، وأسنانه، التي يلامسها لسانه، هي نفسها كما يتذكرها.

يخبرها: «اسمي كونر. كونر لاسيتر».

تدقق الممرضة النظر إليه في حنو، وتبدو الفطنة على وجهها.

تقول: «حسنًا، عُثر على بطاقة هوية وسط الحطام تفحمت الصورة التي تحتوي عليها، تخص حارسًا في التاسعة عشرة يُدعى إلفيس مولارد. بعد الانفجار، لم يكن ممكنًا تحديد هوية أحد. لهذا اتفق الكثير منا على أنه يجب ألا نهدر تلك البطاقة. ألا تتفق معنا في ذلك؟».

تمد ذراعها وتضبط زاوية سرير كونر حتى يجلس مرتاحًا.

تقول: «الآن أخبرني مجددًا. ما اسمك؟».

الآن يفهم كونر. يغلق عينيه، يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يفتحهما مجددًا: «هل أحمل اسمًا أوسط؟».

تراجع الممرضة سجله الطبي.

تقول: «روبرت».

- إذًا اسمي إ. روبرت مولارد.

تبتسم الممرضة وتمد يدها لتصافحه قائلة: «سعدت بلقائك يا روبرت».

عندما يمد كونر يده اليمنى نحوها تلقائيًّا يعاوده ذلك الألم الطفيف في كتفه.

تقول الممرضة: «آسفة. هذا خطئي».

وتصافح يده اليسرى.

- ستؤلمك كتفك قليلًا حتى يلتئم الطُّعم تمامًا.

- ماذا قلتِ للتو؟

تتنهد الممرضة، وتقول: «يا لي من ثرثارة! يرغب الأطباء دائمًا في أن يكونوا من يبلغونكم بذلك، لكن أوان ذلك قد فات الآن، أليس كذلك؟ الخبر السيئ هو أننا لم نستطع إنقاذ ذراعك أو عينك اليمنى. الخبر الجيد هو أنك، إ. روبرت مولارد، استأهلت الخضوع لجراحات زراعة الأعضاء العاجلة. لقد رأيت العين، لا تقلق، إنها تلائمك كثيرًا. أما الذراع، حسنًا، إن عضلاتها أضخم قليلًا بالمقارنة مع ذراعك اليسرى، لكن العلاج الطبيعي سيعادلهما سريعًا».

يحاول كونر استيعاب ما تقول، تدور الكلمات في ذهنه. عين. *ذراع*. علاج طبيعي.

تقول الممرضة: «يلزمك بعض الوقت لتعتاد الأمر».

ينظر كونر إلى يده الجديدة للمرة الأولى. هناك ضمادات تغطي كتفه، ويرتدي حمالة ذراع. عندما يحرك أصابعها تتحرك. عندما يلوي رسغها يلتوي. يلزم أظافرها تشذيب، ومفاصلها أكثر غلظة من مفاصل يده. يمرِّر إبهامه على أطراف أصابعها، إحساسه باللمس كما كان دائمًا. يدير رسغها قليلًا، ويتوقف. تغمره موجة من الذعر، ثم تتركه مضطربًا.

تنظر الممرضة إلى الذراع، وتبتسم قائلة: «لكل عضو طابعه الخاص، لكن لا داعي للقلق. لا بد أنك جائع. سأحضر بعض الطعام من أجلك».

يقول كونر: «أجل. الطعام. هذا جيد».

تتركه وحده مع الذراع، ذراعه التي تحمل وشم القرش المميَّز.

***

67. ريسا

انتهت حياة ريسا القديمة في اليوم الذي فجَّر فيه المُصفِّقون مرأب التفكيك. علم الجميع في النهاية أن المُصفِّقين هم المسؤولون عن التفجير، لا كونر. كان الدليل دامغًا؛ لقد اعترف بذلك المُصفِّق الذي نجا.

على النقيض من كونر، لم تفقد ريسا الوعي قط. على الرغم من أنها احتُجزت أسفل عارضة فولاذية، فإنها ظلت مستيقظة. بينما كانت عالقة وسط الحطام، اختفى بعض الألم الذي شعرت به عندما سقطت العارضة فوقها. لم تدرِ إن كانت تلك علامة جيدة أم سيئة. انتاب الخوف دالتون، وتألم ألمًا شديدًا. هدأته ريسا. أخبرته أنه لا بأس في الأمر، وأن كل شيء سيكون بخير. ظلت تخبره بذلك حتى اللحظة التي قضى فيها نحبه. كان عازف الجيتار أكثر حظًّا. جاهد حتى تحرر من أسفل الأنقاض، لكنه لم يستطع إخراج ريسا. وعدها أنه سيرسل إليها المساعدة، وغادر. لا بد أنه أوفى بوعده، لأن المساعدة وصلت إليها في النهاية. استلزم رفع العارضة ثلاثة أشخاص، وشخصًا واحدًا فقط لحمل ريسا.

الآن ترقد في غرفة مستشفى، يقيِّدها جهاز غريب، يبدو كآلة تعذيب أكثر منه سريرًا. تثقب مسامير فولاذية جسدها كدمية ڤودو بشرية. وتثبِّت دعامات صلبة تلك المسامير في مواضعها المحدَّدة. تستطيع أن ترى أصابع قدميها، لكنها لا تشعر بها. منذ الآن فصاعدًا، ستكتفي برؤيتها فقط.

- هناك من أتى لزيارتك.

تقف ممرضة عند الباب. عندما تبتعد ترى كونر يقف بالمدخل. إنه مكدوم وتغطيه الضمادات، لكنه حي. يترقرق الدمع في عينيها، لكنها لا تسمح لنفسها بالبكاء؛ لا يزال البكاء يؤلمها كثيرًا.

تقول: «كنت أعلم أنهم يكذبون. قالوا إن الانفجار أودى بحياتك، وإنك علقت داخل البناء، لكنني رأيتك في الخارج. كنت أعلم أنهم يكذبون».

يقول كونر: «كنت سأموت، لكن ليف أوقف النزيف. لقد أنقذني».

تخبره ريسا: «لقد أنقذني أيضًا. حملني إلى خارج البناء».

يبتسم كونر قائلًا: «هذا العُشر الصغير المزعج لا بأس به».

يشي لها التعبير الذي يرتسم على وجهه بأنه لا يعلم أن ليف كان أحد المُصفِّقين، المُصفِّق الذي لم ينفجر. تقرر ألا تخبره بذلك. تذيع جميع وسائل الإعلام الخبر. سيدري به قريبًا.

يخبرها كونر عن غيبوبته، وعن هويته الجديدة. تخبره ريسا كيف اقتحم المُفكَّكون بوابات مخيم حصاد هابي جاك وهربوا، وأن قلة منهم قد أُمسك بهم. بينما يتحدثان تختلس النظر إلى حمالة ذراعه. الأصابع التي تبرز منها قطعًا ليست أصابع كونر. يمكنها تخمين ما حدث، وتعلم أن الأمر يربكه.

يسألها كونر: «إذًا كيف حالك؟ أقصد إصاباتك. ستكونين بخير، أليس كذلك؟».

تفكر ريسا كيف تخبره بالأمر، ثم تقرر ألا تماطل: «أخبروني أنني أُصبت بالشلل من الخصر إلى الأسفل».

ينتظر كونر أن تواصل حديثها، لكنها لا تقول المزيد.

- حسنًا، هذا ليس سيئًا جدًّا، صحيح؟ يمكنهم تصحيح ذلك. هذا كل ما يفعلونه.

تقول ريسا: «أجل. يصحِّحون ذلك عبر استبدال عمود فقري من مُفكَّك بالعمود الفقري المصاب. لهذا رفضت الخضوع للجراحة».

ينظر إليها ذاهلًا فتشير إلى ذراعه قائلة: «لو تركوا لك حرية الاختيار لفعلت الشيء نفسه. لقد خيَّروني واتخذت قراري».

- أنا حقًّا آسف يا ريسا.

- لا تأسف لذلك!

إن كان هناك شيء لا تريده من كونر فهو شفقته.

تقول: «لن يستطيعوا تفكيكي الآن. هناك قوانين تمنع تفكيك ذوي الإعاقات. لو خضعت للجراحة لفككوني فور أن شُفيت. هكذا سأظل تامة».

ثم تبتسم إليه ابتسامة الظفر، وتضيف: «لست وحدك من خدع النظام!».

يبتسم إليها، ويهز كتفه المضمَّدة. تنزاح حمالة الذراع كاشفة المزيد من ذراعه الجديدة، ويظهر الوشم. يحاول أن يخفيه، لكنه تأخر. إنها تراه، إنها تعرفه. عندما تلتقي عيناها عينَي كونر، ينحِّي بصره عنها خجلًا.

- كونر؟

- أعدك. أعدك أنني لن ألمسك بهذه اليد أبدًا.

تدرك ريسا أنهما الآن يعيشان لحظة حاسمة. هذه الذراع هي نفسها التي حاصرتها في مرحاض. كيف لها ألا تشعر بالتقزز عند النظر إليها؟ هددتها هذه الأصابع بارتكاب المريع. كيف ستشعِرها بشيء سوى النفور؟ لكنها عندما تنظر إلى كونر يختفي كل هذا، ولا ترى سواه.

تقول: «دعني أراها».

يتردد كونر، لهذا تمد ذراعها وتخلع اليد من حمالة الذراع بحذر: «هل تؤلمك؟».

- قليلًا.

تمرِّر أصابعها على ظاهر يده برفق وتقول: «هل تستطيع الشعور بذلك؟».

يومئ كونر.

ترفع ريسا اليد بلطف إلى وجهها، تضغط وجنتها بكفها. تبقيها هكذا قليلًا، ثم تتركها لتدع كونر يكمل ما بدأته. يمرر يده على وجنتها، يمسح دمعة بإصبعه. يمس عنقها برقة فتغلق عينيها. تشعر به يمرر أطراف أصابعه على شفتيها، ثم يبعد يده. تفتح ريسا عينيها، تمسك باليد وتشبكها بيدها بقوة.

تخبره: «الآن أجزم بأن هذه يدك. لم يكن رونالد ليلمسني بهذه الطريقة».

يبتسم كونر، وتنظر ريسا إلى القرش على رسغه. لم يعد القرش يخيفها لأنه رُوِّض، روَّضته روح فتى. لا، بل روح رجل.

***

68. ليف

في سجن فيدرالي ذي حراسة مشدَّدة ليس بالبعيد، يُحتجز ليفي جيدادايا كالدر في زنزانة مصمَّمة لاحتياجاته الخاصة جدًّا. الزنزانة مبطَّنة، بابها فولاذي مضاد للانفجار سمكه ثلاث بوصات. وضُبطت درجة الحرارة داخلها عند خمس وأربعين فهرنهايت، حتى لا ترتفع درجة حرارة جسد ليف. لا يشعر ليف بالبرودة، بل بالحرارة، لأن طبقات العزل المضادة للاشتعال تلفه. يبدو كمومياء معلَّقة في الهواء. لكن يديه ليستا متقاطعتين على صدره، بل ممدودتين على جانبيه ومقيَّدتين إلى عارضة، كي لا يضم كفه إلى الأخرى. يرى ليف أنهم احتاروا أيصلبونه أم يحنِّطونه، ففعلا الأمرين. هكذا لن يستطيع التصفيق، لن يسقط، لن يفجِّر نفسه خطأً. وإن تمكن من فعل ذلك، بطريقة ما، فإن الزنزانة مصمَّمة لتقاوم الانفجار.

لقد خضع لإجراء نقل الدم أربع مرات، لكنهم لم يخبروه كم مرة تلزمه لتزول المتفجرات من جسده. لم يخبروه بأي شيء. لا يهم الوكلاء الفيدراليون الذين يأتون لزيارته سوى ما قد يخبرهم به. لقد وكَّلوا محاميًا من أجله يتحدث عن الجنون وكأنه شيء جيد. يظل ليف يخبره أنه ليس مجنونًا، رغم أنه لم يعد واثقًا من ذلك.

يُفتح باب زنزانته. يتوقع استجوابًا آخر، لكن زائره جديد. يلزم ليف بعض الوقت ليتعرف إليه، لأنه لا يلبس رداء القس المتواضع، بل بنطال جينز وقميصًا مخططًا ذا أزرار.

- مساء الخير يا ليف.

- القس دان؟

يُصفق الباب خلفه، لكن صداه لا يتردد. تمتص الجدران اللينة الصوت. يمسِّد القس دان كتفيه من البرد. كان يجب عليهم أن ينصحوه بإحضار سترة.

يسأله: «هل يعاملونك جيدًا؟».

يقول ليف: «أجل. ما يميِّز المتفجرين هو أنه لا أحد يستطيع ضربهم».

يضحك القس دان ضحكة خافتة واجبة، ثم يسود الارتباك.

يرغِم نفسه على النظر إلى عينَي ليف، رغم أن هذا يشق عليه، ويقول: «سيبقونك في تلك اللفافات بضعة أسابيع، حتى تخرج من دائرة الخطر».

يتساءل ليف أي دائرة يقصد. إن حياته الآن دائرة مظلمة واسعة، داخل أخرى أكثر وسعًا، تقع بدروها داخل أخرى تفوقها وسعًا. لا يدري ليف لمَ القس هنا، أو ما يأمل في إثباته. هل يجب على ليف أن يسعد برؤيته أم يغضب؟ هذا هو الرجل الذي ظل يخبره منذ أن كان طفلًا صغيرًا أن نذر العُشر أمر مقدس، ثم أخبره أن يهرب منه. هل القس دان هنا ليقرِّعه أم ليهنِّئه؟ هل أرسله والدا ليف لأنهما يريانه ضالًّا ولا يستحق أن يأتيا من أجله؟ أو ربما سيُعدم ليف قريبًا وهو هنا ليؤدي الشعائر الأخيرة؟

يقول ليف: «لمَ لا تنهي الأمر؟».

- أنهي أي أمر؟

- ما جئت من أجله. أتمه وارحل.

لا تحتوي الزنزانة على مقاعد، لهذا يميل القس دان إلى الوراء ويستند إلى الحائط المبطَّن.

- كم أخبروك عما يحدث في الخارج؟

- لا أعلم سوى ما يجري هنا، وهو ليس بالكثير.

يتنهد القس دان، يفرك عينيه، ويتوقف قليلًا يفكر من أين يبدأ.

يقول: «أولًا، هل تعرف فتى يُدعى سايرس فينش؟».

ينتاب ليف الذعر عند ذكر الاسم. لقد أدرك ليف أنهم سيخضِعون حياته للتمحيص. هذا ما يحدث للمُصفِّقين، تُختزل حياتهم في صفحات يلصقونها على حائط لتفحُّصها، ويصبح كل من يعرفونهم مشتبَهًا بهم. يحدث هذا عادة بعد أن تلتقي كفا المُصفِّق وينتقل إلى العالم الآخر.

يقول ليف: «لا علاقة لساي-فاي بهذا على الإطلاق! لا يمكنهم أن يورِّطوه في الأمر!».

- اهدأ. إنه بخير. لكنه تحرك ويحدِث ضجة. ولأنه يعرفك يصغي الناس إليه.

- ضجة بشأني؟

الآن يقترب القس دان منه أول مرة، ويقول: «بشأن التفكيك. ما حدث في مخيم حصاد هابي جاك جعل الكثيرين ممن كانوا يتجاهلون ما يجري يتحدثون. لقد وقعت احتجاجات في واشنطن ضد التفكيك، وقدَّم سايرس شهادته أمام الكونجرس».

يحاول ليف تصور ساي-فاي يقف أمام إحدى لجان الكونجرس، يتحدث مثل أمبر عصر ما قبل الحرب في المسلسلات الكوميدية، مستخفًّا بهم. يجعله هذا التصور يبتسم. إنها المرة الأولى التي يبتسم فيها ليف منذ مدة طويلة.

- يُقال إنهم قد يخفِضون سن البلوغ من الثامنة عشرة إلى السابعة عشرة. سينقذ هذا خُمس عدد المراهقين المقرَّر تفكيكهم.

يقول ليف: «هذا جيد».

يمد القس دان يده في جيبه، ويخرِج ورقة مطوية: «لم أكن سأطلِعك على هذا، لكنني أعتقد أن عليك أن تراه. أنت بحاجة إلى أن تدرك إلى أين وصلت الأمور».

إنه غلاف مجلة، ويظهر ليف به، لا يظهر ليف به فقط، إن غلافها هو صورته في الصف السابع، قفاز كرة القاعدة في يده ويبتسم إلى الكاميرا. يقول العنوان الرئيس: «لماذا يا ليف؟ لماذا؟» لم يخطر بباله قط طوال الوقت الذي قضاه هنا يفكر في أفعاله ويعيد التفكير فيها، أن العالم الخارجي كان يفعل الشيء نفسه. إنه لا يريد هذا الانتباه، لكن العالم كله الآن، فيما يبدو، أصبح يعرفه.

- ملأت صورك أغلفة جميع المجلات.

لم يكن بحاجة إلى أن يدري بذلك. يأمل أن القس دان لا يحمل مجموعة كاملة منها في جيبه. يحاول ليف التظاهر بأن هذا لا يهمه.

يقول: «وإن يكن؟ يتصدر المُصفِّقون الأخبار دائمًا».

- تتصدر **أفعالهم** الأخبار، الدمار الذي سبَّبوه، ولا يكترث أحد بمن كانوا. يتشابه جميع المُصفِّقين في نظر العامة. لكنك تختلف عنهم يا ليف. أنت المُصفِّق الذي لم يصفِّق.

- أردت أن أفعل ذلك.

- لو أردت ذلك لفعلته. لكنك ركضت إلى الحطام وأخرجت أربعة أشخاص.

- ثلاثة.

- ثلاثة، لكن لو أُتيحت لك الفرصة لأنقذت المزيد، أما سائر الأعشار فابتعدوا ليحموا أعضاء أجسادهم الثمينة. في الحقيقة أنت من قاد جهود الإنقاذ، واتبعك عدد من الأغمار لإخراج الناجين.

يتذكر ليف ذلك. بينما كان الحشد يسقِطون البوابة، عاد عشرات المُفكَّكين إلى الحطام معه. القس دان محق. كان ليف سيواصل جهود الإنقاذ، لكنه انتبه إلى أنه إن أتى بأي حركة خطأ، فسينفجر ويقوض ما تبقى من مرأب التفكيك. لهذا عاد إلى السجادة الحمراء، وجلس مع ريسا وكونر حتى أخذتهما سيارة الإسعاف. ثم وقف وسط الفوضى واعترف بأنه مُصفِّق. ظل يكرر اعترافه لمن قد يسمعه، إلى أن جاء ضابط شرطة وعرض بلطف أن يعتقله. كان الشرطي يخشى تقييد ليف خوفًا من أن يفجِّره، لكن ليف لم تكن لديه أي نية في مقاومته.

- أربك ما فعلته الناس يا ليف. لا يدري أحد إن كنت وحشًا أم بطلًا.

يفكر ليف في الأمر، ثم يقول: «هل هناك احتمال ثالث؟».

يصمت القس دان قليلًا. ربما لا يعرف الجواب.

يقول: «أعتقد أن كل شيء يحدث لسبب. إن اختطافك، وأن تصبح مُصفِّقًا، ثم رفضك التصفيق... (ينظر إلى غلاف المجلة في يده ويضيف) كل ما حدث أدى إلى هذا. لسنوات ظل المُفكَّكون مراهقين مجهولين لا يرغب فيهم أحد. لكنك الآن أضفيت على قضية التفكيك وجهًا إنسانيًا».

- هل يمكن أن يضعوا وجهي على شيء آخر؟

يضحك القس دان مجددًا، لكن ضحكته هذه المرة حقيقية لا واجبة. ينظر إلى ليف وكأنه يرى فتى عاديًا في الثالثة عشرة، لا كائنًا عجيبًا. يجعله ذلك

يشعر، للحظات فقط، بأنه فتى عادي في الثالثة عشرة. إنه شعور غريب، لأن ليف في حياته القديمة، لم يكن فتى عاديًا قط، مثله مثل جميع الأعشار.

يسأله ليف: «إذًا ما الذي سيحدث الآن؟».

- وفقًا لما فهمته، ستستغرق تصفية دمك من أكبر قدر ممكن من المتفجرات بضعة أسابيع. سيظل دمك متفجِّرًا، لكن ليس بالشدة التي كان عليها قبلًا. ستستطيع التصفيق كما تشاء ولن تنفجر. وأنصحك بعدم ممارسة رياضات الاحتكاك المباشر لبعض الوقت.

- ثم سيُفكِّكونني؟

يهز القس دان رأسه قائلًا: «لن يُفكِّكوا مُصفِّقًا؛ لن تزول تلك المواد عن دمك تمامًا. لقد تحدثت إلى محاميك. يظن أنهم سيقدِّمون لك عرضًا، لأنك رغم كل شيء ساعدتهم في إلقاء القبض على الجماعة التي ضخت تلك المواد في دمك. سينال أولئك الأشخاص الذين استغلوك عقابهم. وعلى الأرجح أن القضاء سيعدُّك ضحية».

يخبره ليف: «كنت واعيًا بحقيقة ما فعلت».

- إذًا أخبرني لماذا فعلته.

يفتح ليف فمه ليتحدث، لكنه يعجز عن التعبير. إنه يشعر بالغضب، والخيانة، والسخط على عالم يدَّعي العدالة والنزاهة. لكن هل كان هذا هو السبب حقًّا؟ هل يبرِّر هذا ما فعل؟

يقول القس دان: «قد تكون مسؤولًا عن أفعالك، لكنك لم تكن جاهزًا بعد لتخوض الحياة في العالم الحقيقي، وهذا ليس خطأك. إنه **خطئي**، وخطأ كل من أعدَّك لتصبح عُشرًا. نحن مذنبون كالأشخاص الذين حقنوك بذلك السم تمامًا».

ثم يبعِد نظره عنه خجلًا، يحاول كبح غضبه المتصاعد، لكن ليف يعلم أن هذا الغضب ليس موجَّهًا إليه.

يأخذ القس دان نفسًا عميقًا، ويكمل حديثه قائلًا: «من المحتمَل أنك ستقضي بضع سنوات في سجن الأحداث، ثم بضع سنوات أخرى في الإقامة الجبرية».

ينبغي لهذا أن يجعل ليف يشعر بالارتياح، لكن هناك ما يربكه.

يفكر في أمر الإقامة الجبرية، ثم يقول: «أين؟».

يعلم أن القس دان يفهم مضمون سؤاله.

- يجب أن تدرك يا ليف أن والديك إن انحنيا فسينكسران.

- أين؟

يتنهد القس دان، ويقول: «عندما وقَّع والداك على أمر التفكيك أصبحت تحت وصاية الولاية. بعد الأحداث التي وقعت في مخيم الحصاد، عرضت الولاية إعادة الوصاية إلى والديك، لكنهما رفضا. أنا آسف».

لم يتفاجأ ليف بذلك، لكنه منزعج. يثير ذكر والديه المشاعر القديمة التي أثارت غضبه ودفعته إلى أن يصبح مُصفِّقًا. لكن اليأس الذي انتابه سابقًا لم يعد عميقًا كما كان.

- إذًا أصبح لقبي الآن وورد؟

- ليس بالضرورة. لقد قدَّم أخوك ماركوس طلبًا لتنتقل الوصاية إليه. إن حصل عليها فسيتولى أمرك متى أطلقوا سراحك. هكذا ستظل كالدر، إن أردت ذلك.

يومئ ليف. يتذكر حفل نذر العُشر، وكيف دافع ماركوس عنه. في ذلك الوقت لم يستوعب ليف تصرفه.

يقول: «لقد تبرأ والداي من ماركوس أيضًا».

على الأقل الآن يعلم أن رفقته ستكون طيبة.

يضبط القس دان قميصه ويرتجف قليلًا من البرد. يبدو مختلفًا اليوم. هذه هي المرة الأولى التي يراه ليف فيها دون ثياب القس.

- لمَ ترتدي هكذا؟

يصمت قليلًا، ثم يقول: «لقد استقلت من منصبي. تركت الكنيسة».

يندهش ليف من ذلك؛ لم يتصور قط أن القس دان قد يكون أي شيء سوى القس دان.

- هل... هل فقدت إيمانك؟

يقول: «لا، قناعاتي فقط. لا أزال أؤمن بالرب. لكنه رب لا يقبل الأعشار البشرية».

يختنق ليف بفيض مباغت من المشاعر، التي ظلت تتفاقم بداخله طوال حديثهما، طوال الأسابيع، والآن تدوي معًا بقوة كأنها تخترق حاجز الصوت.

- لم أدر أن مثل هذا الخيار متاح قط.

أُذِن لليف طوال حياته بأن يؤمن بشيء واحد فقط. أحاط به كشرنقة، وأوثقه بنعومة مثل طبقات العزل التي تلفه الآن. الآن يشعر ليف، للمرة الأولى في حياته، بأن القيود التي تأسر روحه بدأت ترتخي.

- أترى أنه يمكنني الإيمان بذلك الرب أيضًا؟

***

69. المفكّكون

هناك منزل ريفي واسع يتكون من طابق واحد بحديقة مترامية الأطراف في غرب تكساس.

توفرت الأموال اللازمة لبنائه من النفط الذي جف قبل زمن طويل، لكن الأموال التي درَّها بقيت وتضاعفت. إنه مجمع كبير، واحة خضراء كملعب جولف وسط السهول البرية المنبسطة. هنا عاش هارلان دنفي حتى السادسة عشرة، وتسبب في المشكلات. أُلقي القبض عليه بتهمة السلوك غير المنضبط مرتين في أوديسا، لكن والده، الأدميرال عظيم الشأن، أخرجه في المرتين. في المرة الثالثة أتى والداه بحل مختلف.

اليوم يبلغ هارلان دنفي السادسة والعشرين. إنه يقيم حفلًا. تقريبًا.

يحضر حفل هارلان مئات الضيوف. أحدهم فتى يُدعى زاكري، يعرفه أصدقاؤه باسم إمبي، يعيش هنا في المنزل منذ مدة طويلة، وينتظر هذا اليوم. إنه يملك رئة هارلان اليمنى، واليوم سيعيدها إليه.

في الوقت نفسه، على بعد ستمائة ميل غربًا، تهبط طائرة ضخمة في مقبرة الطائرات. تملأ الطائرة حاويات، تحتوي كل حاوية على أربعة مُفكَّكين. بينما تُفتح الحاويات ينظر فتى من إحداها إلى الخارج، يتساءل ماذا ينتظره. يسلط أحدهم ضوء كشاف يدوي نحو الحاوية. عندما ينخفض الكشاف اليدوي، يرى الفتى أن من فتح الحاوية ليس أحد البالغين، بل فتى آخر. يرتدي الفتى ملابس كاكية، ويبتسم إليهم، فيظهر مقوِّم الأسنان الذي يضعه ولا يبدو بحاجة إليه.

يقول: «مرحبًا. اسمي هايدن، وسأكون منقذكم اليوم. هل الجميع بالداخل بخير؟».

يقول الفتى المُفكَّك: «نحن بخير. أين نحن؟».

يقول هايدن: «في المطهر، الذي يُعرف أيضًا باسم أريزونا».

يغادر الفتى المُفكَّك الحاوية، يتهيب مما قد يلاقيه، ويقف في موكب المراهقين الذين يُقادون إلى الخارج. عندما يجتاز باب مخزن البضائع يصطدم رأسه بحافته، رغم تحذيرات هايدن. بينما يقطع المهبط الذي يقود إلى الأرض يصدمه ضوء النهار الشديد والحرارة اللاهبة. يعلم أن هذا ليس بمطار، لكنه يرى الطائرات في كل مكان.

من البعيد تتقدم عربة جولف نحوهم، تثير التراب الأحمر. بينما تقترب يهدأ الحشد. تتوقف العربة ويخرج السائق. إنه رجل تغطي نصف وجهه ندوب بالغة. يتحدث الرجل إلى هايدن قليلًا، ثم يخاطب الحشد.

عندئذ يدرك الفتى المُفكَّك أن هذا ليس رجلًا، بل فتى آخر لا يكبره كثيرًا. ربما تجعله ندوب وجهه يبدو أكبر سنًّا، أو ربما سلوكه.

يقول: «أود أن أكون أول من يرحب بكم في المقبرة. اسمي الرسمي هو إ. روبرت مولارد، (ثم يبتسم ويضيف) لكن الجميع يدعونني كونر».

لم يعد الأدميرال إلى المقبرة قط، لأن حالته الصحية لا تسمح بذلك. الآن يعيش في منزل عائلته في تكساس، ترعاه زوجته التي تركته قبل أعوام. على الرغم من وهنه وصعوبة تنقله من مكان إلى آخر، فإنه لم يتغير كثيرًا.

يجيب كل من يسأل عن صحته قائلًا: «يقول الأطباء إن خمسًا وعشرين في المائة فقط من قلبي لا يزال حيًّا. سيفي هذا بالغرض».

ما أبقاه حيًّا، على نحو رئيس، هو ترقبه حفل هارلان الكبير. يمكن القول إن القصص المفزِعة حول همفري دنفي صحيحة. أخيرًا عُثر على جميع أعضائه، واجتمع جميع متلقيها. لكن اليوم لن تُجرى أي جراحات، لأنه، خلافًا للشائعات، لم تتضمن الخطة جمع أعضاء هارلان لإعادته تامًّا قط. يجمع الزوجان دنفي ابنهما بالطريقة الوحيدة المعقولة.

عندما يدخل الأدميرال وزوجته حديقتهما يجدانه بها. إنه حاضر في حديث ضيوف حفلهم الكثيرين وضحكاتهم. هناك رجال ونساء من مختلف

الأعمار. يضع كل منهم شارة اسم، لكن شارات الأسماء تلك لا تحمل أسماء. اليوم لا أهمية للأسماء.

«اليد اليمنى» هذا ما يُكتب على شارة أحد الشباب لا يتخطى الخامسة والعشرين.

يقول الأدميرال: «دعني أراها».

يمد الشاب يده، ويدقق الأدميرال النظر إليها حتى يعثر على ندبة بين الإبهام والسبابة.

- ذهبتُ للصيد مصطحبًا هارلان عندما كان في التاسعة. أصابته هذه الندبة عندما كان يحاول تنظيف تروتة.

يسمع صوتًا خلفه، إنه رجل آخر، أكبر قليلًا من الشاب الأول يقول: «أتذكر ذلك!».

يبتسم الأدميرال. ربما تفرقت الذكريات، لكنها اجتمعت هنا، في كل واحد من الحضور.

يرى الفتى الذي يصر على أن يُدعى إمبي يلزم طرف الحديقة وحده. لم يعد أزيز صدره شديدًا كما كان، لأنه يتناول دواء الربو المناسب.

يسأله الأدميرال: «ما الذي تفعله هنا؟ يجب أن تكون هناك وسط الحضور».

- لا أعرف أحدًا هنا.

يقول الأدميرال: «لا، أنت تعرفهم، لكنك لا تدرك هذا بعد».

ويرافق إمبي إلى الجمع.

في هذه الأثناء، في مقبرة الطائرات، يتحدث كونر إلى الوافدين الجدد الذين غادروا الطائرة التي أحضرتهم إلى هنا. يندهش كونر لأنهم يستمعون إليه. يندهش كونر لأنه يحظى باحترامهم. لم يعتَد هذا قط.

- أنتم هنا لأنكم استطعتم الهروب بعد أن أصبحتم قيد التفكيك. وبفضل جهود العديد من الناس تمكنتم من الوصول إلى المقبرة. سيكون هذا المكان منزلكم إلى أن تبلغوا السابعة عشرة، وتصبحوا بالغين وفقًا للقانون. كان هذا الخبر الجيد، أما الخبر السيئ فهو أنهم يعلمون أين

نحن وماذا نفعل. ويأذنون لنا بالمكوث هنا، لأننا هكذا لا نشكّل تهديدًا لهم.

ثم يبتسم كونر ويضيف: «لكننا سنعمل على تغيير ذلك».

بينما يتحدث كونر ينظر إلى عينَي كل منهم، يحرص على أن يتذكر كل وجه من وجوههم. يحرص على أن يجعلهم يشعرون بالتقدير، وبأنهم فريدون ومهِمون.

- لقد عانيتم كثيرًا، ومنكم من لا يريد سوى النجاة حتى السابعة عشرة وحسب. لا يستطيع أحد لومكم على ذلك، لكنني أعلم أن بعضًا منكم مستعد للمخاطرة بكل شيء للقضاء على التفكيك تمامًا.

يصيح فتى في مؤخرة الحشد قائلًا: «أجل!».

ثم يرفع قبضته عاليًا ويبدأ الهتاف: «هابي جاك! هابي جاك!».

يشاركه بعض المراهقين الهتاف. عندما يدرك الجميع أن هذا ليس ما يريده كونر تهدأ الهتافات.

- لن نفجِّر مراثب التفكيك. إنهم يروننا مراهقين عنيفين سنصبح أفضل حالًا عندما نُفكَّك. لن نرسِّخ تلك الفكرة في أذهانهم. **سنفكر** قبل أن نتصرف. هكذا سنربِكهم. سنخترق مخيمات الحصاد، وسنوحِّد جميع المُفكَّكين في هذا البلد. سنحرِّر المراهقين من الحافلات قبل أن يصلوا إلى المخيمات. سيكون لنا صوت، سنستغله، وسنجعله مسموعًا.

لا يستطيع الحشد كبح هتافه الآن، وهذه المرة يوافقهم كونر على ذلك. هؤلاء المُفكَّكون خذلتهم الحياة، لكن العزيمة التي تملأ المقبرة الآن تنساب إلى كل منهم. هكذا شعر كونر عندما وصل إلى هنا أول مرة.

يقول كونر: «لا أدري ماذا يحدث لوعينا عندما نُفكَّك. لا أعلم حتى متى يبدأ الوعي. لكنني أعلم التالي».

يتوقف كونر قليلًا ليتأكد له أن الجميع يصغون إليه، ثم يقول: «نحن نملك الحق في الحياة!».

يتقد المراهقون حماسًا.

- نملك الحق في تقرير مصير أجسادنا!

يبلغ الهتاف أوجه.

- نستحق عالمًا نتمتع فيه بهذين الحقَّين، ومهمتنا أن نحاول خلق هذا العالم.

في الوقت نفسه، يزداد الحماس في منزل دنفي أيضًا. يتقارب الحضور، وتضج الحديقة بالمحادثات. يتحدث إمبي إلى فتاة تملك الرئة اليسرى لرئته اليمنى عن حياته. تتحدث امرأة عن فيلم لم تشاهده قط، إلى رجل يتذكر الأصدقاء الذين لم يشاهد معهم ذلك الفيلم قط. وبينما يتأملهم الأدميرال وزوجته يحدث شيء مذهل.

تبدأ المحادثات تتلاقى!

مثل بخار ماء يتبلور ليشكِّل ندفة ثلج بديعة فريدة، يتحد مزيج الأصوات في محادثة واحدة.

- انظروا هناك! سقط من هذا الجدار عندما كان في...
- السادسة! أجل، أنا أتذكر ذلك!
- اضطُر إلى ارتداء دعامة معصم مدة شهرين.
- لا يزال معصمي يؤلمني عندما تمطر.
- لم يكن عليه تسلق الجدار.
- اضطُررت إلى فعل ذلك. كان هناك ثور يطاردني.
- كنت خائفًا جدًّا!
- الأزهار في الحديقة. هل تشمونها؟
- إنها تذكِّرني بذلك الصيف...
- عندما تحسن الربو...
- وشعرت بأنني أستطيع فعل أي شيء.
- أي شيء!
- كان العالم كله أمامي!

يتمسك الأدميرال بذراع زوجته. لا يستطيع أي منهما كبح دموعه. لكنها ليست دموع أسى، بل رهبة. إذا توقف ما تبقى من قلب الأدميرال الآن، في هذه اللحظة، فسيرحل وهو أسعد إنسان على وجه الأرض.

ينظر إلى الجمع، ويقول في وهن: «هـــ... هارلان؟».

تتجه أنظار جميع الحضور نحوه. يرفع رجل يده إلى حلقه، يلمسه برفق، ويقول بصوت هو قطعًا صوت هارلان دنفي، لكنه أكبر قليلًا: «أبي؟».

تغمر الأدميرال مشاعره ويعجز عن الرد. لهذا تنظر زوجته إلى الرجل الذي أمامها، ومن بجانبها، والجمع كله، وتقول: «مرحبًا بعودتكم إلى منزلكم».

على بعد ستمائة ميل، في مقبرة الطائرات، تعزف فتاة على بيانو كبير، قائم أسفل جناح طائرة محطَّمة، كانت ذات يوم الطائرة الرئاسية. يفيض عزف الفتاة سرورًا، رغم الكرسي المتحرك الذي تلازمه، وتبهج ألحانها جميع الوافدين الجدد. بينما يمرون بها تبتسم إليهم، وتكمل عزفها. هكذا تثبت أن هذا المكان شديد الحر كالفرن، الذي تملؤه طائرات لا يمكنها التحليق، أكبر قدرًا مما يبدو. إنه رَحِم الخلاص لكل مُفكَّك، ولمن شاركوا في حرب الجوهر كافة، لأنهم جميعًا هُزموا.

بينما يشاهد كونر الوافدين الجدد يستقبلهم المراهقون الذين سبقوهم إلى هنا، يدع موسيقى ريسا تتخلله. لقد بدأ غروب الشمس، وخفَّت حدة الحرارة. في هذا الوقت من اليوم، تبدع صفوف الطائرات أشكالًا رائعة من الظل على الأرض الصلدة. يبتسم كونر؛ يمكن لمكان قاسٍ كهذا أن يبدو جميلًا في إضاءة محددة.

ينهل كونر من كل شيء حوله، الموسيقى، والأصوات، والصحراء، والسماء. إن مهمة تغيير العالم التي تقع على عاتقه شاقة، لكن العمل قائم على قدم وساق بالفعل. كل ما عليه فعله هو أن يحافظ على إيقاعه. وهو ليس مضطرًا إلى أن يقوم بذلك وحده؛ تسانده ريسا، وهايدن، وكل مُفكَّك هنا. يأخذ كونر نفسًا عميقًا، ويزفر توتره. الآن، أخيرًا، يتسع له الأمل.

شكر وتقدير

عندما يتعلق الأمر بالروايات فإنه، في بعض الأحيان، يكون مجموع الأجزاء أكبر من الكل. لم يكن من الممكن إتمام هذا الكتاب دون المحرِّر الأدبي، دايفيد جال، الذي تحداني لأخرجه في أفضل صورة ممكنة. في الحقيقة أنا مدين بالامتنان لجميع العاملين في دار نشر سايمون وشُستر، ليس لدعمهم هذا الكتاب فقط، بل ولدعمهم الكبير لجميع أعمالي.

أشكر أبنائي: بريندن، وجارود، وجويل، وإرين، لأنهم أبناء رائعون، لن يود أحد تفكيكهم أبدًا. وشكرًا خاصًا لجارود، الذي لم ينشئ صفحتي على موقع مايسبيس فقط، بل وقرأ «مُفكِّك» قبل النشر، وأمدني بالعديد من الملاحظات التحريرية الرائعة، التي ساعدتني كثيرًا في المسودات الأولية، قبل أن يصل النص إلى الناشر.

أشكر هيدي فيشر وابنها سايرس، اللذين ابتكرا الاسم ساي-فاي، وأذنا لي باتخاذه اسمًا لواحدة من شخصياتي المفضلة.

أشكر مجموعة الكُتَّاب المبدعين، الذين أجتمع بهم دوريًّا، على آرائهم الثاقبة دائمًا. وأشكر أيضًا ترومانل مابلز ولي آن جونز، الاختصاصيين الإعلاميين الرائعين، اللذين قدما لي عونًا كبيرًا في أثناء عملي على المسودة الثانية.

أشكر ستيف لين، الذي عندما أخبرته بهذه الفكرة، أجلسني وقال: «**يجب** عليك أن تكتب هذا الكتاب».

شكرًا لمساعِدتي براندي لوميلي لتفهمها التام لي.

أود أن أشكر جاستن سول من موقع despair.com (واحد من أكثر المواقع الإلكترونية المسلية التي تصفحتها) لأنه أذن لي بالإشارة إلى ملصقهم «المحبِط» عن الطموح.

أود أيضًا أن أشكر تشارلز بامنت من هيئة الإذاعة البريطانية BBC ، وجيم بريمنر وجو زنتنر من موقع desertusa.com، ودايف فين، لمساعدتهم في المعلومات الحقيقية التي ترِد بين أجزاء الكتاب. كل من طلب بيع الروح على موقع إيباي eBay والرد عليه حقيقيان. مقبرة الطائرات موجودة، والقصة المروعة بشأن الرضَّع الأوكرانيين الذين اختُطفوا لتُسرق أعضاؤهم حقيقية، ما يثبت أن الخيال كثيرًا ما يكون تأويلًا للواقع.

مُفكّك
UNWIND

ماذا لو استطاع والداك أن يُفكّكاك؟

في عالم مستقبلي، سبقت الحرب الأهلية الأمريكية الثانية أوقات مظلمة. قُلِبت معايير الصواب والخطأ رأسًا على عقب. انقسم الشعب إلى فريقين: أحدهما مناهض للإجهاض والآخر مؤيد له. وأصبح الرأيان جيشين عازمين على أن يدمر بعضهما بعضًا. لإنهاء الحرب أُتيَ بحل مروع: أُقِرَّت «وثيقة الحياة». تنص وثيقة الحياة على أنه يَحظر المساس بحياة الإنسان منذ لحظة الحمل وحتى يبلغ الثالثة عشرة من العمر. إلا أنه بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة، يحق للآباء أن يُخضِعوا أبناءهم إلى «التفكيك»، حيث تُحصَد أعضاؤهم لتُنقَل إلى مختلف المتلقين. هكذا «يُجهَض» الأبناء بأثر رجعي، لكن حياتهم لا تنتهي «نظريًا».



كونر فتى اتخذ والداه إجراءً حاسمًا لتقويم سلوكه المضطرب. نشأت ريسا في ملجأ يرى القائمون عليه أنها أخفقت في إثبات أنها جديرة بالحياة. أما ليف فنذرته عائلته الدينية ليُفكَّك حينما يبلغ الثالثة عشرة. تتقاطع طرق ثلاثتهم، ومعًا، يبذل الثلاثة المراهقون قصارى جهدهم للثبات على مبادئهم والنجاة بحياتهم في عالم مروع.

غلاف: عبد الرحمن الصواف

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

عصير الكتب

9 789779 922669